


جامعة حلب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

# بنية القصيدة الطردية




بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب
عبد الرحمن عبد الرزاق

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م




**جامعة حلب**
**كلية الآداب والعلوم الإنسانية**
**قسم اللغة العربية**

# بنية القصيدة الطردية




بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

**بإشراف الدكتور**

**حسين بيوض**

أستاذ الأدب العباسي
رئيس قسم اللغة العربية
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب

**إعداد الطالب**

**عبد الرحمن عبد الرزاق**

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

## شهادة

نشهد بأن العمل الموصوف في هذه الرسالة هو نتيجة بحث قام به الطالب عبد الـــرحمن عبـــد الرزاق بإشراف الدكتور حسين بيوض الأستاذ في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلـــوم الإنسانية بجامعة حلب .

وأي رجوع إلى بحث آخر في الموضوع موثق في النص .

**الطالب**
**عبد الرحمن عبد الرزاق**

**المشرف على الرسالة**
**الأستاذ الدكتور حسين بيوض**

في / / ٢٠١٠

## Certificate

It is hereby certified that the work described in this thesis is the result of the author's own investigation under the supervision of DR. Husain Bayoudh, a professor in the Arabic department – faculty of art and humanities – university of Aleppo , and any reference to other research work has been duly acknowledged in the text .

**Supervisor**
**Prof, Mr.Husain Bayoudh**

**candidate**
**Abdulrahman Abdulrazak**

**Date / / 2010**

# تصريح

أصرح بأن هذا البحث " بنية القصيدة الطردية في القرنين الثالث والرابع الهجريين " لم يـــسبق أن قبل للحصول على أية شهادة ولا هو مقدم حالياً للحصول على شهادة أخرى .

في  /  / ٢٠١٠

**المرشح**

**عبد الرحمن عبد الرزاق**

# Declaration

It is here by declared that this work ( The structure of hunting poetry , 3rd and 4th century hijri ) hasn't already accepted for any degree , nor it's currently presented for any other degree .

**Candidate**
**Abdulrahman Abdulrazak**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً

لمتطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

من كلية الآداب والعلوم الإنسانية

في جامعة حلب

الطالب : عبد الرحمن عبد الرزاق

**This thesis has been submitted in partial fulfillment**
**Of the requirements for degree of MA .**
**Department of Arabic in faculty of art and humanities –**
**University of Aleppo**

**candidate**
**Abdulrahman Abdulrazak**

نوقشت هذه الرسالة علناً بتاريخ   /   / ٢٠١٠ م وأجيزت من قبل لجنة المناقشة والحكم المؤلفة من السادة :

| | |
|---|---|
| ١- أ.د. حسين بيوض | مشرفاً |
| ٢- أ.د. أحمد دواليبي | عضواً |
| ٣- د. سميرة سلامي | عضواً |

بسم اللّه الرحمن الرحيم

# المقدمة

لشعر الصيد أهمية كبرى للشاعر، وللمجتمع الذي يعيش فيه، فهو أسلوب يأخذ مكانه المرموق في القصيدة العربية في عصورها الأولى، والصيد تسلية وفروسية لا يستغنى عنها، كما أنه سبب للرزق عند المجتمعات القبلية وغير القبلية التي تعرف الزرع أو لا تعرفه.

وفي الشعر العربي الجاهليّ تجلت فقرة الصيد على أنها أحد أركان القصيدة الرئيسة، واستمرت على حالها في عصور الشعر التالية، إلى أن كتب لها الاستقلال في أواخر العصر الأموي، وبلغت الذروة في العصر العباسي، واكتسبت قصيدة الطرد طابعاً خاصاً في ذلك العصر، وإن كان شعر الطرد في غالبيته يمثل الحكام وأساليب لهوهم، إذ لم يلتفت الشعراء إلى من هم دونهم إلا قليلاً.

جاء هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول:

استعرض التمهيد لفظ الصيد والطرد والقنص في اللغة في أهم معجمات اللغة وكتبها، ثم انتقل إلى عرض موقف الإسلام من الصيد وأحكامه، ثم عرّج على ذكر فوائد الصيد ولذاته وموقف العرب من أكل لحم الصيد، وانتهى بالحديث عن حاجة الصائد إلى معرفة طبائع الحيوان والسلاح الذي حباه الله إياه ليدافع به عن نفسه مما يُيَسّر عليه مهمته.

وحمل الفصل الأول عنوان "**نشأة شعر الطرد وبدايات القصيدة الطردية**"، فبدأ باختصار شديد الحديث عن الصيد عند العرب في الجاهلية، ثم تناول سريعاً فقرة الصيد عند امرئ القيس وزهير وأبي ذؤيب، ثم حاول أن يبرز خصائص شعر الصيد والطرد في القصيدة الجاهلية قبل ظهور الطرديات. ثم انتقل إلى الحديث عن نشأة شعر الطرد في زمن بني أمية وبدايات القصيدة الطردية عند كل من أبي النجم العجلي والشمردل بن شريك اليربوعي محاولاً _ما أمكن_ استكشاف خصائص هذا الفن الجديد عندهما، ثم خص أبا نواس بدراسة مسهبة لطردياته ووقف على خصائص هذا الفن عنده. وكل ذلك من خلال دراسة الأشعار وتحليل بنيتها.

وتحدث الفصل الثاني عن "**البناء الموضوعي للقصيدة الطردية**"، فبدأ بالمدخل الذي يتوسل به الشاعر للحديث عن الصيد والطرد، والوقت الذي يخرج فيه للصيد، والمكان الذي يذهب إليه، ووسيلة الصيد جارحاً كانت أم ضارياً، والطرائد حيوانات كانت أم طيوراً، ثم رصد الصراع الذي يدور بين الوسائل والطرائد،

وأخيراً قدَر الطريدة ونهايتها، كما رصد مخرج الطردية الذي يختتمها به الشاعر. وقد تجتمع جميع هذه الأركان في الطردية فتكون تامة، وربما أغفل الشاعر ركناً أو أكثر من هذه الأركان فتكون غير تامة.

وحمل الفصل الثالث عنوان "**الخصائص العامة لشعر الطرد**"، فتناول بالدراسة الخصائص المعنوية واللفظية والموسيقية والتصويرية.

وختمت البحث بملخص له عرضت فيه أبرز نقاط الموضوع، والنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة المتواضعة، ومقترحات قد تكون جديرة بالأخذ والتطبيق.

وقد اعتمدت في البحث المنهج النقدي التكاملي، فأخذت بالاعتبار حياة الشاعر، وبيئته، ووضعه الاجتماعي، ومناسبة قصيدته.

وقد اعتمدت في البحث على الدواوين المطبوعة والمحققة تحقيقاً علمياً، ثم على المجموعات الشعرية وعلى رأسها: الأصمعيات والمفضليات. وكان لا بد من الاستعانة بكتب البيزرة المتيسرة وبعض كتب الصيد، وأخص بالذكر منها اثنين: البيزرة تحقيق محمد كرد علي، والمصايد والمطارد لكشاجم. وكتب أخرى لامست جوانب الموضوع، وربما كان من أهم الكتب وأعظمها: كتاب الحيوان للجاحظ، فهو جامع شامل لما يحتاج إليه الباحث في هذه الحقول.

وبقيت كلمة أخيرة لا بد أن تسجل باعتزاز: هي أن هذا البحث ما كان ليستوي على هذه الصورة، لولا رعاية الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور **حسين بيّوض** وملاحظاته القيمة، فله جزيل الشكر والامتنان.

وأوجه الشكر الجزيل إلى الدكتور **عبد الجليل بدا** أستاذ النحو بجامعة حلب، على ما أحاطني به من رعاية واهتمام، وما بذل من جهد في تدقيق هذا البحث تطوعاً منه، وعلى وضعه مكتبته القيّمة في خدمتي راجياً من الله تعالى أن يديمه عوناً للدارسين وطلبة العلم وأن يبارك له في عمله الخيّر.

وأسأل الله أن أكون قد وفقت في تقديم ما هو نافع ومفيد.

*عبد الرحمن عبد الرزاق*

حلب في / / ٢٠٠٩ .

## المدخَل:

أولاً: تمهيد لغوي.

ثانياً: الصيد في الإسلام.

ثالثاً: فوائد الصيد ولذّاته.

رابعاً: حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه.

**أولاً : تمهيد لغوي:**

**الطَّرْد :**

الطَّرد : بفتحٍ فسكون، ويُحَرَّك "الطَّرَد": الإبعاد والتنحية، طَرَده يَطْرُده، من الباب الأول، طرْداً وطرَداً بسكون الراء وفتحها.[1]

والطَّرْد (بسكون الراء): الشلُّ، طَرَدَه يَطْرُدُه طَرْداً وطَرَداً. قال:

**فأقسمُ لولا أنَّ حُدْباً تتابعَتْ ... عليَّ، ولم أبرحْ بدينٍ مطردا**

حدباً: يعني دواهي، وكذلك أطرده، قال طريح:

**أمستْ تُصَفِّقُها الجَنوبُ وأصبحتْ ... زرقاءَ تَطَّرِدُ القذى بحِبابِ**

ويقال: طردته فذهب، وقال صاحب التهذيب: طردته فذهب لا مضارع له من لفظه[2]. واقتصر في الأساس على أفعل[3].

والطَّرْد (بسكون الراء): الإبعاد، وكذلك الطرَد (بالتحريك)[4]، وطَرَدْتُ الإبلَ طَرْداً (بسكون الراء) وطَرَداً (بتحريكها مفتوحة) أي ضَمَمْتُها من نواحيها، وأطْرَدْتُها : أمرْتُ بطَرْدِها أي ضَمِّها[5].

والماء الطَّرِد (بفتح فكسر) هو الماء الطَّرْق (بفتح فسكون) لما خاضته الدواب، لأنها تطرد فيه وتدفعه[6].

والطَّرَد (بفتح الراء): مزاولة الصيد[7]، وطَرَدَتِ الكلابُ الصيدَ طَرَداً: نحّتْه وأرهقته[8]، ومن المجاز: خرج فلان يطرد حُمُر الوحش أي يصيدها[9]، وكذلك قولهم: الريح تطرد الحصى، والأرض ذات الآل تطرد الصحاب طرداً، ورمل متطارِد يطرد بعضه بعضاً.

والمطاردة في القتال: أن يطرد بعضهم بعضاً، والفارس يستطرد ليحمل على قرنه ثم يكرّ عليه، ذلك أنه يتحيّز في استطراده إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردته، وذلك ضرب من المكيدة، وفي الحديث: كنت أطارد حية أي أخدعها لأصيدها، ومنه طراد الصيد ومطاردة الأقران والفرسان وطرادهم: وهو أن يحمل بعضهم على بعض في الحرب وغيرها. يقال: هم فرسان الطراد[10].

---

[1] - تاج العروس ( طرد)
[2] - اللسان – (طرد) . وتهذيب اللغة – الأزهري – ١٣/ ٣١١
[3] - أساس البلاغة – الزمخشري – (طرد) - ٢٧٧
[4] - اللسان – (طرد)
[5] - تاج العروس – (طرد)
[6] - اللسان – القاموس – تاج العروس : (طرد)
[7] - القاموس – تاج العروس (طرد)
[8] - اللسان (طرد)
[9] - تاج العروس (طرد)
[10]- اللسان (طرد) – تهذيب اللغة (طرد) -١٣/٣١٠

المِطْرَدُ (بكسر الميم وسكون الطاء وفتح الراء): رمح قصير تُطْعَنُ به حُمُرُ الوحش، وقال ابن سيدة: المِطْرَدُ (بالكسر) رمح قصير يطرد به، وقيل: يطرد به الوحش.[1] وللثعالبي: المطرد بين العصا والرمح [2].

والطِّراد (بالكسر): الرمح القصير لأن صاحبه يطارد به[3].

والطريدة: ما طردتَ من وحش ونحوه [4]، وفي تاج العروس: ما طردت من صيد وغيره[5].

**الصيد :**

صاد الصيد يصيده ويصاده صيداً إذا أخذه [6]. وتصيَّدَه (بتشديد الياء المفتوحة)، واصطاده وصاد إياه[7]، ولقد قيد الزَّبيديُّ معناه بالأخذ في الحبالة أو بإيقاعه في الشرك[8].

ويقال: خرج فلان يتصيَّد الوحش أي يطلب صيدها، وقولك: صدت فلاناً صيداً، إذا صدتَه له، كقولك بغيته حاجة إذا بغيتها له[9].

صاد المكان واصطاده: صاد فيه ، قال سيبويه: ومن كلام العرب صدنا قنوَين، يريد صدنا وحش قنوَين، وإنما قنوان اسم أرض.

والصيد: ما تُصُيِّد (بالبناء للمجهول) ومما حكاه ابن الأعرابي: كل وحش صيدٌ، صِيدَ أو لم يُصَد، وعدّ ابن سيده هذا القول شاذاً[10].

والمَصِيدة والمِصْيَدَة والمَصْيَدَة: التي يصاد بها، وهي من بنات الياء المعتلة، وجمعها مصايد ( بلا همز) مثل معايش جمع معيشة. والمَصِيد والمصيِدة ( بالكسر): ما يصاد به[11].

والعرب تقول: خرجنا نصيد بيض النعام ونصيد الكمأة، وعد ابن الأعرابي قولهم: صدنا كمأة من جيد كلام العرب ولم يفسره.

---

1 - اللسان (طرد)
2 - فقه اللغة – الثعالبي – مطبعة الاستقامة – القاهرة – ص ١١٩
وتهذيب اللغة (طرد) ٣١١/١٣
3 - اللسان (طرد)
4 - اللسان (طرد)
5 - التاج (طرد) – تهذيب اللغة (طرد) – ١١٠/١٣
6 - اللسان (صيد) – تهذيب اللغة – الأزهري – (صيد) – ٢٢٠/٢١
7 - اللسان (صيد)
8 - تاج العروس (صاده)
9 - اللسان (صيد) – تهذيب اللغة ٢٢٠/١٢
10 - اللسان (صيد)
11 - اللسان (صيد)

وحكى ثعلب: صِدنا ماءَ السماء أي أخذناه[1]. ويقال: كلب وصقرٌ صَيُود، ويتساوى في ذلك المذكر والمؤنث.

**القنص[2]:**

قنص الصيد يقنِصه (من باب ضرب) قنْصاً (بسكون النون) وقَنَصاً (بفتحها) وأقنَصه وتقنَّصه: صاد، كقولك: صدت واصطدت. وتقنَّصه: تصيَّده. والقنْص والقَنيص: ما اقتُنص (بالبناء للمجهول).

والقنيص والقانص والقنّاص: الصائد، والقُنَّاص (بضم القاف وتشديد النون): جمع قانص. والقنْص (بسكون النون) مصدر قنَصَه أي صاده.

وفي حديث أبي هريرة: وأن تعلو التحوتَ الوعولُ، فقيل: ما التحوت؟ فقال: بيوت القانصة، كأنه ضرب بيوت الصيادين مثلاً للأراذل والأدنياء.

[1] - اللسان (صيد) -وتهذيب اللغة ٢٢٠/١٢

[2] - اللسان (قنص)

**ثانياً : الصيد في الإسلام:**

**أ ــ مشروعية الصيد:**

الصيد مشروع، والأصل الدالّ على مشروعيته قول الله عزّ وجلّ:

**(أُحِلّتْ لكم بهيمةُ الأنعامِ إلاّ ما يُتلى عليكم غيرَ مُحِلّي الصيد وأنتم حُرُم).** [المائدة:١].

وقوله سبحانه وتعالى:

**(...وإذا حَلَلْتُم فاصطادوا...)**.[المائدة:٢].

فقد حصر المنع من الصيد في حالة الإحرام، وقد فسرها الطبري بقوله: "لا محلّين الصيد في حرمكم، ففيما أحل لكم بهيمة الأنعام المُذَكّاة متّسعٌ لكم ومستغنى عن الصيد في حال إحرامكم[1]".

وحدد القرطبي الأحكام التي تتضمنها الآية ومنها: "تحليل بهيمة الأنعام، واستثناء حال الإحرام فيما يصاد، وإباحة الصيد لمن ليس بمحرم"[2].

ويرى الطبري أن "الله تعالى حرم قتل صيد البر على كل محرم في حال إحرامه ما دام حراماً... سواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامداً قتلَه ذاكراً لإحرامه، أو عامداً قتله ناسياً لإحرامه، أو قاصداً غيره فقتله ذاكراً لإحرامه[3] ".

ونهى القرآن الكريم عن قتل الصيد في أثناء الإحرام نهياً قاطعاً، وحدد جزاء مخالفة هذا الحكم بروادع مادية في الحياة الدنيا تمثّل كفّارة عمّا اقترف، وروادع في الآخرة بانتقام الله ممن استمرأ هذا الحكم وأصرّ على مخالفة الشرع، يقول الله تعالى :

**(يا أيّها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُم، ومن قَتَله منكم متعمِّداً فجزاءٌ مثلُ ما قتلَ منَ النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره، عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)**.[المائدة:٩٥].

وقد ميز الإسلام صيد البر بتحديد أحكامه فيما سبق، في حين أطلق صيد البحر مطلقاً، لقوله تعالى :

**"أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون "** [المائدة ٩٦].

[1] - تفسير الطبري- محمد بن جرير الطبري- تحقيق محمود أحمد شاكر- دار المعارف- مصر- القاهرة- ٤٤٩/٩.

[2] - الجامع لأحكام القرآن – عبد الله القرطبي – تحقيق سالم مصطفى البدري – دار الكتب العلمية – لبنان - بيروت – ط١- ٢٠٠٠م – ٢٣/٦

[3] - تفسير الطبري- ٧/١١.

وقد ساوى الطبري والقرطبي بين صيد البحر الطري وما قذفه البحر أو حسر عنه فوُجد ميتاً على ساحله[1].

ومن ذلك يمكن أن نقرر مطمئنين أن الإسلام لم ينهَ عن الصيد إلا في حالة الإحرام عند الحج والعمرة وللمحرمين فقط، ويؤكد ذلك قوله تعالى في الآية الثانية من سورة المائدة :

" .... **وإذا حللتم فاصطادوا** ..." وبذلك رفع ما كان محظوراً بالإحرام[2].

**ب ـــ الحكمة من مشروعية الصيد:**

لما كان في الحيوانات التي استطابتها العرب وأقرّت الشريعة الإسلامية أكلها ما هو وحشيٌّ وغير أليف يصعب إخضاعه للتذكية العادية يسّر الله سبحانه وتعالى على الناس سبيل الحصول على هذه الحيوانات عن طريق القنص والصيد، وأقام ذلك مقام التذكية الأصلية، وإن لم يتمكن الصائد منها[3].

وفي ذلك من التيسير على الناس ما لا يخفى ألطافه وفوائده على أي متأمل وباحث.

**جـــ ـــ ما يحلّ من الصيد وما لا يحلّ:**

الأصل حلّ الصيد بأنواعه، مهما كان نوع الحيوانات المصادة، ودليل ذلك عموم ما يدلّ عليه قول الله تعالى:

**(....وإذا حللتم فاصطادوا....)**.[المائدة:٢].

إلاّ أنه يستثنى من عموم ذلك ما يلي:[4]

١- صيد الحيوانات التي لا يحلّ أكلها، ولا يجوز قتلها، مما لا يعد ضارّاً ولا مؤذياً، إذا كانت وسيلة الصيد من شأنها أن تؤذي الحيوان أو تعطبه أو تقتله. فإن كانت وسيلة الصيد غير مؤذية كشباك ونحوه لم يحرُم.

٢- كل صيد يبتغى منه مجرد العبث إذا كان بقتل أو إعطاب، سواء كان الحيوان مما يحلّ أكله أو مما يحرم. كمن خرج لصيد الطيور لا يريد من ذلك إلا التسلية والعبث، وليس له في الأكل منها أي غرض أو قصد.

٣- صيد الحيوانات البرية المأكولة بالنسبة إلى المحرم، سواء كان ذلك بالقتل أو الإعطاب أو بمجرد وضع اليد عليه. ودليل ذلك قول الله عزّ وجلّ: **(لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم)**.[المائدة:٩٥]. كما يحرم أيضاً الصيد في الحرم ولو كان الصائد غير محرمٍ. ودليل ذلك ما رواه البخاري وغيره عن ابن

[1] - تفسير الطبري ـــ ٦٧/١١ والجامع لأحكام القرآن ـــ ٢٠٥/٦

[2] - الجامع لأحكام القرآن ـــ ٣١/٦

[3] - الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي- مصطفى الخن ومصطفى البغا وعلي الشربجي- دار القلم- دمشق- ط٩- ٢٠٠٨م- ص٤٦٨.

[4] - الفقه المنهجي- ٤٦٩.

عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرَّمه الله، لا يُعْضَد شوكُه، ولا يُنَفَّر صيدُه، ولا يَلتقِط لقطتَه إلاّ من عرّفها"[1]. أما صيد ما لا يؤكل لحمه فلا إثم فيه على المحرم إذا كان مؤذياً، أو لم يكن مؤذياً، وكان صيده مجرد وضع اليد عليه.

والمقصود من حرمة صيد الحيوان في الحالات الثلاث المذكورة استلزامه الإثم بقطع النظر عن أثر ذلك في تحريم أكله. إذ ليس بينهما أي تلازم[2].

**د ـــ الوسيلة المشروعة في الاصطياد:**

يقصد بالوسيلة المشروعة في الاصطياد ما يترتّب على اصطياد الحيوان بها جواز أكله، ووسيلة الاصطياد المشروعة تكون بواحد من السببين التاليين:

**الأول:** كل ما يجرح من محدَّد سواء كان حديداً أو رصاصاً أو قصباً أو زجاجاً أو غير ذلك مما يجرح الحيوان. ودليل ذلك ما رواه رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه[3]".

فلو كان ما يصاد به شيئاً لا حدّ له، وإنما يقتل بضغطة أو بثقله لحجر لا حدّ له، أو كان شيئاً يقتل بالحرق، ومات الحيوان بسببه لم يجُزْ أكله[4].

واستثنوا من ذلك السن والظفر والعظام سواء عظم الآدمي أو غيره[5].

أما إذا لم يمُت الحيوان به: كأن أصاب منه جناحاً أو قدماً، ثم أدركه الصائد فذكّاه الذكاة المشروعة، أو رماه بشيء يقتل بحدِّه كسكّين أو سهم ونحوهما فإنه يجوز أكله[6].

**الثاني:** إرسال جارحة من سباع البهائم أو جوارح الطير، وتعد الاستعانة بجوارح الطير وسباع البهائم مشروعة في الاصطياد إذا تحققت فيها الشروط التالية:[7]

١- أن تندفع إلى الحيوان الذي يراد صيده إذا أرسلت إليه، بحيث تتجه إليه ولا تقصد شيئاً غيره. فلو هاجت واندفعت ثم تحولت عن الحيوان الذي أرسلت إليه إلى شيء آخر، واتجهت إليه بدافع الغريزة، لم يحلَّ صيدها لذلك الحيوان الذي لم ترسل إليه إلا بالتذكية.

[1] - صحيح البخاري- كتاب الحجّ- باب فضل الحرم- رقم ١٥١٠. لا يعضد: لا يقطع ولا يكسر. لا ينفّر صيده: لا يزعج من مكانه. لا يلتقط: لا يأخذ. لقطته: ما سقط فيه. عرّفها: نادى عليها حتى يجيء صاحبها، ولا يأخذها ليتملّكها.
[2] - الفقه المنهجي- ٤٧٠.
[3] - صحيح البخاري- الشركة- باب قسمة الغنم- رقم ٢٣٥٦. ومعنى أنهر الدم: أساله.
[4] - الفقه المنهجي- ٤٧٠.
[5] - كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار- تقيّ الدين الدمشقي- الطبعة الثانية- الجزء الأول- دار كرم- دمشق- ص١٤٠.
[6] - الفقه المنهجي- ٤٧١.
[7] - الفقه المنهجي- ٤٧١.

٢- أن تنزجر إذا زجرت، أي تتوقف إذا استوقفها صاحبها في أي مرحلة من مراحل عدْوِها واتجاهها نحو الصيد.

٣- أن لا تأكل شيئاً من الصيد إذا قتلته قبل أن تصل به إلى صاحبها الذي أرسلها. أما إذا أكلت منه بعد أن وضعته بين يديه وانصرفت عنه فلا بأس بذلك.

٤- أن يتكرر منها ذلك مرتين فأكثر، بحيث يغلب على الظن تعوُّدها وتعلمها ذلك. والعبرة في كونها قد اعتادت ذلك وتعلمته بظن أهل الخبرة في الصيد بالجوارح.

والأصل في اعتبار هذه الشروط لحلّ الصيد بهذه الجوارح قول الله عزّ وجلّ: **(قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلموهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم....)**[المائدة:٤].

ويرى القرطبي أن معنى ما علمتم هو صيد ما علمتم، وأن الإباحة تشمل جميع ما علمناه من الجوارح، وهو ينتظم الكلاب وسائر جوارح الطير والسبع، وذلك يوجب وجوه الانتفاع[1].

ومفهوم المخالفة يقتضي أنه إذا لم يمسك على صاحبه، بأن يأكل منه، فإنه لا يحلّ ولا يعد الاصطياد به عندئذٍ شرعياً. ويدل على ذلك من السنة ما رواه عديّ بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أرسلت كلبك المعلَّم، وسمَّيت، فأمسك وقتل فكُلْ، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه[2]".

**هـ ـ شروط صحة الذبح:**

يقصد بها الأمور التي لا بد من توفرها ليسمى الذبح تذكية، وليكون الحيوان المذبوح مذكّى. وهي في ثلاثة أقسام:

- شروط تتعلق بالذابح:

١- أن يكون مسلماً أو كتابياً، فإن كان الذابح غير مسلم وغير كتابي، وذلك بأن يكون مرتدّاً أو ملحداً أو مجوسياً لم تحلَّ ذبيحته. ودليل حل ذبيحة المسلم قوله تعالى: **(إلاّ ما ذكيتم)**[المائدة:٣] وهو خطاب للمسلمين. ودليل حل ذبيحة الكتابيّ قوله تعالى: **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)**[المائدة:٤٥]. والمراد بالطعام هنا الذبائح. أما دليل عدم حل ذبيحة الكفار ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "كتب إلى مجوس هَجَر يعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم قُبل منه، ومن أبى ضُربت عليه الجزية، على أن لا تؤكل

---

1 - الجامع لأحكام القرآن- ٣١/٦.

2 - الفقه المنهجي- ٤٧٢. وصحيح البخاري- الذبائح والصيد- رقم ٥١٦٧.

لهم ذبيحة، ولا تُنكَح لهم امرأة[1]". فإذا كان هذا هو الحكم بالنسبة إلى المجوس فإن المرتدين والوثنيين والملحدين أولى بذلك منهم لأنهم أوغل في الكفر.

٢- أن لا يكون الكتابي ممن أصبح هو أو أحد آبائه كتابياً بعد التحريف أو النسخ. فالملحد إذا تنصَّر اليوم لا تحل ذبيحته، وكذلك النصراني أو اليهودي الذي عُرف أن أجداده الأقدمين كانوا وثنيين مثلاً ثم تنصروا بعد التحريف أو بعد بعثة النبي، فإنه لا تحل ذبيحته. ودليل ذلك ما روي عن النبي عليه السلام أنه: "نهى عن ذبح نصارى العرب[2]". وعلة النهي أنهم دخلوا النصرانية بعد التحريف الذي طرأ عليها.

٣- أن لا يُذبح لغير الله عزّ وجلّ، أو على غير اسمه. فلو ذَبح لصنم أو مسلم أو نبيّ لم تحل ذبيحته. ودليل ذلك قوله تعالى في معرض ذكر ما حُرّم أكله: **(وما أُهِل لغير الله به)**[المائدة:٣].

فإذا توافرت هذه الشروط الثلاثة في الذابح حلت ذبيحته، من غير فرق بين أن يكون رجلاً أو امرأة، كبيراً أو صغيراً، بل لا فرق بين المميِّز وغيره، والسكران والمجنون وغيرهما، ما دامت طاقة الذبح موجودة وما دام القصد متوفراً في الذابح ولو في الجملة.

**ـ شروط تتعلق بالمذبوح:**[3]

١- أن يدرك الذابحُ الحيوانَ قبل الذبح وفيه حياة مستقرة، والمقصود بالحياة المستقرة أن لا ينتهي الحيوان بسبب مرض أو جرح أو نحوهما إلى سياق الموت، بحيث تصبح حركته اضطراباً كاضطراب المذبوح. فإن كان الحيوان قبل الذبح قد فقد الحياة المستقرة فإن ذبْحه عندئذٍ لا يعد تذكية ولا يُحِلُّ الذبيحة. ولا يعد سيلان الدم من عروقه بعد ذبحه دليل وجود الحياة المستقرة.

٢- قطع كل الحلقوم والمري. والحلقوم هو مجرى النفَس، والمري هو مجرى الطعام، فلو بقي شيء من أحدهما ولو يسيراً لم تحلّ الذبيحة. ودليل ذلك ما رواه البخاري عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه. ليس السنّ والظفر[4]". فقد شرط في الذبح ما ينهر الدم، وإنما يكون ذلك بقطع كلٍّ من الحلقوم والمري، فإن الحياة تفقد بقطعهما وتوجد بسلامتهما غالباً.

٣- الإسراع بالقطع وبدفعة واحدة، بحيث لو تأنى فبلغ الحيوان حركة المذبوح قبل قطع جميع الحلقوم والمري بطلت التذكية ولم تحل الذبيحة. وتعرف الحياة المستقرة بشدة الحركة بعد الذبح.

---

[1] - الفقه المنهجي- ٤٧٨.
[2] - الفقه المنهجي- ٤٧٩.
[3] - الفقه المنهجي- ٤٧٩.
[4] - صحيح البخاري- الشركة- باب قسمة الغنام- رقم ٢٣٥٦.

ـ **شروط تتعلق بآلة الذبح:**[1]

١- أن تكون الآلة مما يجرح بحده من حديد ونحاس وقصب وزجاج وحجر وغير ذلك. فلا تتم التذكية بما يقتل رضخاً بثقله كحجر غير محدد. ودليل ذلك حديث البخاري السابق: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه"، وإن ما ينهر الدم ما يجرح بحده، أما ما يقتل رضخاً بثقله فليس من شأنه أن ينهر الدم.

٢- أن لا تكون آلة الذبح سناً أو ظفراً، فلا تحل الذبيحة التي ذبحت بأحدهما، وإن كان جارحاً بما له من حد واستنزف الدم كله. وذلك لأن الذبح بأحدهما مستثنى بنص الحديث من عموم ما يجوز الذبح به، وهو قول النبي في الحديث السابق: "....ليس السن والظفر". ويدخل في حكم السن والظفر سائر أنواع العظام سواء كانت لآدمي أو غيره.

٣- أن يكون القصد في الذبح، فلو سقطت مدية على مذبح شاة أو احتكت بها فانذبحت، أو استرسلت جارحة بنفسها فقتلت، أو أُرسِل سهمٌ لا لصيد فقتل صيداً حَرُم[2].

ـ **ومما يسنّ عند الذبح:**[3]

١- ذكر اسم الله عزّ وجلّ عند الذبح. ودليل ذلك قول الله تعالى: **(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه)**[الأنعام:١١٨]. كما تسنّ التسمية عند إرسال السهم أو بعث الجارحة إلى الصيد. فلو لم يذكر الذابح اسم الله عزّ وجلّ عند الذبح وكانت شروط التذكية متوفرة، لم يضرّ ذلك شيئاً، لأن التسمية في الآية محمولة على الندب عند الشافعية.

٢- أن يحدَّ الذابح شفرته. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتِلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحَ، وليحُدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته[4]".

٣- استقبال القبلة عند الذبح، لأن القبلة أشرف الجهات، وإذا استُقبِلت القبلة بالذبيحة استقبلها الذابح أيضاً.

[1] - الفقه المنهجي- ٤٨١.
[2] - الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع- محمد الشربيني الخطيب- الجزء الثاني- دار الخير- بيروت ودمشق- ص٢٦٨.
[3] - الفقه المنهجي- ٤٨٥.
[4] - صحيح مسلم- الصيد والذبائح- رقم١٩٥٥.

**ثالثاً : فوائد الصيد ولذاته :**

الصيد قديم قدم البشر على سطح الأرض، فالإنسان منذ وجد دفعته غرائزه وحاجاته إلى البحث عن طعام يغتذيه، ومسكن يؤويه، ومورد يرتزق منه، فاصطاد ليأكل، وبنى ليستظلَّ ويسكن، ثم فكَّر بعد ذلك فيما يزرعه ويغرسه، ولذا قال أرسطو:" إن الصيد أول الصناعات اللازمة لبقاء الإنسان ثم يليه البناء والفلاحة "[1].

بيد أن إقامة الأود وسد الرمق ليسا السببين الوحيدين في مزاولة الإنسان للصيد وإقباله عليه، وإنما هناك أسباب أخرى هي ما يجده الصائد في القنص من متعة وما يحسه فيه من لذة قلما يلقى نظيراً لها في غيره من الهوايات.

" والصيد مظهر من مظاهر إثبات القوة والمهارة، دفع به الإنسان الجوع ونفّس عن غرائز المشاكسة والمقاتلة والقهر والغلبة"[2]، لذا وجد بعضهم فيه شبهاً بالحرب، وتدريباً عليها، وألفة لها، قال بعض الشعراء يصف أبناء الملوك، وقد استقامت لهم الدنيا، ولا يوجد ما يستدعي النهوض إلى الحرب:[3]

| | |
|---|---|
| **وجدوا في الصيد منها شبهاً** | **فابتغوها في معاناة الطرد** |
| **لتُرى عادتهم جارية** | **لهم باقية لا تُفتَقَد** |

وقد أجمع أهل العلم على أن الصيد ألذّ ما عرفه الإنسان من الصناعات وأجلّه وأطيبه وأقربه إلى طبيعة الإنسان. ووجدوا أن قلوب سائر البشر تُسَرّ به وتميل إليه. وإن كان سكان البادية والأطراف أشد ولعاً به لمُصاقَبَتِهم للوحش ومنازلتهم إياها، مما يجعلهم على الدوام لها ذاكرين، وبها متمثلين، ومنها طاعمين.[4]

ولعلّ السرّ في تعلّق الإنسان بالصيد واستمتاعه به هو أن النفس الإنسانية فطرت على تتبُّع ما عز عليها، وجبلت على الولوع بما بعُد عن منالها. فإذا ظفرت به بعد الجهد الجاهد، ونالته غبَّ الحيلة المضنية، كانت لذتها بالظفر به أكبر من لذتها بما انقاد لها بسماحة ويسر، وجاءها طوعاً يسعى إليها على قدميه" ولو أن الصيد وقع في يد طالبه لأول وهلة لنقص ذلك من لذته بنيله بالظفر به "[5].

ولو أن قائداً من المظفَّرين الفاتحين هلك عدوُّه قبل أن ينازله، أو انخذل قبل أن يحاربه فجاءه ضارعاً إليه طالباً أمانه، ما كان مقدار سروره بذلك كما لو نازله فقهره، أو بارزه فأسره. ولو أن ملكاً أهدي إليه في

1 - البيزرة – الحسن بن الحسين – تحقيق محمد كرد علي – مجمع اللغة العربية – دمشق – ١٩٥٢م – ص.٢٠
2 - شعر الطرد عند العرب – عبد القادر أمين – العراق- النجف- ١٩٧٢- ص١١ .
3 - البيزرة – ص ٢٨ .
4- المصدر السابق – ص ٣١ .
5- المصدر السابق - ص ٢٤ .

كل يوم عشرات الطرائد من جليل الطير وعظيم الوحش لم يبلغ سروره بذلك جزءاً يسيراً من اغتباطه بقـــُبَّرة ضئيلة يدأب في صيدها.

ولا فرق في الاستمتاع بالصيد بين العظماء والدهماء، ذلك بأنه يغدو للقنص رجلان متفاوتان: صعلوك ممزَّق الأردان، وملك عظيم السلطان، فينكفئ الصعلوك غانماً، ويرجع الملك غارماً، غير أنهما يشتركان في متعة الصيد ولذة الظفر.[1]

والفرق بين الملك المتصيِّد والقانص المتكسِّب هو أن الملك يطارد الوحش بخَيله وجوارحه وضواريه ولا يطلب غفلاتها، ولا يغتنم غَرَّاتها، وإنما يكافحها مكافحة وينازلها منازلة، أما القانص المتكسب فيغتالها بشباكه وحبائله، ويخفي شخصه عنها في القترة والناموس[2]، ويدفن صوته في صدره، ويحبس أنفاسه، حتى ليصحُّ فيه قول رؤبة:[3]

**فبات لو يمضغ شَرِيّـــاً ما بصق**

ثم إن الصيد إلى جانب ما يحفل به من متع ولـَذاذاتٍ تتحقق فيه للصائدين عظيم الفوائد وجليل المنافع، وليس هو– كما يزعم بعض الزاعمين – ضرباً من ضروب الترف وباباً من أبواب اللهو، يُسلك الملوك وذوي السلطان مع أرباب البطالة فيفني أعمارهم فيما لا ينفع، ويستنفد طاقاتهم بما لا يجدي، ويشغلهم عما ناطه الله بهم من شؤون البلاد والعباد[4].

ذلك بأن الصيد إذا مارسه صاحب السلطان في اعتدال، ولم يعطه من وقته أكثر مما يستحق، وأحله من حياته في المكان اللائق أفاد منه أجل الفوائد، وعاد عليه بأعظم المنافع.

فقد كانت ملوك فارس لهِجة بالصيد، ومن عادتهم أن يسمِوا الحمار الفتي باسم الملك الصائد وتاريخ صيده ليعرف الخلف صنيع السلف[5].

وقد سمّى العرب الصيد لذة[6]، فامرؤ القيس يقول[7]:

**كأني لم أركب جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخال**

وقديماً وقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان، فقال له: ما اللذة؟ فقال: كبائر اللذات أربع، فعن أيها تسأل؟ فقال: صفهن لي. قال: هل تصيدت قط؟ قال: لا، قال: فهل لك حظ في السماع والشراب؟ قال: لا، قال: فهل فاخرت ففخرت أو كاثرت فكثرت؟ قال: لا، قال فما بقي لك من اللذات[1]؟!

---

1- البيزرة – ص ٢٠ .
2 - القترة والناموس: مختبأ الصائد .
3 - لسان العرب (شرى) ، والشري : الحنظل .
4 - شعر الطرد – عبد الرحمن رأفت الباشا – دار النفائس – مؤسسة الرسالة- ص ١٣ .
5 - الحيوان- الجاحظ- تحقيق: عبد السلام هارون- دار الجيل- بيروت – ١٩٩٦- الجزء الأول- ص ١٤٠ .
6 - البيزرة – ص ٣٤ . وينظر : الوصف في شعر العراق- جميل سعيد- الطبعة الأولى- بغداد- ١٩٤٨- ص٢٠٤ .
7 - ديوان امرئ القيس- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- مصر- الطبعة العاشرة- ١٩٧٦- ص ١٤٣ .

ولقد عدد المنكلي فوائد عشراً للصيد، ففي ممارسته تمرين للخيل، ورياضة للنفس، ولذة في غير محرم، واكتساب شجاعة، ومعرفة ذوي الألباب، ويبعد الصائد في وقت صيده عن الذنوب، والاستغناء بالصيد عن الأكل في غير وقت الحاجة، وفيه أيضاً تقوية للفكر[٢].

فالصيد بالنسبة إلى الملوك والقواد والولاة لون من ألوان الحرب في زمن السلم، يتمرسون به على ركوب الخيل صعوداً وانحداراً، كراً وفراً، وهو يشحذ هممهم، ويعلي عزائمهم، ويحليهم بالصبر والأناة، ويعلمهم الاحتيال على الخصم، ويمرّن خيلهم بالطراد، وهو إلى ذلك يحلل فضول أبدانهم، ويزيل عنها بالحركات ما يصيبها من أوجاع، ولذا قيل: " قلما يعمش ناظر زهرة، أو يَزْمَنُ مبتغي طريدة "[٣].

ثم هو بالنسبة إلى غير الملوك سبيل من سبل العيش الكريم، ووسيلة إلى كف النفس عما في أيدي الناس، وحقن ماء الوجه وصونه.

فما أكل ابن آدم طعاماً أهنأ ولا أمرأ من كدّ يمينه، ولعل من أجمل ما قيل في كسب العيش من كدّ اليمين في الصيد ونحوه ما قاله أحد العلماء يستعفي من هدية جاءته من أحد الرؤساء:[٤]

**قد جاءت الورْق التي وقَّرْتَها — والريمُ والسَّرجُ المُحلَّى والفرسْ**

**والبغلةُ السفواءُ والخِلَعُ التي — كانت كعِرضك ليس فيه منْ دَنَسْ**

**لكنْ أبت لي أن أروحَ وأغتدي — كَلاً على الإخوان أخلاقي الشُّمُسْ**

**لا أستلذُّ العيشَ لم أدأب له — طلباً وسعياً في الهواجرِ والغَلَسْ**

**وأرى حراماً أن يواتيني الغنى — حتى يُحاوَلَ بالعناء ويُلتَمَسْ**

**فاحبِس نوالك عن أخيك موفِّراً — فالليث ليس يُسيغُ إلا ما افترَسْ**

ثم إن أشرف الغذاء اللحم، وأفضل اللحوم ما استدعته الشهوة، وليس هناك أدعى للشهوة وأسرع في الهضم من لحم الصيد المطرود المكدود، لأن ذلك ينضجه ويهرئه، ويبعث في النفس من الشهوة إليه والتشوف له ما لا يكون لغيره من المطاعم، فإذا وافى المعدة بعد هذه المقدمات استمرأته في أسرع وقت، وكان ذلك سبباً في تغيير طبعه– إذا كان غليظاً – ونفي ضرره إن وُجد فيه شيءٌ من الضرر[٥].

---

[1] - البيزرة- ص ٣٠ .
[2] - أنس الملا بوحش الفلا- محمد المنكلي – باريس – ١٨٨٠- ص ١٩ .
[3] - البيزرة – ص٢٤ . وأنس الملا – ص ١٨ . ويَزْمَنُ: يمرض مرضاً يدوم طويلاً.
[4] - البيزرة – ص٢٧ .
[5] - المصدر السابق – ص٢٢ .

**رابعاً : حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه :**

سخّر الله الحيوان للإنسان، وجعله متاعاً له وزينة، فبعضٌ يمتطيه، وبعضٌ يغتذيه، وبعضٌ يقتنيه.

ويسَّر له الصيد، وسهَّل أمامه سبله، فخلق له من الحيوانات أنواعاً أغراها بغيرها، ومنحها من آلة الخِلقة وسلاح البُنية وقبول التأديب وحسن الآلة وكمال الاستجابة ما لا يخطر ببال كالفهد والبازيّ ونحوهما من الجوارح والضواري.

وحباه من العقل ما مكنه من التغلب على أقوى الحيوانات، وتأنيسِ وحشيِّها، وتضريةِ سباعها وتسليط بعضها على بعض، وجنْي ثمرات ذلك كله لنفسه ولمن معه.

غير أن الصائد لا يستطيع أن يستفيد من هذه النعمة – نعمة تسخير الحيوان للإنسان – ما لم يقف على طبائع الحيوانات، ويدرك مواطن قوّتها وأماكن ضعفها، فقد أودع الله فيها من عظيم الصنعة، وحباها من غريب المعرفة ما جعل صيدها والانتفاع بها وَقفاً على من يعرفها ويدرك كنهها تمام الإدراك.

" فلكل صنف من أصناف الحيوان احتراس وتكسُّب ورَوَغان من الباغي عليه، واحتيال لما أراد صيده، فهو يحتال لما هو دونه، ويحتال لما هو فوقه، ويختار الأماكن الحصينة ويعتصم بها ما منعَته، فإذا أنكرها استبدل بها غيرها "[1].

ثم إن لكل صنف من الجوارح ضرباً من الطرائد ترومه وتبتغيه، وضرباً تخشاه وتتقيه، وطبيعة الحيوان بعامة تقوم على ثلاثة أمور:

أولها: طلب القوت لسدّ الرمق وحفظ الجسد، وذلك يدفعها إلى الاحتيال لكسب الرزق.

ثانيها: استشعار الحذر توقياً للمخاطر.

ثالثها: الكيد حرصاً على السلامة والبقاء وحفظ النوع.

بيد أن هذه الأمور الثلاثة لا تتوافر دائماً لسائر الحيوانات، ولكنها توجد دائماً في كل إنسان[2].

والعداوة بين الحيوانات نوعان: حقيقية وعارضة.

أما الحقيقية فهي التي تكون بين الحيوانات الآكلة والحيوانات المأكولة، والصنف الأول أكثر حيلة وأبلغ مكيدة وأحد شوكة. أما الصنف الثاني فهو أكثر خوفاً وأشد تحفظاً، ومن هنا كان الحذر آصِلاً في طباع المأكولات، لاستغناء الآكلات عنه وقلة حاجتها إليه[3].

وأما العداوة العارضة فهي التي تقوم بين ذكور النوع الواحد بسبب الصراع على الإناث.

---

1 - الحيوان – ٥٥/٧ .

2 - المصايد والمطارد- كشاجم- تحقيق محمد أسعد طلس- مطبعة دار المعرفة- بغداد- ١٩٥٤- ص٤١ .

3 - المصدر السابق- ص ٤١ .

هذا وإن لكل صنف من الحيوانات الآكلة صنفاً تُغرى به من الحيوانات المأكولة، فهي إليه أسرع وعليه أقدر [١].

وعلى الصائد أن يكون واقفاً على ذلك كله، واضعاً نصب عينيه الإفادة منه، بحيث يرمي كل صنف بحجره، ويواجه كل مرغوب براغبه، ولا يحمل جارحاً أو ضارياً على خلاف طبعه، ولا يكلفه فوق طاقته، فلا يطلق البازي على الكراكي[٢]، ولا يرسل الكلب على الأيل[٣]، ولا يبتغي الثور الوحشي بالفهد، وإنما يسلط جوارحه وضواريه على الطرائد التي هي دونها قوة وأقل منها قدرة ليحتفظ بشهوتها للصيد ويستبقيَ حرصها عليه، فلا تزال مشبوبة القدرة موفورة الضراوة عظيمة الثقة بنفسها، وهذا مِلاك أمر الصيد وغاية المعرفة به ونهاية الحزم فيه[٤].

ثم إنه لا بد للصائد من أن يعلم أن لكل حيوان سلاحه الذي يدافع به عن نفسه، ويصول به على عدوه، وأنه إذا ما استشعر الخطر فزع إلى سلاحه كما يفزع المقاتل إلى سيفه، فالحُبارى تعلم أن سِلاحها في سُلاحها لذا فهي تحتفظ به في خزانة في جوفها، وتعرف أن فيه من اللزوجة والتدبيق الشيء الكثير، فإذا رامها الصقر يبتغي صيدها قذفت به عليه فيلتصق بعض ريشه ببعض ويتكتف جناحاه حتى لا يستطيع حراكاً فتجتمع عليه الحباريات وينتفن ريشه طاقةً طاقة حتى يَعرى ويموت[٥].

والصقر يعرف ذلك من الحبارى، فهو لا يزال يلقاها عن جنبها ويدخل من تحتها ويعلو من فوقها حتى تقذفَ ذُرْقَها، فإذا قذفته ولم تصبه انقض عليها وأخذها[٦].

والكلب والذئب يعلمان أن سلاحهما في شدقيهما، والثور والأيل يعلمان أن سلاحهما في قرونهما لا سلاح لهما غيرها، فإذا سقطت قرون الأيّل استتر عن الحيوانات وتحاشى أماكن وجود القانصين إلى أن تنبت قرونه[٧].

والأسد يعلم أن سلاحه في قوة لبدته، وبُعد وثبته، وحِدة مخلبه، وعضة نابه، ورَهبة زئيره، وتَوَقُّد عينيه، وما له في صدور الإنسان والحيوان من الرهبة، وأنه يملك مع ذلك القدرة على اللصوق بالأرض وحبسِ عدوِّه بإحدى يديه ودَقِّ عنقه وحطمِ صُلبه باليد الأخرى، إلى ما يتحلى به من سرعة العدو والصبر على الجوع واحتمال الظمأ[٨].

---

[1] - المصايد والمطارد - ص٤٢ .
[2] - الكركي: طائر من أعظم الطير في حجم الإوزة .
[3] - الأيل: صنف من البقر الوحشي قريب من الظباء.
[4] - المصدر السابق – ص ٤٢ .
[5] - الحيوان – ٦/٧ .
[6] - المصايد والمطارد- ٨٥ .
[7] - المصدر السابق – ٤٣ .
[8] - المصايد والمطارد – ٤٥ .

وليس في الحيوان ما هو أدرأُ حيلة وأقل قدرة في الدفاع عن النفس من الغنم، ذلك لأن الله جعلها لكفاية الناس ووصَلها بحاجاتهم[١].

ولا بد للصائد من أن يعلم أن في الحيوان من الذكاء والفطنة ما هو كفيل بدفع الشر عنه، وجلب الخير له، لذا كان عليه أن يفطن لفطنته وأن يحسب حساباً لذكائه.

فالوعل مثلاً إذا أحس بالقَنّاص وهو في مكانه المرتفع استلقى على ظهره، وقذف بنفسه من شاهق الجبل فينحدر من الأعلى إلى الأسفل معتمداً على قرونه الممتدة ما بين رأسه وعجزه، فهي تقيه ألم الحجارة لصلابتها وتعجل في هبوطه لملاستها[٢].

والثعلب كثيراً ما يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يُظن به أنه قد مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه فصاده، ومن طريف حيله التي تَنُمُّ على عظيم ذكائه أنه إذا كثرت في جسده البراغيث ونغَّصتْه تناولَ قطعة صوف بفمه ثم دخل الغدير أو النهر برفق وتدرَّج في غمس جسده في الماء بأناة فتصعد البراغيث من الجزء المبتل من جسده إلى الجزء اليابس، فإذا انغمس كلُّه في الماء اجتمعت في قطعة الصوف، وعند ذلك يلقيها في الماء ويخرج[٣].

ونحن لو رحنا نعدد طرائف الحيوان ونذكر نوادر ذكائه وبدائع حيله لطال بنا القول.

[1] - المصدر السابق – ٤٥ .
[2] - نهاية الأرب – النويري- دار الكتب – مصر- ١٣٥١هـ- ٣٢٩/٩ .
[3] - المصدر السابق – ٢٨٠/٩ .

# الفصل الأول:

## نشأة شعر الطرد وبدايات القصيدة الطردية

أ- الصيد عند العرب في الجاهلية.

ب- الصيد في القصيدة العربية الجاهلية.

ج- خصائص شعر الطرد قبل ظهور الطرديات.

د- نشأة شعر الطرد في زمن بني أمية.

هـ- بدايات القصيدة الطردية.

١- أبو النجم العجلي.

٢- الشمردل بن شريك اليربوعي.

٣- أبو نواس.

### أ ـــ الصيد عند العرب في الجاهلية:

عني العرب في جاهليتهم بالصيد عناية ملحوظة، ولا غروَ فهم أمة متبدّية تسكن الصحراء، ومن شأن أهل الوبر أن يعتمدوا على الصيد في حياتهم، وأن يتخذوا له أسبابه، وأن يبذلوا ما في وسعهم للتمرس به وإتقانه، فالصيد بالنسبة إليهم وسيلة من وسائل الرزق، ومتعة من متع النفس، وضرب من ضروب الحرب أيام السلم[1]، وهم أشد ما يكونون حاجة للرزق والمتعة والتدرُّب الدائم على القتال.

ومن يتتبّع الشعر الجاهلي يجده طافحاً بذكر الصيد وأخباره، حتى غدت المعارك التي تدور بين القانصين والغنائم والطراد الذي يقع بين كلاب الصائدين وثيران الوحش وحميره تقليداً من تقاليد الشعر الجاهلي وركناً من أركان القصيدة العربية القديمة.

كانت العرب تعلي من شأن القنص، وتمدح الرجل يأكل من صيد يده، وتَعُدُّ ذلك آية على أَنَفَته، وعلامة على زهده بما في أيدي الناس، وتأوّل بعضُ الرواة معنى امرئ القيس[2]:

**رُبَّ رامٍ مـــــن بنـــــي ثُعْـــــلِ — مـــــتلِجٌ كفيـــه فـــي قُتَـــرِه [3]**

**فهـــــو لا تُنمـــــي رميَّتُـــــهُ — مـــا لـــه لا عُـــدَّ مـــن نَفَـــره [4]**

**مطعـــــمٌ للـــــصيد لـــــيس لـــــه — غيرهـــا كـــسب علـــى كِبَـــره**

على المدح بإدمان الصيد[5].

وقد كانوا يرون أن طعام الصيد أكرم طعام، فقد روى كشاجم قول أحدهم:

**ولقد أبِيتُ على الطوى وأظلُّه — حتى أنالَ به كريمَ المأكل**

ثم أردف يقول:" وفسره بعض الرواة بأنه الصيد "[6].

ولم يقتصر الصيد عند العرب على ذوي الفاقة، وإنما مارسه الأغنياء والفقراء، وأولع به السادة والسوقة، فحمزة بن عبد المطلب عم الرسول الكريم صلوات الله عليه كـــان صاحب صقور يـــصيد بها، وكان إسلامه عند منصرفه من صيد وعلى يده صقر[7].

---

1 - البيزرة ـــ ص ٥ .

2 - ديوان امرئ القيس- ص ١٢٣ . وفي البيزرة برواية : مخرجٌ كفيه من ستره ـــ ص ٢٣ .

3 - متلج: مدخل. القترة: البيت الذي يكمن فيه الصائد للطرائد.

4 - لا تنمي: لا تخيب. لا عد من نفره: دعاء عليه على وجه التعجب منه.

5 - البيزرة ـــ ص ٢٣ .

6 - المصايد والمطارد ـــ ص ١٠ . والبيزرة ـــ ص ٢٣ .

٧- السيرة- ابن هشام- المكتبة التجارية- مصر- ١٣٥٦- ص ٣١٢ . والبيزرة ـــ ص ٤٠ .

وكما كان الفرس أول من ضرَّى البُزاة، وكان الروم أول من اصطاد بالشاهين والعُقاب، كان العرب أول من ضرَّى الصقور وصاد بها، حيث أجمع الباحثون في البيزرة على أن أول من صاد بالصقر وضرّاه: الحارث بن معاوية بن ثور بن كِنْدة[١]. ومن هنا قال الجاحظ: " إن الباز أعجمي والصقر عربي "[٢].

أما الكلاب فقد عني العرب بها في جاهليتهم عناية ملحوظة، واعتمدوا عليها في الصيد اعتماداً كبيراً، فقد كانت لعامر بن عنترة كلاب وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمت قبره حتى ماتت عنده[٣].

وقد بلغ اهتمام العرب بكلاب الصيد وبخاصة السلوقية منها أنهم كانوا ينسبونها كما ينسبون الخيل[٤]. لقد انصبّت عناية العرب بالصيد على صيد البر والجو، أما صيد البحر فليس له عندهم شأن يذكر، ذلك لأنهم في كثرتهم أمة بدوية تسكن الصحراء وتتنقل فيها، وليسوا بأمة تغشى البحار وتفيد من صيدها.



[1] - مروج الذهب- المسعودي- دار الرجاء – بغداد – ١٩٣٨- ١/١٦٠ وما بعدها . ونهاية الأرب – ١٩٦/١٠ .
[2] - الحيوان – ٤٧٨/٦ .
[3] - فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب- المرزبان- تحقيق عبد الرحمن ويسي- دار اليمامة- دمشق وبيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٥- ص ١٠ .
[4] - المصايد والمطارد – ص ١٣١ .

**ب ــ الصيد في القصيدة العربية الجاهلية:**

يتجلى في جلّ ما وصلنا من الشعر الجاهلي مقطع الصيد على أنه أحد أركان القصيدة الجاهلية، وسأمثّل لذلك بمعلقة امرئ القيس، ودالية زهير، وعينية أبي ذؤيب، ففيها ألوان من شعر الصيد مختلفة، فامرؤ القيس في معلقته يقف على ديار أحبته وأطلالها باكياً جزعاً، ثم يمضي في تعداد محبوباته متذكراً وذاكراً أخباره معهنّ، بعد ذلك كله يعرض لهمومه وأحزانه وليله الطويل المليء بالمعاناة والألم، ثم يخلص من ذلك كله إلى نعت جوداه الممتلئ حيوية ونشاطاً، وهو أساس مشهد الصيد في المعلقة:[1]

**وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجــردٍ قيــد الأوابــد هيكــل**

**مكــرٍّ مفــرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل**

**دريــرٍ كخذروف الوليد أمرّه تقلّــب كفّيــه بخيــطٍ موصّــل**

ثمّ راح يصف الصيد بهذا الجواد:

**فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دراكاً ولم يُنضَح بماءٍ فيُغسَل**[2]

وينتهي مشهد الصيد في المعلقة بفرحة كبرى، فقد عاد امرؤ القيس ومعه صحبه الكرام، وتناثر الوحش المصيد حول خبائهم، فكانت الراحة الكبرى بعد عناء الصيد:

**وظلّ طُهاةُ اللحمِ من بين مُنضِجٍ صفيفَ شواءٍ أو قَديرَ مُعَجَّلِ**[3]

أما داليّة زهير[4] فقد بدأها بالتغزّل بــ(أم معبد) ثم لاذ بظهر ناقته، ومنها خلص إلى فقرة الصيد حين شبهها ببقرة وحشية خنساء الأنف، كريمة الشمائل، مذعورة على صغيرها:

**كخنساءَ سعفاءِ المَلاطمِ حُرَّةٍ مسافرةٍ مزؤودةٍ أمِّ فَرْقَدِ**[5]

أضاعت ولدها الذي خفّت إليه السباع فافترسته في غفلة منها، وحين جدّت في البحث عنه وجدت دماً متناثراً، وأشلاء مبعثرة، وقطع لحم في جلد تتناوشها الطيور:[6]

**أضاعت، فلم تُغفَرْ لها غفَــلاتُها فلاقت بياناً عند آخرِ مَعهَدِ**[7]

**دماً عندَ شِلْوٍ تَحْجِلُ الطّيرُ حولَه وبضْعَ لِحامٍ في إهابٍ مُقَدَّدِ**[8]

---

[1] - ديوان امرئ القيس- ص١٩.
[2] - العداء: الموالاة والمتابعة، لم ينضح بماء: لم يعرق، يقول: إنه قد والى في عدوه بين الثور والنعجة وصاد قبل أن يعرق ويجهد.
[3] - الصفيف: المرقّق من اللحم، القدير: ما يطبخ في القدر.
[4] - ديوان زهير- ص٢١٩.
[5] - الخنساء: التي فيها خنس، وهو تأخر الأنف في الرأس، السفع: سواد في حمرة، الملاطم: الخدود، المزؤودة: المذعورة، الفرقد: ولد البقرة.
[6] - ديوان زهير- ٢١٩.
[7] - أضاعت: تركت وغفلت، لاقت بياناً: أي استبانت، آخر معهد: آخر موضع عهدته فيه وتركته عنده.
[8] - الشلو: بقية الجسد، إهاب: جلد، مقدد: ممزق.

وظلّت تتردد بين الخمائل في حركة قلق وندامة، ذهاباً وإياباً، وراحت تتحرّى المخابئ لترى إذا كان فيها من يتربّص بها من الرُّماة، وحين بصرت بهم وقد أطلقوا كلابهم نحوها، تذكرت مصيبتها بولدها فأسلمت قدميها للريح لا تلوي على شيء، فسبقت مَن خلفها من الكلاب، وطعنت من أمامها:

**تبذُّ الأُلى يأتينَها من ورائها وإنْ تتقدَّمْها السَّوابقُ تَصْطَدِ**[1]

لقد نجت من الموت بفضل سرعة لا مثيل لها، وقرن صلب أُعِدَّ لذود الأعداء وضمان الحياة:

**نجاءٌ مُجِدٌّ ليس فيه وتيرةٌ وتذبيبُها عنها بأسحَمَ مِذْوَدِ**[2]

ثمّ ينتهي المشهد عند الشاعر بانتصار البقرة ونجاتها، وخطوط من دماء الكلاب على نحرها:

**كأنّ دماء المُؤسَداتِ بنحرِها أَطِبَّةُ صِرْفٍ في قَضيمٍ مُسَرَّدِ**[3]

أما عينية أبي ذؤيب[4] فقد جاءت فقرة الصيد فيها في معرض الرثاء، واتخذ الشاعر منها وسيلة للتأسّي والعزاء، ذلك لأنه قالها لما أصاب الطاعون أولاده الخمسة، فهلكوا جميعاً في عام واحد[5]. بدأ الشاعر قصيدته بذكر فداحة الخطب وعجزه عن مدافعة الموت، ثم تحدث عن تجلده أمام الشامتين، ثم انتقل إلى التأسي بهلاك الحمار الوحشيّ مع أُتنه على يد الصائد، فقال:[6]

**والدهرُ لا يَبقى على حَدَثانِهِ جَوْنُ السراةِ له جَدائدُ أربعُ**[7]

ثم راح يصف هذا الحمار وحياته الرافهة الآمنة المطمئنة، فلما حان حَيْنُه جفت مياه غدرانه، فاضطر إلى ورود العيون التي يكمن عندها الصائدون:

**حتى إذا جَزَرَتْ مياهُ رُزُونِهِ وبأيِّ حين ملاوةٍ تَتَقَطَّعُ!**[8]

**ذَكَرَ الوُرودَ بها وشاقى أَمْرَهُ شُؤماً، وأقبَلَ حَيْنَهُ يَتَتَبَّعُ**[9]

فقاد أتنه إلى المورد الذي كمن فيه الموت، وحين ارتابت مما سمعت من أصوات الصائدين، انطلقت لتنجو بنفسها، فمرت قرب الصائد، فرماها وجعل يسقطها تباعاً، أما الفحل فقد استقرّ السهم في جوفه:

**فبـدا له أقـرابُ هذا رائـغاً عجـلاً، فعيَّثَ بالكِنانةِ يُرجِعُ**[10]

---

[1] - تبذّ: تسبق.

[2] - نجاء مجد: سير ليس فيه تلبُّث وفترة، التذبيب: الدفاع، المذود الأسحم: القرن الأسود العدّ للدفاع.

[3] - المؤسدات: المغريات بالصيد، أطبة: سُيُور، الصرف: صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال، القضيم: الجلد الأبيض، المسرد: المخروز بالمخرز.

[4] - انظر ترجمته في: الطبقات لابن سلاّم: ١١٠، والأغاني: ٢٦٤/٦، وخزانة الأدب: ٢٠٣/١، ومعجم الأدباء: ٣٨/١١.

[5] - شرح أشعار الهذليين- ٤/١.

[6] - شرح أشعار الهذليين- ٤/١-١١.

[7] - جون السراة: يعني حماراً وحشياً، والجون: الأسود. السراة: الظهر. الجدائد: جمع جَدود وهي الأسنان.

[8] - جزرت: غارت. الرزون: مفرده رَزْن: الموضع الغليظ الذي يمسك الماء وفيه طمأنينة. بأي حين ملاوة تتقطع: يتعجب من انقطاع الماء عنه حين لا يُصبَر على انقطاعه. والملاوة: أي ملياً من الدهر.

[9] - شاقى أمره: من الشقاء. يقول: لما أتى الماء وارداً أقبل الحين يظهر له. يتتبع: أي جعل يتتبع حَين نفسه.

[10] - فبدا له: أي للصائد. أقراب هذا: أي أقراب الفحل، والقربان: الخاصرتان. عيّث: مد يده إلى الكنانة ليختار سهماً منها.

فرمى فألحقَ صاعِدياً مِطْحَراً        بالكَشْحِ فاشتملتْ عليه الأضلُعُ[1]

ثم انتقل من التأسي بهذا العير وأتنه إلى التعزي بثور وحشي:

والدهرُ لا يبقى على حَدَثانه        شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الكلابُ مُرَوَّعُ[2]

ثم راح يصف يقظة هذا الثور، غير أن اليقظة والحذر لا يمنعان من وقوع القدر، ففي ليلة مطيرة دارت معركة بينه وبين كلاب الصيد، أبدى فيها بطولاته، فصرع بعضها وراح بعضها الآخر يعوي ويستخذي، فبادر الصائد إلى إنقاذ ما بقي حياً من كلابه، فرماه بسهم رقيق الشفرات، فكبا الثور كما يكبو فحل إبل صلب:

فدنا له ربُّ الكلابِ بكفِّه        بِيضٌ رِهافٌ ريشُهُنَّ مُقَرَّعُ[3]

فكبا كما يكبو فنيقٌ تارزٌ        بالخَبْــتِ، إلا أنه هو أبرعُ[4]

ينفعل الشاعر بمشهد الصيد عامة فيحاول تصويره، ويبذل قصارى ما يستطيع ليجمع أطراف الحوادث، وقد لا يحاول أن يربط بين هذه الحوادث بسمط واحد، ويكون شأنه شأن الطير يلتقط من هنا وهناك، يرصّع تجربته بلمحات من أفكار تخطر في ذهنه، يدفعها إلى السطح من أعماق اللاوعي تداعي الخواطر أحياناً، وتفرضها أحياناً وقفة يستريحُ بها الشاعر قليلاً، لهذا نجد عند الجاهليين عامة نفــَساً قصيراً في رسم أي مشهد من مشاهد الحياة، وفي جملتها مشاهد الصيد، إذ إنه يعبِّئ حواسه كلها من أجل عملية البناء الشعري، ذلك أسلوب وسنة مبعثه ولع الشاعر في أن يلمَّ بأطراف الأشياء، وأن تتسع عدسته حتى تحوي ما تبصره العين بأبعاده المختلفة، لهذا " كانت القصيدة الجاهلية أقرب ما تكون إلى الموسوعة منها إلى أي عمل آخر، ففيها الغزل وفيها الوصف وفيها الفخر إلى جانب المديح، وفيها ما تيسر من حكم ومواعظ.

فلهذا لا يستطيع الباحث أن يطمع في أن يجد صورة متكاملة لمشاهد الصيد في هذا العصر، وحتى في العصرين التاليين – الإسلامي والأموي– وإنما هي إشارات متفرقات بين أبيات المختلفة، فإذا ضممت بعضها إلى بعض استقام لك مشهد."[5]

---

[1] - الصاعدي: السهم المنسوب إلى صعدة وهي ثرية، أو نسبة إلى رجل يقال له صاعد. الطحر: البعيد المدى السريع الذهاب. والمطحر من السهام: الذي أُلزقت قُذَذُه أي دقت.

[2] - الشبب: الثور المسن الذي تمت أسنانه. أفزته الكلاب: استخفته وأذهبت قلبه.

[3] - الرهاف: الرقاق الشفرات. المقرع: المنتوف.

[4] - الفنيق: الفحل من الإبل. التارز: الميت الذي قد يبس. الخبت: المكان المستوي. أبرع: أضخم وأعظم.

[5] - شعر الطرد عند العرب- عبد القادر أمين- ٢٩٠-٢٩١ .

ج ــ **خصائص شعر الطرد قبل ظهور الطرديات:**

أول ما يلفت نظر الدارس شدّةُ عناية الشاعر العربي بمشاهد الصيد وإكثارُه منها حتى أوشكت أن تكون عنصراً من عناصر القصيدة العربية القديمة، وفقرة من فقراتها، فأكثر قصائد امرئ القيس وزهير والنابغة ولبيد وأضرابهم من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام قد اشتملت على مشهد الصيد بصورة أو بأخرى ، ذلك بأن القصيدة العربية القديمة إذا وضعت في صورتها المتكاملة، فلا بدّ من أن يستهلها الشاعر بذكر الأطلال والديار، وذلك يفضي به إلى الحنين للمحبوبة والتغزل بها، ثم يتخلص من ذلك إلى وصف سَيْره في القفار وقَـطعِه المفاوزَ، وهذا يقوده غالباً إلى وصف مطيّته، فإذا كانت المطية الناقة فهو كثيراً ما يشبهها بحيوان من حيوانات الصحراء المعروفة بقوّتها وشدة مراسها وسرعة عدوِها كالعير وأُتُنِه، والثور الوحشي ومهاته، والنعام. وإذا كانت المطية الجوادَ فهو كثيراً ما يُجري بينه وبين تلك الحيوانات طِراداً عنيفاً قاسياً، ثم يجعل غرضه الأساسيَّ من مدح أو فخر أو هجاء في آخر القصيدة.

ومشهد الصيد على هذا يأتي في إحدى حالتين اثنتين:

أولاهما: عند نعت الحيوان الوحشيّ الذي شُبِّهَتْ به الناقة، ذلك بأن من مظاهر قوتها أن يكون الحيوان الذي شُبِّهت به تامّ الخَلق، حادّ النشاط، شديد المِرَّة، صعب المِراس، ومن آيات ذلك كله أن يتعرَّض هذا الحيوان لكلاب الصائدين الضارية، أو سهام القانصين النافذة، فيفتك بالكلاب وينجو منها بنفسه، ويحيد عن السهام ويفوز بحياته.

وثانيتهما: عندما تكون المطية الجواد حيث يُجري الشاعر بينه وبين حيوان آخرَ من تلك الحيوانات طراداً يبدو فيه عتق الجواد وكرمُه وحِدَّتُه وشدّتــُه وسرعتــُه، وينتهي هذا الطراد حتماً بتفوّق الجواد على الحيوان المطرود وإدراكه وإصمائه بطعنة نافذة من سنان الفارس الذي يمتطي صهوته أو بضربة قاضية من سيفه.

وعلى هذا، فإن مشهد الصيد في هذه القصائد ليس إلا غرضاً من أغراضها المتعددة التي أشرنا إليها، وليس غاية من الغايات التي يَقصد إليها الشاعر، كما هو الشأن بالنسبة إلى وصف الأطلال والتغزل بالمحبوبة والتفاخر بقطع المفاوز في الهاجرة، وإنما هو وسيلة إلى تحقيق غرض ألا وهو الإشادة بالمطية ناقةً كانت أم جواداً.

وقد تكون الغاية من إيراد مشهد الصيد في القصيدة القديمة التعزّي والتأسّي، ويحدث ذلك في مقام الرثاء، حيث يذكر الشاعر فداحة الخطب الذي ألمّ به، وعظم المصيبة التي نزلت بساحته، ويعلن ضعفه أمامها وعجزَه عن ردّها، ثم ينتقل من ذلك إلى تعزية نفسه وتسليتِها بسرد ما أصاب غيرها من مصائب،

وإشعارها بأنها ليست واحدة ً في التعرّض لنوائب الدهر الذي لا يصمد أمام حَدَثانه أحد، كما في عينية أبي ذؤيب[1]:

**والدهرُ لا يبقى على حَدَثانه — مُسْتَشْعِرٌ حلَقَ الحديد مُقَنَّعُ**

وقد لاحظ القدماء شيئاً من ذلك، فقال الجاحظ في الحيوان وابن قتيبة في المعاني الكبير:[2]" ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مَرثية أو موعظة أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً، وقال الشاعر: كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا وكذا أن تكون الكلاب هي المقتولة".

وهي ملاحظة على صحتها تعوزِها الدّقة والشمول، لأن الأمر لا يتعلق بمديح أو غير مديح، وإنما هو منوطٌ بالغرض الذي سيق من أجله مشهد الطرد.

لقد برزت في شعر الصيد طائفة من المزايا كان لها أكبر الأثر في شعر الطرد بعد ذلك، تلك المزايا:

أولها: العناية الكبيرة بوصف الحيوان المَصيد ونعتِه نعتاً وافياً ألمّ بلونه وشكله وأعضائه ومَكْنَسه ونمطِ حياته ومراعيه ومواردِه وحلّه وارتحاله، وعَدْوِه وحَذَرِه وخُيَلائه على وجه أغنى بابَ الوصف في الشعر العربي غنىً كبيراً، وأعطى علماء الحيوان في كل عصر ثروةً لغوية ما زالوا يفيدون منها في كتب الطبِّ والبيطرة ويجدون فيها بغيتهم التي ينشدونها.

وثانيها: عنايةُ شعر الصيد بوصف الطراد الرائع المثير الذي كان يجري بين الحيوانات الصائدة والمَصيدة، وهي مشاهد أفاد منها شعر الطرد بعد ذلك فائدة كبرى فنسجَ شعراؤه على مِنوالها واقتفَوا آثارها.

وثالثها: العناية بوصف الإنسان الصائد والدخول إلى قرارة نفسه، وتصوير ما يعتمل فيها من انفعالات يبعث عليها الرجاء أو يثيرها الإخفاق، وهو جانب من جوانب الصيد جدير بعناية الشعراء، حَرِيٌّ بأن ينال قسطاً وافراً من عنايتهم واهتمامهم، فتأملْ هذه الصورة التي يصف فيها كعبٌ الصائد وقد أخطأ هدفَـه فكادت تذهب نفسُه حسرات على ما فرّط وجعل يَعَضُّ بنانه ندماً ويهتف في سره قائلاً: يا لهف نفسي على ما أضعت، ويدعو على إصبعه بأن يجتـَذَّها سيف قاطع[3]:

**يَعَضُّ بإبهامِ اليدين تَندُّماً — ولَهَّفَ سراً أمَّه وهو نادمُ**

**وقال: ألا في خيبةٍ أنتِ من يدٍ — وَجَذَّ بذي إثرٍ بَنانَكِ جاذِمُ**

[1] - شرح أشعار الهذليين- السكري- مكتبة دار العروبة- مصر- ٣٣/١ .
[2] - الحيوان- ٢٠/٢ . والمعاني الكبير – ابن قتيبة- حيدر آباد- الدكن بالهند- ١٣٦٨هـ- ٨٧ .
[3] - شرح ديوان كعب- السكري- دار الكتب- مصر- ١٣٦٩هـ- ١٠ .

ورابعها: إغناء مشاهد الصيد بطائفة من المواقف المكمِّلة مما وسَّع آفاقَــها، وأغنى صورَها، ونفى عنها الإملال. والذي يستعرض مشاهد الصيد في شعر الجاهليين يجد فيها كثيراً من هذه الصور الجانبية المساعدة، من أمثال وصفِ امرئ القيس للخيمة الطريفة التي نصبها هو وأصحابه ليَفيئوا إليها بعد الصيد ويريحوا تحت خِبائها أجسادهم[١]، ووصفِ زهيرٍ لليلة القاسية التي عانى فيها الثور الوحشي ما عاناه من شدة البرد وعصفِ الرياح ولَسْعِ المطر[٢].

وبعدُ، فإن فقرة الصيد في القصيدة التقليدية كانت غنية بالصور، حافلة بالأخيلة، مفعمة بالحركة، مما كفِل لها البقاءَ والنموَّ، وجعلها هي والنسيب أول مولودينِ ينفصلان عن أمهما ويكوِّنان لنفسيهما – منذ أوائل العصر الأموي – شخصيةً شعرية مستقلة تمثلتْ في بابَي الغزل والطرد[٣].

**د ــ نشأة شعر الطرد في زمن بني أمية:**

كــانت الــعرب في جاهــليتها أمةً متبدّيةً تعيش في الصحراء عيشَ الإملاق، ومــن طبيعة أهل الوبر إذا أملقوا أن يتخذوا من الحيوان مادةَ حياتهم الأولى، فيقتاتوا بلحمه إذا عضَّهم الجوع، ويصطلوا بعظمه إذا مسَّهم البرد، ويستنيروا بشحمه إذا أظلم عليهم الليل، ويتخذوا من أوباره غطاء وكساء، ويجعلوا من جلوده بساطاً وسِقاء.

وقد هدتهم فطرتهم إلى أن يؤنِّسوا وحشَّيه، ويروِّضوا نافره، وأن يسخِّروه لمنفعتهم إلى أبعد حدود التسخير، فيُسلــِّطوا بعضَه على بعض، ويضربوا ضعيفَه بقويِّه، ويجنوا ثمرات ذلك متاعاً لهم ولمن يَعولون.

وإذا كان جلُّ الصيد عندهم للحاجة فقد كان بعضه للهو والمتعة، يشغلون به فراغ حياتهم العريض، ويمتعون بلــَذاته نفوسهم الظامئة إلى اللذات.

وقد كانت وسائلُه وأدواته ضيِّقةً ضيق حياة البدوي، محدودة بحدود إمكاناته، فهي لا تعدو أن تكون قوساً وسهاماً وصقراً وكلاباً، وكانت الحيوانات المَصيدة محدودة أيضاً، فهي لا تعدو تلك الطرائد التي تعيش في الصحراء، والطيور التي تغشاها، وهي قليلة إذا قيست بحيوانات غيرها من البلاد التي حباها الله بالواحات الوارفة والأنهار الجارية والغابات المكتظة والأشجار الملتفة.

ثمّ أكرم الله العرب بالإسلام فما لبث قليلاً حتى جعل من سكان الوَبَر سكانَ مَدَر، وإذا الذي كان يصيد لسدّ الرمق يجد فيما أفاء الله عليه من غنائم الجهاد وأعطيات بيت المال ما يغنيه عن الصيد ألف مرة.

---

[1] - ديوان امرئ القيس- ٤١ .
[2] ديوان زهير- ٣٣ .
[3]- تطور مشهد الصيد ــ ١١٨

ومضى المسلمون على ذلك زمن الرسول الكريم وخلفائه الأربعة الراشدين.

ثم آل الحكم إلى بني أمية، وغدا المسلمون في بسطة من العيش وسَعة في الأرض، وسطوة في الملك.

وتصير الخلافة إلى معاوية رضوان الله عليه، ومن بعده إلى ابنه يزيد " وكان صاحب طرد وجوارح وكلاب"[1]، وكان مولعاً بالصيد مبتدِعاً فيه، فهو " أول من حمل الفهود على ظهور الخيل"[2]، والمجتمع الإسلامي في أول عهد بني أمية لم يكن مرتاحاً للصيد يتخذه الخلفاء والولاة وسيلة للهو وسبيلاً إلى العبث والمتعة، ويمكن أن نستشفَّ مدى المرارة والغيظ والأسى مما قاله عبد الله بن هشام السلولي عقب بيعة يزيد[3]:

**لقد ضاعت رعيتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلينا**

والصيد باب من الترف كبير، ومجال للإنفاق لا حد له، فصاحب البيزرة يقول:" إنه لا مؤونة أغلظ من تكلف آلات الصيد لأنها خيل وفهود وكلاب وآلات تحتاج في كـل وقـت إلى

تجديد، ومن هنا فإنه لا يشغف بالصيد إلا سخيٌّ"[4].

على أن الصائدين في زمن بني أمية لم يكونوا جميعهم ممن يتخذون الصيد وسيلة للهو وطريقاً إلى المتعة، وإنما كان هناك صائدون يصطنعون الصيد زهداً فيما عند الناس "ذلك بأن الصيد يؤثره رجلان متباينان في الحال، ملك ذو ثروة ، وزاهد ذو قناعة[5]". أما هشام بن عبد الملك فقد جعل للضواري صاحباً، كما كان للشرطة صاحب، وللحسبة صاحب، إذ رسم رسماً خاصاً بالصيد وجعل له في أعماله وعُماله نصيباً[6].

وورث الوليد بن يزيد الحكمَ عن هشام بن عبد الملك، كما ورث عنه ولعه بالصيد، فقد روى الطبري أن ولع الوليد بالصيد جاوز الحد " فقد جعل يكره المواضع التي يلقى فيها الناس، ولم يزل يتنقل من مكان إلى آخر ويتصيَّد حتى ثقـُل على الناس وعلى جنده .... فأجمع على قتله جماعة من قضاعة واليمامة"[7].

**ومما سبق نستطيع أن نقرر أموراً:**

أولها: إن طائفة من خلفاء بني أمية أولعت بالصيد وجوارحه وضواريه ولعاً شديداً أورد أحدهم مورد التهلكة، وإن بعض الأمراء وأصحاب الثراء غدَوا على دين ملوكهم في ذلك.

---

[1] - مروج الذهب- ١٩٣٨- ١٥/٣ .
[2] - أنس الملا- ص٧٢ . وينظر: تاريخ الأمم والملوك- الطبري- المكتبة التجارية ــ مصر- ١٩٣٩- ٢٢٤/٤ .
[3] - مروج الذهب- ٣٢٩/٢ .
[4] - البيزرة- ٢٠ . وينظر الأغاني- الأصفهاني- دار الكتب- مصر- ٢٣٦/١٠ .
[5] - البيزرة ــص٢٠ .
[6] - أنس الملا ــ ص١٧ .
٧- تاريخ الأمم والملوك ــ ٥٣٨/٥ وما بعدها .

ثانيها: أصبح للصيد وضواريه في عهد هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد شأنٌ في أعمال الدولة، وسُمِّي له صاحبٌ يقوم على رعايته.

ثالثها: وجود هذه الوظيفة في أعمال الدولة بعث على البحث والدرس التتبُّع لأحوال الجوارح والضواري والوقوف على شيء مما لدى الأمم الأخرى في هذا الشأن، وبذلك يكون الصيد قد دخل على يد بني أمية طوراً جديداً لا عهد للعرب به من قبل.

ورابعها: إن جمهور المسلمين لم يكن راضياً عن استهتار خلفائه بالصيد وانشغالهم به، لكن نظرة جمهور المسلمين هذه لم تغير من الأمر الواقع شيئاً كثيراً.

ومن هنا أصبح في وسع الدارس أن يقرر وهو مطمئنٌّ أن الصيد وجوارحه وضواريه أصبح يحتل مكاناً مرموقاً عند القادة السادة، وأن هذه الظاهرة الجديدة من ظواهر الحياة في القصور لا بد لها من أن تجد صداها لدى الشعراء الذين كانوا يلوذون بهذه القصور ويحيَون في كنف أربابها. وأن شعر الطرد نشأ في ظلال هذه الحياة الجديدة.

**هـ ـ بدايات القصيدة الطردية:**

**١- أبو النجم العجلي:**

هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله، وينتهي نسبه إلى عِجْل من ربيعة بن نزار، وكنيته أبو النجم[1]. ولد في أوائل خلافة معاوية، ونشأ في سواد الكوفة، حيث كانت منازل عجل[2]. ولما صلب عوده انتقل إلى البصرة فاتخذ منها سكناً ومن مِرْبَدها سوقاً يعرض فيها شعره وينافح في ميادينها عن قبيلته[3]. اتصل بطائفة من كبار شعراء عصره منهم رؤبة والعجّاج والفرزدق، وغالَبَهم فغلبهم[4].

لم تبق عوادي الأيام ديواناً لأبي النجم يرجع إليه شداة شعره، فشعره مبدّد شذرَ مذرَ، ومفرّق في بطون المعجمات وكتب اللغة والأدب والشواهد، وقلما يجد المرء لأبي النجم أرجوزة أو قصيدة كاملة أو قريبة من الكمال في أيٍّ من المصادر.

ومن يستقرئْ شعره المبدد هنا وهناك يجدْ أن جُله من الرجز، والقليل القليل منه ما يجري على غير الرجز، وهو حين يترك الرجز يؤثر من البحور الكامل ذا التفعيلات الثلاث المشابه للرجز، ومن هنا كان أبو النجم رجّازاً في المقام الأول[5].

ونحن إذا استقرأنا أراجيز أبي النجم وقصائدَه وجدنا أن موضوعاتها تدور أكثر ما تدور حول الفخر والمدح والغزل والهجاء، غير أن الطرد ووصف مشاهد الصحراء وما فيها من إبلٍ وخيل ونعام وأسود وأفاعٍ تحتل المقام الأول في شعره.

فهذه طردية سنقف عندها على سبيل المثال يخصصها الشاعر لوصف ضواري أمير من أمراء بني أمية، فقد روى صاحب الأغاني عن الأصمعي أنه قال[6]: حدّثني ابنُ أخت أبي النجم أن عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم: صِفْ لي فهودي هذه، فقال:

**إنّــا نــَزَلنا خير مَنــْزِلاتِ**

وعدة أشطار الطردية خمسةٌ وعشرون شطراً، وهي مُمَحَّضَةٌ كلها لموضوع واحد هو الطرد، ونحن سنعرضها فيما يأتي:

افتتح أبو النجم طرديته بذكر المنزل الذي أنزله فيه الأمير الأموي مع فهوده فقال:

---

[1] - الأغاني- ١٥٠/١٠ . والشعر والشعراء- ابن قتيبة- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ١٣٦٦ هـ - ٥٨٤/٢ .
[2] - الأغاني- ١٦٠/١٠ وخزانة الأدب- البغدادي- دار الكتاب العربي- مصر- ١٣٨٧هـ- ١٠٢/١ .
[3] - الأغاني- ١٥٠/١٠ .
[4] - الأغاني- ١٥١/١٠ . وطبقات فحول الشعراء- ابن سلاّم- دار المعارف- مصر- ٥٧٨ .
[5] - الحيوان- ٢٣/٤ . وطبقات فحول الشعراء- ٥٧٨ .
[6] - الأغاني- ١٦٠/١٠ . والشعر والشعراء- ٥٨٧/٢ .

لقد نزلنا منزلاً مُمْرِعَ الجنبات، جَمَّ الخيرات، وأقمنا فيه بين فهود ميمونة مباركَة الجَنى، ننعم بما تصيده من لحوم الوحش والطير، ونتذوق ما نشتهيه من طيباتها:

**إنـــّا نَزَلـــنا خيرَ مَنْزِلاتِ**

**بين الحُمَيْراتِ المُبـــارَكاتِ**

**في لحمِ وَحْشٍ وحُبَارياتِ**[1]

وكنا كلما رُمنا الصيد ونشدنا لَذاذاته ألفينا ذلك عند هذه الفهود السلسة الانقياد والتي لا تعصي لمُريغ الصيد أمراً، ولا تخيِّب لطالب الصيد رجاءً:

**وإن أردنا الصيد ذا اللَّذَّاتِ**

**جـــاءَ مُطيعاً بمُطاوِعاتِ**[2]

وهي فهود من كل نوع فمنها ما أُنـــِّس وحشياً، ومنها ما ضُرِّي داجناً، ومنها العالم بالفطرة، ومنها المعلَّم بالترويض، وأياً كان نوعُها فهي نجيبة قد انحدرت من أصلاب نجيبة:

**عُلـــِّمْنَ أو قد كُنَّ عالماتِ**

**فهي ضَوارٍ من مُضَرَّياتِ**

ثم ينتقل إلى جمال تلك الفهود فيقول:

متِّع ناظريك بجمال هذه الفهود، وعلِّق بصرك بمحاسنها، فإنها ستطرفك وتستصبيك بعيون كحيلة سال الكحل من آماقها خطوطاً سوداً حتى بلغ أشداقها:

**فـــسَكِّن الطَّرْفَ بمُطرِفاتِ**

**تُريـــكَ آماقاً مُخَطَّطـــاتِ**[3]

**سوداً على الأشداق سائلاتِ**

ثم يترك الشاعر ذلك إلى وصف صيدها فيقول:

وأنت إذا ما رُمت الصيد بهذه الفهود ووضعتَها في دروب الطرائد تَرَيَّثَتْ وتروَّتْ حتى يخيَّل إليك أن بها خوفاً من الوحش، وأنها لو نازلَتْه لكان هو الغالب ولكانت هي المغلوبة. عند ذلك تقول لها – والدهشة تملأ نفسك – ما بالك أيتها الفهود! مالي أراك ساهمةً لا تتزحزحين، واجمةً لا تتحركين! هل بلغ بك الخوف مبلغاً جعلك تتراجعين عن النزول إلى حلبة الطراد؟!

---

[1] - الحباريات: مفرده حبارى: وهو طائر طويل العنق أكبر من الدجاج .

[2] - الضمير في جاء عائد على الصيد- والمطاوعات كناية عن الفهود التي تطاوع على الصيد .

[3] - آماق: مفرده مؤق : مجرى الدمع من العين .

فلا تلبث أن تجيبك – بأفعالها لا بأقوالها – حين تسدّ على الطرائد السبُل وتأخذ عليها أفواهَ الطرق، حتى إذا غدت قبالتها شمّرت عن ساعد الجد ووثبت عليها وثبة شديدة وأخذتها أخذة واحدة، فإذا التيوس ملقاة على الأرض معفَّرة بالتراب مضَجَّعَة هنا وهناك، عند ذلك تعلم أن الطرائد ليست بسالمة:

**حتى إذا كُـــنَّ على المَجْراتِ[1]**

**حيث تظُـــنُّ الوحــشَ آخذاتِ**

**قـــال : أَلَــستُــنَّ بنازلاتِ**

**فـَسَكَــرَ الطُّــرْقَ بمُطرِقــاتِ[2]**

**ثم حَـــدَوْنَ الوحــشَ مُقْبِــلاتِ**

**فَــوَاثَــبَتْهُـــنَّ مُــشَــمِّـــراتِ**

**فلو ترى التُّيــوسَ مُضَجَّعـــاتِ**

**علمْـتَ أنْ لَسْـــنَ بسالمـــاتِ**

وما هو إلا قليل حتى جيء بالتيوس محمولة على ظهور الدوابّ، عند ذلك قلت: ألم تكن هذه الطرائد قبل لحظات ترتع وتلهو وتلعب وهي لا تحسب لطائف الموت حساباً؟ ما أدنى الموت من الحياة!:

**أقــولُ إذا جِئْنَ مُذبَّحــاتِ**

**على الإكــافَيْــنِ مُعَدَّلاتِ[3]**

**ألم تكن من قبلُ راتعــاتِ ؟**

**ما أقربَ الموتَ من الحياةِ !**

**ـ خصائص شعر الطرد عند أبي النجم:**

من أول نظرة يلقيها الدارس على أرجوزة أبي النجم تبدو له طائفة من الملاحظات:

أولاها: إن الشاعر خلَّص الطردية من الوقوف على الأطلال والتغزل بالأحباب فأصبحت غرضاً مستقلاً تمام الاستقلال.

وثانيتها: إن الأرجوزة اتسمت بوحدة الموضوع التي كانت تفتقدها القصيدة الجاهلية .

[1] - المجرات: مجاري المياه ، أو بمعنى الطريق أو الدرب .

[2] - سكر الطرق: سدها – مطرقات: من شأن الفهود أن تسكن قبل التصدي لطرائدها وأن تطرق .

[3] - الإكافان : مثنى إكاف وهو شبه الرحال .

وثالثتها: إن أداة الصيد فيها هي الفهد لا الرمح والقوس، واتخاذ الفهود وتدجينها والتصيد بها إنما هو شيء جديد في الحياة العربية استحدثه خلفاء بني أمية، ووصفُ الصيد بالفهد هو الآخر أمر جديد على الشعر العربي تمَّ على يدي أبي النجم.

ورابعتها: إن الحيوان المصيد في الأرجوزة هو الظبي لا النعام وحمار الوحش وبقر الوحش التي تناولها شعر الصيد القديم.

وخامستها: إن الحيوان الصائد الذي هو الفهد غدا موضع الاهتمام في الأرجوزة الجديدة، حيث انصرف الشاعر عن الحيوان المصيد الذي كان موضع عناية الشعراء الجاهليين إلى الحيوان الصائد الذي غدت تدور حوله الطردية الجديدة.

وسادستها: خلو الطردية من تلك المشاهد الصحراوية الجافة الخشنة وميلها إلى طلاوة الحضارة ولينها.

ومن هنا يمكن القول: إن أبا النجم هو الذي خطا بالطردية خطوة واسعة في طريق استقلالها، وهو الذي وضع اللبنة الأولى في صرح بنائها.

**٢- الشمردل بن شريك اليربوعي:**

هو الشمردل بن شريك بن عبد الملك، وينتهي نسبه إلى يربوع من تميم.[١] وهـو شـاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية عاصر جريراً والفرزدق[٢].نشأ الشمردل نشأة بدوية خالصة، وتقلب في أرض العراق إلى اليمامة في أعالي نجد حيث كانت تنتقل قبيلة يربوع[٣]. ولما شبَّ جعل يتردد على مدن العراق ويتصل برجالاتها من أمثال عمر بن يزيد الأسدي[٤]. والشمردل شاعر جزل الأسلوب مشرق الديباجة حلو اللفظة دقيق الصورة حسن المعنى يجيد القصيد ويحسن الرجز، نعت الأصمعي بعض شعره بأنه من ظريف الكلام[٥]، وقد طرق الشمردل جُلَّ فنون الشعر المعروفة في عصره فمدح وهجا، وافتخر وتغزّل، وقال في الإخوانيات ومجالس الشراب، غير أن أجود شعره وأسيَرَه ذكراً هو ما قاله في الرثاء الذي بعثه عليه مصرع إخوته الثلاثة، والطرَدِ الذي حببه إليه ولعُه بالصيد والقنص، فقد روي أن الشمردل كان صاحب قنص وصيد بالجوارح وأن له في الصقر والكلب أراجيز كثيرة[٦].

---

[1] - الأغاني- ١١٢/٢ . والمؤتلف والمختلف- الآمدي- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ١٣٨١هـ- ص٢٠٥ وهو يجعل جده عبد الله بدلاً من عبد الملك .

[2] - الأغاني- ١١٢/٢ .

[3] - تاريخ الأمم والملوك- ١٩٣٩هـ- ٣٩١/٥ .

[4] - الأغاني- ١١٦/١٢ . وتاريخ الأمم والملوك- ١٩١/٨ .

[5] - الأغاني- ١١٧/١٢ .

[6] - المصدر السابق- ١١٦/١٢ .

والمتتبِّع لشعر الشمردل يجد فيه ضربين من شعر الصيد، أحدهما ذلك اللون الذي رأيناه في الجاهلية وصدر الإسلام عند امرئ القيس وزهير ولبيد وأبي ذؤيب، وثانيهما ذلك الذي يمكن أن يطلق عليه بحق اسم شعر الطرد، حتى ليصح أن يقال في الشمردل: إنه أبو هذا الفن من القول في العربية[1].

ونحن في هذا البحث سندرس ما وقع تحت أيدينا من النوع الثاني(شعر الطرد) لنرى فيه صورة هذا الفن كما تبدت عند أبي نواس وابن المعتز والناشئ وغيرهم من شعراء العصر العباسي. أما النوع الأول فلن نرى فيه إلا تلك الصورة التقليدية القديمة التي رأيناها من قبلُ عند الجاهليين، وقد درسنا ضروباً منها في بداية هذا الفصل.

والطردية التي سندرسها أرجوزة ٌ بائية الـــرويّ، أوردهـــا أبو الفرج في أغانيه[2]، وعدة أشطارها ثلاثة وثلاثون شطراً، تدور كلها حول موضوع واحد هو: وصف الصقر وصيده. ونحن سنعرض فيما يلي هذه الطردية عرضاً وافياً، ثم نتبعه بدراسة تُلِمُّ بخصائص الفن الجديد عند الشمردل.

ابتدأ الشاعر طرديته فقال:

لقد غدوت إلى الصيد قبل انبلاج الصباح حيث الضحى لمّا يشف من وراء حجابه، والليل وشيكُ العودة إلى مآبه، فبدا الأفق أبلقَ الضياء، قد خالط بياضـــَه سوادٌ، وشاب سناه ظلمةٌ، وكان معي صقر فارهٌ من صقور (تُوَّج) مارس الصيد في شبابه، ومُرِّن عليه في مُقتبَل عمره، فغدا عادة ً من عاداته، وسجيةً من سجاياه:

**قد أغتدي والصبحُ في حجابه**

**والليلُ لـــم يأوِ إلى مآبـــه[3]**

**وقد بدا أبلقَ من منجابه[4]**

**بتُوَّجـــيٍّ صادَ فـــي شبابه[5]**

إنه صقر مروَّضٌ مذلـــَّلٌ يصرِّفه صقَّارُه كيف يشاء، قد اعتاد الصيد وداوم عليه، فهو لا يفتأ يطلبه أشد الطلب، حتى إنه مزَّق وثاقه الذي أوثق به لشدة مجاذبته إياه تحفُّزاً للصيد، وشوقاً للانطلاق وراء الطرائد.

وهو صقر ذكي الفؤاد، يعرف الصوت الذي يدعى به، ويدرك الإشارة التي يشار بها إليه، ويميز الثوب الذي يلوَّح له به، فيلبي نداء صقّاره ويستجيب لإلماعة بازياره:

---

[1] - شعر الطرد- ١٢٧ .

[2] - الأغاني- ٣٦١/١٣-٣٦٢ .

[3] - المآب: اسم مكان من آب يؤوب .

[4] - المنجاب: اسم مكان من انجاب ينجاب بمعنى انكشف .

[5] - التوجي: الصقر المنسوب إلى تُوَّج : قرية بفارس .

**معاوِدٌ قــد ذَ لَّ فـــي إصعابه**[1]

**قد خَرَّق الضِّفارَ من جــذِابه**[2]

**وعرَف الصوتَ الذي يُدعى به**

**ولَمْعَةَ المُلمِعِ فـــي أثـــوابه**[3]

وهو إلى ذلك رائع الصورة، مخضــَّب العنق، حتى لكأن في حلقه عصفرة الصَّبَّاغ التي تعصف بها الأثواب، وعترة المسك التي تطلى بها الأجساد :

**كأنما بالحلقِ مـــن خِضابه**[4]

**عُصْفُرَةُ الصَّبَّاغِ أو قَضَّابه**[5]

**أو عِتْرَةَ المِسك الذي يُطلى به**[6]

لقد أتاني القانص بهذا الصقر ضحىً قبل طلوع الآل الذي يرفع الشخوص ويزهاها، فرأيته يرمي ببصره بعيداً ليُجَلــِّي السهوب والأودية، فقلت للصقّار: ويحك! ما أبصره هذا الجارح حتى مد طرفه في تلك الفلوات الممتدة بين جبل لُباب وماء ملحوب؟:

**فقلت للقانص إذ أتى بـــه**

**قبل طلوع الآلِ أو سرابه:**[7]

**ويحـــك ما أبصر إذ رأى به**

**من بطن ملحوبٍ إلى لُـــبابه**[8]

لقد رأى طائراً من طيور البرّ يرعى النبت في ناحية الوادي فانقضَّ عليه انقضاض الصخرة الصلدة حين أطلقه صقّاره من علٍ:

**قصعاءَ ترعى النَّبْتَ من جنابه**[9]

**فانقضَّ كالجلمودِ إذْ علا به**[10]

---

[1] - المعاود: المواظب- الصعب: ضد الذلول المنقاد .

[2] - الضفار والضفر: ما شد به البعير وغيره من الشعر المصنوع .

[3] - الإلماع : الإشارة بالثوب ونحوه .

[4] - الخضاب: ما يختضب به من حناء ونحوه .

[5] - العصفر: نبات يصبغ به ينبت في أرض العرب- والقضاب : نبات أيضاً .

[6] - العترة: القطعة من المسك .

[7] - الآل: هو الذي يكون ضحىً كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها ــ أما السراب: فهو ما يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جارٍ .

[8] - ملحوب: ماء لبني أسد بن خزيمة- لباب : جبل لبني خالد .

[9] - قصعاء: طير من طيور البر .

[10] - الجلمود : الصخر القاسي .

وكان الصقر يتميز غيظاً ويتلظى غضباً حين رمى به قـيْنـُـه بعد طول احتباس، فلقيَت الطرائد من اغتصابه لها أشدَّ العنَت، لا فرق في ذلك بين اللواتي برزنَ على وجه الأرض أو اللائي اختبأنَ في الحفر، من كل طائر مسنٍّ، وكل أرنبٍ شديد التضوّر عندما يقع عليه الجارح ليَفْرِسَه ويصيده:

**غضبانَ يومَ قَيْنُه رمى به**[1]

**فهنَّ يَلْـقَيْـنَ من اغتصابه**[2]

**تحتَ جديدِ الأرضِ أو تُرابه**[3]

**من كل شحّاجِ الضحى ضَغَّابه**[4]

إنه صقر ذو مِرَّة، يشقى به عدوُّه أشدَّ الشقاء، وهو حين يجود لخصمه بطعنة من طعناته النافذة يُنْشِب في إهابه مخالبَ تَحكي مُدى الجزار مضاءً، وتُشاكل حِرابه حِدَّةً، فتعلَق عند الإنشاب في جسده وتنتزع فؤاده من وراء حجابه:

**إذ لا يزال حربُه يَشقى به**[5]

**جاد وقد أنشب في إهابه**[6]

**مخالباً يَنـْشَبْنَ في إنشابه**[7]

**مثلَ مُدى الجزارِ أو حِرابه**[8]

**تنتزعُ الفؤادَ من حِجابه**[9]

لقد صاد هذا الصقر صيداً عظيماً، وأوقع بالطرائد إيقاعاً ذريعاً، فحاز ثمانين طريدة من ذكور الحبارى والأرانب التي يباهى بأخذها ويُفْتَخَر بصيدها، وقدمها لفتية كرام يُشاد بصيدهم ويُدعى به:

**حوى ثمانينَ على حسابه**

**من خَرَبٍ وخُزْرٍ يُعلى به**[10]

**لفتيةٍ صيدُهُمُ يُدعى به**[11]

---

[1] - القين: العبد والصانع عامة .

[2] - الضمير في (هنّ) يعود على الطرائد .

[3] - الجديد: المقطوع، من الجدّ بمعنى القطع . تربة الأرض: ظاهرها .

[4] - الشحّاج: صوت المسن من الطير شحيج، وشحاج: كثير الشحيج .
الضغّاب: كثير الضُّغاب، والضُّغاب: صوت الأرنب وتضوُّرها عند الأخذ .

[5] - الحرب: العدوّ .

[6] - نشب نشوباً: علق فيه، ويقال: أنشب البازيُّ مخالبه في الأخيذة- الإهاب: الجِلد.

[7] - ينشبن في إنشابه: أي ينشبن عند إنشابه .

[8] - المُدى: جمع مُدية وهي الشفرة- الحراب: جمع حربة: الآلة وهي دون الرمح.

[9] - حجاب الجوف: ما يحجب بين الفؤاد وسائر البطن.

[10] - الخرَب: ذكر الحبارى- الخُزَر: ذكر الأرنب .

[11] - يدعى به: من معاني الدعاء والرغبة ويكون المعنى: يُرْغَب في صيدهم . ويدعى به: يُنسَب إليه ويُكنّى به والمعنى: إن صيدهم مشهور معروف ينسب إليه ويكنى به.

وكان هؤلاء الفتية على موعد مع صقرهم لا يخلفه أبداً، وكانوا ينتظرون أن يأتي صيدُه إلى منزلهم الذي تطهى به الطرائد وتشوى:

**واعَدَهُمْ لمَنْــزِلٍ بِتْنــا به**

**تُطهى به الخِرْبانُ أو تُشوى به**[1]

فما إن وافى الصيد الثمين حتى هبَّ إلى الاحتطاب والطبخ فتىً كريمُ المحتد عظيم السؤدُد مشرقُ الوجه رائعُ الطلعة، إذا دُعي أجاب، وإذا أهيج لبّى ووثب:

**فقــامَ للطَّبْــخِ ولاحتطابه**

**أروعُ يهتاجُ إذا هــِجنا به**[2]

**ـ خصائص شعر الطرد عند الشمردل:**

في أرجوزة الشمردل نجد أنفسنا أمام فن من القول جديد كل الجدة، وضع لَبِناته الأولى أبو النجم وأكمل بناءه الشمردل.

ولبيان ذلك يحسن بنا أن نقف على الأسس التي بنى عليها الشمردل طرديته:

اتخذ الشمردل بحر الرجز وزناً لطرديته وجعل رويها مزدوجاً. ثم أقام بناءها على أربعة أركان متمايزة واضحة المعالم:

أولها: مقدمة تحدث فيها الشاعر عن التبكير للصيد قبل انحسار الظلام عن الكون وإشراق الأرض بالنور.

ثانيها: وصفٌ للجارح الصائد الذي هو الصقر على وجهٍ ألمَّ به من جوانبه المادية والمعنوية كلِّها.

ثالثها: وصفٌ وافٍ للطراد مع إلمامه بالحيوان المَصيد الذي هو الأرنب وبعضُ الطير، وإشارة خفيفة إلى الإنسان الذي يشرف على الصيد، وذكرٌ للمكان الذي وقع فيه الصيد.

ورابعها: خاتمة ذكر فيها ثمرات الصيد واجتماع الصحاب على طهيه وأكله.

وهو بناء تام لم تصل الطردية في أحسن أحوالها – قبل الشمردل – إلى نموذج أكمل منه وأتم.

ومن استعراض مشاهد الصيد قبل الشمردل ودراسة هذه الأرجوزة نعرف أن الشمردل كان مدركاً الفرقَ بين هذين الفنين من القول، واقفاً بوضوح وجلاء على طبيعة كلٍّ منهما وغايته، متصوراً للشكل الذي يميز الطردية من مشهد الصيد التقليديّ.

[1] - الخربان: جمع خرب: وهو ذكر الحبارى.

[2] - يهتاج: يثور ويثب. والأروع: الكريم، الحسن الوجه، ذو الجهارة والفضل والسؤدد.

فالشكل في الطردية اقتضى خفة البحر وازدواج الرويّ وإقامة البناء على أسس تختلف عما بنيت عليه القصيدة القديمة، وقد أتقن الشمردل ذلك.

والمضمون في الطردية اقتضى جارحاً صائداً كالصقر حل محل الرماح والسهام، وحيواناً مصيداً كالأرنب والطير ناب مناب العير والثور والنعام.

ويضاف إلى ذلك وحدة الموضوع وتسلسل الأجزاء ومنطقية الحركة والنقلة، لذا ساغ لنا أن نقول – ونحن مطمئنون –: إذا كان أبو النجم هو الرائد الأول لشعر الطرد، حيث عمل على استقلاله ووضع اللبنات الأولى في أسس بنائه، فإن الشمردل هو الذي أتم البناء وأحكم الصنعة، وهو برأينا أبو هذا الفن من القول في الشعر العربي غيرُ منازَع.

ونستطيع أن نقرر – مع الدكتور شوقي ضيف[١] ونحن بكثير من الاطمئنان – أن شعر الطرد وُجِدَ زمنَ بني أمية ولم يتأخر ظهورُه إلى عصر بني العباس، وأن نحسم التردد الذي خامر "بروكلمان" في هذا الشأن حيث بدا له أن "أبا نواس هو الذي سبق إلى وضع أسلوب ثابت لهذا المذهب الشعري ، وأنه ربما يكون بعض شعراء بني أمية قد وصف ملاذ الصيد والطرد، ثم تبعه أبو نواس في ذلك"[٢].

[1] - العصر الأموي- شوقي ضيف- دار المعارف- مصر- ١٩٦٣- ص٣٩٦ .
[2] - تاريخ الأدب العربي- بروكلمان- دار المعارف- مصر- ١٩٥٩- الجزء الثاني- ص٢٧ .

**ــ ازدهار شعر الطرد في القرن الثاني الهجري:**

ما إن دالت دولة بني أمية، وآل الأمر إلى بني العباس، كانت الراية الإسلامية ترفرف على أكثر أصقاع المعمورة ثروةً وأوفرها غنىً، وكانت الدنيا تقبل على الناس ضاحكة مستبشرة، تحمل إليهم الحضارة وزُخرُفَها، وتسوق لهم الغنى ومتاعَه، فأقبل الحكام والمحكومون على الترف يكرعون منه ولا يرتوون، وأوغلوا في المتع يلتهمونها التهاماً ثم لا يكتفون.

وكانت متع الصيد ولذاذاته في طليعة ما أقبلوا عليه، ومما زاد هذا الإقبال عظم مكانة العنصر الفارسي في الدولة الجديدة، والفرس- كما رأينا من قبل- ذوو شأن عظيم في الصيد، ضرُّوا جوارحه وراضوا ضواريه، وأتقنوا فنونه وأحكموا آلاته.

وكانت ولاية السفاح شأنَ المسلمين سبباً آخرَ من أسباب ولع الناس بالصيد وإقبالهم عليه، فقد نشأ السفاح صائداً، صاد وهو غليّم صغير، وصاد وهو شاب يافع، ثم صاد وهو خليفة مكتمل[١]، وكان كثير الولع بالضواري، شديد اللهَج بالصيد[٢].

ومن بعده كان المهدي محباً للصيد، مشغوفاً به حتى إنه لا يكاد يصبر عنه[٣]، بل إن هناك من يروي أن المهدي قُتِل في رحلة صيد[٤].

ثم كان الرشيد على ما عرف عنه من تقىً وحزم صاحبَ ولع بالصيد وتعلق به، فقد روى صاحب البيزرة "أن الرشيد كان ذا حظ في الصيد، وأنه كان يرتاح له ارتياحاً شديداً[٥]"، وكان الرشيد يخرج إلى الرقة أو غيرها ليصطاد، ثم يمضي في ذلك الأيام الطوال ذوات العدد[٦].

ثم آل الأمر من بعد الرشيد إلى ابنه الأمين، فكان – كما يقول صاحب البيزرة- أشدَّ انهماكاً بالصيد وأحرصَ عليه من كل من تقدمه[٧].

وكان لولع الخلفاء بالصيد وإقبالهم عليه آثار واضحة في حياة المجتمع العباسي ونظرته إلى الصيد واقتناء جوارحه وضواريه، فالناس مذ خلقوا يدينون بدين ملوكهم، يقلدونهم فيما يفعلون، ويتقربون إليهم بفعل ما يحبون، ويبتغون عندهم الزُلفى في تزيين ما يأتونه.

على أن من الإنصاف القول بأن المجتمع الإسلامي لم يكن كله مرتاحاً لهذا اللعب بالضواري والتهالك عليها، وأن أصحاب التقى كانوا ينكرون ذلك على من يفعله، فقد روى صاحب البيزرة أنه لما شهد أبو علقمة

---

[1] - البيزرة- ٤٢ .
[2] - المصدر السابق- ٤١ .
[3] - المصدر السابق- ٤٣ .
[4] - تاريخ الأمم والملوك- ٩٣٩- ٢٩٣/٦ .
[5] - البيزرة- ٤٣ .
[6] - تاريخ الأمم والملوك- ٥٣٩/٦ .
[7] - البيزرة- ٤٦ .

المُرّي عند سوار أو غيره من القضاة وقف في قبول شهادته، فقال له أبو علقمة: لم وقفت في إجازة شهادتي؟ قال: بلغني أنك تلعب بالكلاب والصقور[1]. كما أن كثيراً من الناس كانوا يلومون أبناء الملوك على شدة تهالكهم على الصيد والشغف به[2]. لكن هذه المواقف، مواقف عذل الصائدين والتوقف في قبول شهادتهم وما شاكلها، لم تغير من الأمر الواقع شيئاً، فبقي الخلفاء وأولادهم والولاة وأصحاب الثراء على ولعهم بالصيد وشغفهم به، وكان لا بد من أن يجد هذا الجانب صداه عند الشعراء، ولا سيما أولئك الذين يؤثرون اللهو ويَحْيَون له، وفي طليعة هؤلاء أبو نواس إمام شعر الطرد في هذا العصر.

**٣- أبو نواس:**

اختلف مؤرخو الأدب في نسب أبي نواس ونشأته اختلافاً كبيراً، والذي استخلصناه من أخباره أنه الحسن بن هانئ، أبوه دمشقيّ، وأمه فارسية، مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه ونشّأته بالبصرة[3].

لقي والبة بن الحُباب فشاقته صورة أبي نواس، وأعجبه ذكاؤه، فاستصحبه معه إلى الكوفة، وعمل على تخريجه في الشعر، فتخلق الفتى بأخلاق أستاذه وكان خليعاً ماجناً.[4]

ولما بلغ الثلاثين من عمره انتقل إلى بغداد، وهناك التأم شمله مع الحسين بن الضحّاك والرّقاشي والعباس بن الأحنف وغيرهم، فجعل يجتمع إليـــهم، فيتناشـــدون الأشعار ويعاقرون الخمر ويوغلون في اجتراح المأثم[5].

وعلى الرغم من اختلاف مؤرخي الأدب في ولادته ووفاته ونسبه إلا أنهم أجمعوا[6] أو كادوا على أنه شاعر قويّ البديهة رقيق الحاشية لسِنٌ بالشعر يقوله في كل حال، وأنه فصيح اللهجة مع حلاوة[7].

ترك أبو نواس ديواناً ضخماً طبع أكثر من مرة، ويشتمل ديوانه على أغراض الشعر المعروفة في عصره كلـــِّها، ففيه المدح والهجاء والفخر والرثاء والغزل والمجون والخمريات والزهد، وفيه الطرديات. ونحن سنتناول الباب الأخير من شعره بالدراسة.

---

1 - البيزرة- ٢٨ .
2 - المصدر السابق- ٢٨ .
3 - شذرات الذهب- العماد الأصفهاني- مكتبة القدسي- مصر- ١٣٥٠هـ- ٣٥٤/١ .
4 - وفيات الأعيان- ابن خلّكان- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- مكتبة النهضة العصرية- القاهرة- ١٩٤٨- ٣٧٣/١ .
5 - طبقات الشعراء- ٢٠١ .
6 - ينظر: إجماع الخاصة على شاعرية الحسن بن هانئ الحكمي- مجلة بحوث جامعة حلب- العدد ٦٠- لعام ٢٠٠٧م.
7 - تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي- مكتبة الخانجي- مصر- ١٣٤٩هـ- ٤٣٧/٧ .

**ـــ طرديات أبي نواس:**

يقبل الإنسان على الصيد طلباً للرزق أو تمرّساً بالفروسية أو التماساً للمتعة واللذة، وقد كان أبو نواس أخا متع لا يرتوي منها، فأقبل على الصيد لما فيه من لذاذات، وأولع فيه ولعه بالخمر والجمال، فنعته كما نعتهما، وقال فيه وفيهما أجمل شعره، وغنّاه وغنّاهما أروع قوافيه. "ولعل أبا نواس هو أكبر شعراء الطرديات في الأدب العربي، وأكثرهم تمثيلاً لما بلغته هواية الصيد في العصر العباسي من رقيّ وتحضّر"[١].

وقد ساعده على إدمان الصيد وإتقانه والقول فيه ثلاثة أمور:

أولها: ذلك الفراغ العريض الذي كان يحيا فيه، إذ لم يشغله عنه أهل أو ولد أو كدٌّ على عيال.

ثانيها: معرفة تامة بالحيوان الصائد والمصيد، شهد له بها الجاحظ عند روايته لطائفة من طردياته حيث قال: "وأنا كتبت لك رَجَزَه في هذا الباب (أي باب الطرد) لأنه كان عالماً راوية، وقد لعب بالكلاب زماناً، وعَرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه"[٢]. وهذا يجعلنا نشكّ في قول من قال إن فن الطرد عند أبي نواس كان من قبيل العرْض، أي يعرض دوراً يَلفت النظر، لأنه– في رأيه– لم يُؤْثَر عنه أنه كان يحب الطرد والصيد ذلك الحب الغلاّب – وإن صاحَبَ الصيادين – وإنما نظم فيه ليعرض قدرته على النظم في هذا الباب[٣].

وثالثها: اتصاله بالأمين مدة أرْبَتْ على خمس سنوات، وكان أبو نواس خدينَه ونديمه وصاحِبه في رحلات صيده. وصاحب البيزرة يشير إلى هذه الناحية فيقول: "وكان الأمين أشدّ الناس انهماكاً في الصيد وأحرص عليه من كل من تقدّمه، وأكثر طرد أبي نواس معمول في جوارح الأمين وضواريه"[٤].

لهذه الأسباب أقبل أبو نواس على الصيد إقبالاً يمثله في خاتمة إحدى طردياته حيث يقول عن الصيد[٥]:

**تلك لَذاتي وكنتُ فتىً          لم أقلْ من لَذة :حَسْبي**

ولهذه الأسباب أيضاً كثُر شعر الطرد في ديوان أبي نواس كثرةً تــَلفت النظر، وقد خصّ الشاعرُ الكلابَ بالنصيب الأوفر من طردياته، حيث بلغ ما قاله فيها سبعاً وعشرين طردية، وخصّ البُزاة بسبع منها، أما الباقي فهي موزَّعة بين الصقر واليؤيؤ والزُّرَّق والديك الهندي والشاهين والفهد والفرس والحمام والعنكبوت والفخّ وقوس البندق، حيث أصاب جلها طردية واحدة.

[1] - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري- محمد مصطفى هدّارة- دار المعارف- مصر- ١٩٦٩- ٤٦٩ .

[2] - الحيوان- ٢٧/٢ .

[3] - اتجاهات الشعر العربي- ٤٧٠ .

[4] - البيزرة- ٤٦ .

[5] - ديوان أبي نواس- تحقيق الغزالي- مطبعة مصر- القاهرة- ٦٣٢- والحيوان- ٢٣/٢ .

ونحن سنعرض لموضوعين من موضوعات طرديات أبي نواس نظمها فيهما، أولهما في الكلاب والآخر في البزاة محاولين أن نقف على خصائص هذا الفن عند شاعر يُعَدُّ بحقّ رائداً من رواد هذا الفن من القول وأول من وسّعه ورحّب آفاقه، بعد سلفه الشمردل.

**١ – الكلاب:**

احتلت كلاب الصيد في طرديات الشاعر مكاناً مرموقاً من حيث الكمّ والكيف، فقد أربى ما قاله فيها على جميع ما قاله في سائر جوارح الصيد وآلاته، وجوّد فيها تجويداً جعل الجاحظ يختار منها اثنتي عشرة طردية ويثبتها في كتابه" الحيوان" ويشيد بها وبقائلها ويعزو تجويده فيها إلى معرفته بالكلاب معرفة لم تتوافر للأعراب[1]. وظهرت معرفته هذه في استقصاء أوصافها، حيث نعتها نعتاً استوفى كل شيء فيها تقريباً، فعرض لها من الناحية الجسدية عرضاً لم يكد يغادر فيها صغيرة إلا أبرزها ووفـّاها، فتناول غَرَرَ جباهها، وتحجيل زنودها، وحُسْنَ قدّها، وسعة أشداقها، وطولَ خدودها فقال:[2]

**أنعتُ كلباً أهلـُه من كَدِّه**

**قد سَعِـدَتْ جُدودُهُمْ بِجَدِّه**

**ذا غُـرَّةٍ مُحَجَّلاً بزَنده**

**تَلَـذُّ منه العينُ حُسْنَ قَدِّه**

**تأخيرَ شدقيه وطولَ خـدِّه**

**تلقى الظبـاءُ عَنَتاً من شَدِّه**

وألمَّ بعراقيبها الشـُّمِّ، وأيديها المبسوطة، وأكتافها المشرفة، ولبّاتها المشرقة، وألوانِها المختلفة، وأفخاذها الموسومة، ومآخيرها المُلْـسِ ، فقال:[3]

**قد أغتدي والطيرُ في مَثْواتها[4]**

**بأكلُبٍ تمرحُ في قِـدَّاتِها[5]**

**شـُمٍّ العَراقيبِ مُؤَنَّقاتها[6]**

**مفروشةِ الأيدي شَرَنْبثاتِها[7]**

---

[1] - الحيوان- ٢٧/٢ وما بعدها .
[2] - انظر ديوان أبي نواس- ٦٢٤ - والحيوان ٣٥/٢ .
[3] - الديوان- ٦٢٨- والحيوان: ٣٦/٢- و البيزرة: ٢٥٢ .
[4] - مثواتها : أعشاشها.
[5] - القِدات: جمع قدة: سير يقد من جلد غير مدبوغ.
[6] - شم: مرتفِعات- العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة من يدها.
[7] - الشرَنْبَث: الغليظ الكفين .

سوداً وصفراً وخَلَنْجيَّاتِها[1]

مُشْرِفةِ الأكتافِ مُوفياتِها[2]

غُرِّ الوجوهِ ومُحَجَّلاتِها

كأن أقماراً على لَبَّاتِها[3]

ترى على أفخاذها سِماتِها

زُلِّ المآخيرِ عَمَلَّساتِها[4]

وهو لا يزال يعيد الحديث عن وصف أسنانها الحادة ويبدئ، ولا غروَ فهي سلاحها الذي تصول به، وهو لا يفتأ يكرر الكلام على طول أذنيها وتأخير أشداقها، ولا عجب فذلك أمارة فراهتها:[5]

إذا الشياطينُ رأت زُنْبُورا[6]

قـــد قُلِّدَ الحلقةَ والسُّيُورا

دعت لخُزَّانِ الفلا ثُبُورا[7]

أدْفَى، ترى في شِدْقِه تأخيرا[8]

ترى إذا عارضتَه مَفرُورا[9]

خناجــراً نَبَتَـــتْ سُطورا[10]

مُشْتَبِكاتٍ تَنْظِمُ السُّحُـــورا[11]

وهو لا يقف عند نعت شيات الكلاب الحسية وإنما يجلو صفاتها المعنوية أيضاً، فيكثر من الحديث عن قوة شَدِّها وسرعة عدوِها، ويتحفنا في هذا المجال بصورة رائعة تجعلنا نشهد اندفاعها في جريانها وتغرينا على أن نتتبّع بخيالنا خطاها:[12]

---

[1] - الخلنجي: أصفر خفيف تعلوه غبرة.

[2] - مشرفة الأكتاف: عاليتها- الموفيات: الشرفات .

[3] - اللبات: جمع لَبة: مهي موضع القلادة من العنق.

[4] - زُل: حمع أزلّ: وهو الخفيف اللحم – المآخير: جمع مؤخر.

[5] - الديوان- ٣٥٠ .

[6] - زنبور: اسم كلب سليمان بن داود الهاشمي.

[7] - الخزان: جمع خُزَز: بضم ففتح: ذكر الأرانب- الثبور: الهلاك . وإنما تدعو الشياطين على الأرانب بالهلاك لأن الأرانب فيما تزعم الأعراب ليست من مطايا الجن، وأن الجن تهرب منها لمكان حيضها. انظر الحيوان- ٦/١٤-٧٤ . وانظر: حياة الحيوان الكبرى- الدميري- مطبعة الاستقامة- مصر- ١٣٧٢هـ- ١/٣٠ .

[8] - أدفى: طالت أذناه وأقبلت إحداهما نحو الأخرى. تأخير الشدقين: سعتهما، وذلك من علامات نجابة الكلاب.

[9] - مفرورا: من فرَّ الدابة: كشف عن أسنانها لينظر ما عمرها.

[10] - استعار الخناجر لأسنان الكلاب.

[11] - السحور: جمع سَحْر: وهو الرئة. أي رئة الحيوان المطرود. انظر الديوان- ٦٣٧. والحيوان- ٢/٦٨ .

[12] - الديوان- ١٧٥ .

قد أغتدي في فَلَقِ الإصباحِ

بمُطْعَمٍ يوجَرُ في سَــراحِ [1]

غذَتْـــهُ أظْــآرٌ منَ اللِّقاحِ [2]

فهو كَمِيشٌ ذَرِبُ السِّــلاحِ [3]

لا يسأمُ الدهرَ من الضُّباحِ [4]

مُنَجَّـــدٌ يَأْشَرُ للصِّيــاحِ [5]

ما البرقُ في ذي عارِضٍ لمَّاحِ [6]

ولا انقباضُ الكوكبِ المُنْصاحِ [7]

ولا انبتاتُ الدَّلْــوِ بالمَتَّاحِ [8]

ولا انسيابُ الحوتِ بالمُنْداحِ [9]

حين دنا من راحةِ السَّبَّــاحِ

أجَــدُّ في السُّرعةِ من سِرْياحِ [10]

يكادُ عندَ ثَمَـــلِ المِــراحِ [11]

إذا أرى الخاتِــــلُ للأشباحِ [12]

يطيــرُ في الجــوِّ بلا جَناحِ

وهو يعرض علينا مشاهد مثيرة لصراع الكلاب مع فرائسها، فهو يجوب الفلاة بحثاً عن الطرائد، فيعلو النجاد وينحطُّ إلى الوهاد، حتى إذا رأى قطيع ظباء شدَّ عليه، ونحا نحو التيس منه، ذلك لأن التيس وإن كان أسرع جرياً وأشد مِرَّةً، وأقوى على الطراد، إلا أنه ما إن يعروه الفزع حتى يلحَّ عليه البول، فإذا أراد أن يقذفه اضطر إلى التوقف لضيق المسيل عنده بخلاف الإناث، فإنها تقذفه وهي تجري لسعة مسيلها، والكلب

---

[1] - السراح: الصيد.

[2] - الأظآر: جمع ظِئْر: وهي العطوف على ولدها وولد غيرها. واللقاح: نوق ذوات ألبان غزيرة .

[3] - كميش: سريع . ذرب: حادّ .

[4] - الضباح: الصياح.

[5] - منجد: مجرَّب . يأشر: سنشط ويمرح .

[6] - العارض: السحاب الذي يعترض الأفق .

[7] - المنصاح: المنحط الساقط.

[8] - المتاح: الذي يخرج الدلو من البئر.

[9] - المنداح: البحر الواسع.

[10] - سرياح: اسم كلب.

[11] - الثمل: السكر ونشوته. المراح بالكسر: النشاط .

[12] - أرى يأرى: لزم موضعه . وخاتل الأشباح: عنى به الصائد .

يعرف ذلك، فيتجه عند الطراد إلى الذكور من القطيع ويترك الإناث، وهو يفرّق بين النوعين من أول وهلة[1].

وأبو نواس يعرف ذلك أيضاً فيشير إلى اختيار كلبه للتيس ويصف معركته معه فيقول:[2]

**يا رُبَّ خَرْقٍ نازحٍ حديـــب[3]**

**غزوتُـــه بمُخَـطَّـفٍ وَثوب[4]**

**مُضَمَّرِ الكشحين كاليَعْسُــوب[5]**

**يعلو الأكامَ في ذرى الكثيب**

**وتارةً ينحـــطُّ في الغيــوب[6]**

**كعَوْم سُفْــنِ البحرِ في الجَنوب[7]**

**رأى ظبــاءً ذ ُعُــرَ القلــوب**

**فاعتاقَها بالشَّدِّ ذي اللهيــب[8]**

**كأنَّـــه في شِـدة الهُبــوب**

**تَهــــوي بـــه خافيتـا رَقُوب[9]**

**مُعْتَمِـداً لتيسِهـــا المَهيــب[10]**

**فَصَكَّـــهُ بــزَوْره الرَّحيب**

**صَكّاً هوى منه إلى شَعــوب[11]**

**فقضْقضَ العَجْبَ إلى الظُّنــبْوب[12]**

**وانتهــسَ الأرفــاغَ بالنُّيــوب[13]**

**يهوي به صَكاً على الجُنُوب[14]**

**كثائــرٍ أمكــن مــن مطلوب**

---

1 - الحيوان- ٢/١١٧ .

2 - الديوان- ٦٤٠ .

3 - الخرق: الأرض الواسعة . النازح: البعيد . الحديب: المرتفع من الأرض .

4 - المخطف: الطاوي الحشا .

5 - اليعسوب: ذكر النحل.

6 - الغيوب: الطمئن من الأرض بخلاف الآكام .

7 - الجنوب: بالفتح ريح تخالف ريح الشمال.

8 - اللهيب: كناية عن الأسد .

9 - الخافيتان: مثنى مفرده خافية وهي ريش ما بعد المنكب من الطائر. الرقوب: العقاب .

10 - معتمداً لتيسها: ناحياً نحو التيس. المهيب: ذو الهيبة .

11 - شَعوب: الموت.

12 - القضقضة: صوت كسر العظام. العجب: أصل الذنب. الظنبوب: العظم اليابس من قدام الساق.

13 - النهس: الأخذ بمقدم الفم. الأرفاغ: المغابن على الآباط وأصول الفخذين.

14 - الجنوب: جمع جنب .

## يا لك من ذي حيلة كَسُوب[1]

وقد صور أبو نواس مبلغ عناية القانصين بكلابهم، ومدى ولعهم بها وحرصهم عليها، فهم قد ربوها صغيرة كما يربون فِلَـذ أكبادهم، وابتغَـوا لها المراضع كما يبتغونها لأولادهم، وخصصوا لها البيوت التي تقيها من عيون الزائرين[2]. إذا خافوا عليها البرد ظللوها ببرودهم، وأناموها في مهودهم، وإذا خشُوا عليها الجوع قاتوها ولو من لحوم أجسادهم، يضمونها إلى صدورهم كما تضم الأمهات الحانيات أولادها، ويقلدونها أجمل الحلي والقلائد، ويتخذون لها أطرف السُّيُور والمقاود. يحفظون أنسابها، ويباهون بأحسابها، ويجدون فيها إنساناً ذا مروءة ونجدة، يعرف حق أصحابه فيؤديه، ويدرك ما أنيط به من واجب فينهض به، لذلك اتخذوا منها لأنفسهم صاحباً وخليلاً، ووجدوا فيها أخاً ومُعيناً.

انظر إلى الشاعر وهو يصف لك تربية جروٍ من جراء الكلاب ترَ أمامك طفلاً مدللاً جاء أبويه على كبر فأحاطاه بالرعاية وكلأاه بالعناية وحفَّـاه بالعطف والحنان، وأسرفا في ذلك ما وسعهما الإسراف:[3]

**قد نَـحَتَ التلويحُ من أقطـاره[4]**

**من بعـد ما كان إلى أصْباره[5]**

**غضاً كستـْه الخُورُ من عشَاره[6]**

**أيـامَ لا يُحْبَسُ من عِثـاره[7]**

**وهو طَلىً لم يَـدنُ من شِـغاره[8]**

**في منـزل يُحْجَـبُ عن زُوَّاره**

**يُسـاسُ فيـه طرفي نهـاره**

**حتـى إذا أحْمَدَ في ابْتيـاره[9]**

**وآضَ مثل القُلـْبِ من نضاره[10]**

أما الطرائد التي أطلق عليها الشاعر كلاب صيده فهي الظباء والثعالب والأرانب وثور الوحش وحمار الوحش، وقد نال الظبي اهتمامه حيث كان هو الحيوان المطرود في خمس عشرة أرجوزة من أصل ست

---

[1] - كسوب: كثير الكسب.

[2] - ينظر : اتجاهات الشعر العربي- ٤٧١ .

[3] - الديوان: ٦٢٩ والحيوان: ٢٧/٢ والمصايد والمطارد: ١٥١ .

[4] - التلويح: التضمير. أقطاره: نواحيه.

[5] - الأصبار: جمع صبر وهو ناحية الشيء وحرفه، أي إن التضمير نحت جسده من أطرافه كلها وصيّره هزيلاً بعد أن كان ممتلئاً إلى نهاياته.

[6] غضاً: طريّاً. الخور: جمع خوراء: الناقة الغزيرة اللبن.

[7] - كنى بذلك عن صغره حيث كان مدللاً لا يؤاخذ على عثراته .

[8] - الطلى: الصغير. لم يدن من شغاره: لم يقترب من بلوغه.

[9] - الابتيار: الاختيار.

[10] - القلب: السوار. النضار: الذهب. يقول: حتى كبر واختبر فحمد ورضي عنه وأصبح مثل السوار في صقله وصفائه وجماله.

وعشرين، غير أن أبا نواس لا يولي الحيوانات المطرودة في أراجيزه هذه اهتماماً كبيراً، فهو في الكثير الغالب يكتفي بإيراد أسمائها مجردة من أي نعت، فإذا زاد على ذلك نعتها بصفة واحدة يقتضيها المقام أو يدعو إليها بلوغ القافية أو اجتلاب الروي، يقول في إحدى طردياته بعد أن وصف كلبه:[1]

**يكتالُ خِــزَّانَ الصحارى الرُّقْــطا[2]**

**يلقيـــــنَ منه حاكمـــاً مُشْــتَــطَّا[3]**

ولعل السبب في عدم التفات أبي نواس إلى الحيوانات المطرودة وقلة اهتمامه بها هو شدة ولعه بكلاب الصيد وفرط تعلقه بها، مما ملك عليه لبَّه وقلبه، وحجب عينيه عما عداها من عناصر الطردية، وصرفه إليها كل الانصراف.

**٢ – البُزاة:**

خصَّ أبو نواس البزاة بالنصيب الأوفى من طردياته التي قالها في الجوارح، فقد نال البازيُّ منه سبعَ أراجيز من أصل ستَّ عشرة، وزعها على الصقر واليؤيؤ والزرَّق والشاهين. ولعل السبب في ذلك هو أن البازي – كما عرفنا من قبل – ملك الجوارح وسيدها وأعلاها كعباً وأغلاها ثمناً وهو مما اختصت به الملوك." وأبو نواس إنما كان يصف جوارح الخلفاء والأمراء لا جوارحه هو، إذ يغلب الظن أن الشاعر لم يكن صاحب ضوارٍ ولا جوارح، وإنما كان صاحباً لأصحاب الضواري والجوارح"[4].

وقد يكون هناك سببٌ آخر لعناية أبي نواس بالبازي هو أن هذا الجارح أعجميٌّ فارسيٌّ اختال به الأكاسرة على أندادهم من قياصرة الروم، وأبو نواس كان مولعاً بالعجم حريصاً على نشر مناقبهم والإشادة بمآثرهم والتزيّي بهم، وأن يظهر للناس أن له أصلاً فيهم.

وقد تناول أبو نواس البازي في طردياته السبعِ بالوصف تناولاً شاملاً، وألمَّ بأهمّ خصائصه إلماماً كاملاً، فنعت صفاته الجسدية، وأبرز مزاياه المعنوية، وصوّر صراعه مع طرائده، وكشف عن مكانته في عالم الصيد والصيادين.

فهو حين نعته من الناحية الجسدية أكملَ نعته، وأتمَّ وصفه، وجلاّه للناظرين وميّزه عما عداه من الجوارح. نعت ألوانه القــُمر، وحماليقه المكحولة بالتــِّبر، وهامته الململمة لمَّ الصفاة، ووصف جؤجؤَه الصلبَ الصلدَ، ومنخره الرحب الأغلب، ومِنْسَرَه الأقنى الأعوج، وكفَّه الغليظة، فقال في إحدى طردياته:[5]

---

[1] - الديوان: ٦٢٧ .
[2] - الخزان: جمع خزز: ذكر الأرانب. الرقط: المنقوشة.
[3] - المشتطّ: الظالم.
[4] - شعر الطرد: ١٨٩ .
[5] - الديوان: ٦٥٨ .

أُطْـرِيكَ يا بازيَنا وأُطـري
مُرْتجِلاً وفي حَبيرِ الشِّعـر[1]
يصقل حِملاقاً شديدَ الطَّحْر[2]
كأنـه مكتحلٌ بتِبْـرِ
في هامةٍ لُمَّتْ كلَمِّ الفِهْر[3]
وجؤجـؤٍ كالحجر القَهَقْـر[4]
من منْخَرٍ رَحْبٍ كعَقْد العَشْرِ[5]
ومِنْسَرٍ أقنى، رحاب الشجرِ[6]
شَثْن سُلامى الكفِّ وافى الشِّبر[7]

ولم يقتصر أبو نواس في نعت البزاة على صفاتها الجسدية، وإنما تجاوز ذلك إلى شمائلها المعنوية، فتحدث عن كرم أرُومتها، ومخايل نجابتها، وشدة إلفها لساستها، وقسوة بطشها بطرائدها، فهذا باز حادُّ الذكاء يعي إهابةَ المُهيب، ويفهم إشارة المُشير، ألوفٌ لسائسه، يأنس به ويطمئن إلى قربه، قد أُدِّب فتأدَّب، ودُرِّب فتدَرّب:[8]

مُفَـهَّـمٌ إهابـةَ المُهيـبِ
وكلمـاتِ كـلِّ مستجيـبِ
أقنى، إلى سائسه جَنيـبُ[9]
وقد جـرى منه على التأديـبِ

والشاعر يكثر من وصف تحفـُّز البازي للصيد، ويفتنُّ في تصوير لحظة انطلاقه من فوق كف بازياره، ويبدع في نعت انصبابه على فرائسه، والسبيل في ذلك أن يُجَوَّع البازي في الليلة السابقة لإخراجه إلى الصيد، حتى يشتد نهمُه إلى الفرائس، وأن يُخرَج به في اليوم التالي إلى المصايد محمولاً على كف بازياره، مشدوداً بالسيور إلى قفازه.[10] وعند ذلك يطاق بصره الحادّ في السهوب والمرتفعات والوهاد ويرمي

---

[1] - حبير الشعر: ما حبِّر منه وجُوِّد.
[2] - الحملاق: باطن الأجفتن. الطحر: مصدر طحرت العين قذاها بمعنى رمت به، والطحر من صفات البازي فهو لا يزال يجلو عينيه.
[3] - الفهر: الحجر قدر ما يملأ الكف، يشبه هامته من حيث التمامها وصلابتها بالحجر.
[4] - جؤجؤ الطائر: صدره. الحجر القهقر: الصلب.
[5] - العشر: كناية عن الأنامل. وعقدها: قبضها، يشبه منخر البازي بالأنامل العشر عند قبضها من حيث غلظه وحجمه.
[6] - المنسر الأقنى: المنقار الأعوج. رحاب الشجر: واسع ما بين اللحيين.
[7] - الشثن: الغليظ. السُّلامى وجمعه سُلاميات: عظام الأصابع. ويحمد في البازي أن يكون غليظ الكفين.
[8] - الديوان: ٦٦٦. والمصايد والمطارد: ٩١ .
[9] - أقنى: لزم. السائس: البازيار الذي يسوسه ويضرّيه على الصيد.
[10] - شعر الطرد: ١٩٥.

به بعيداً في كل مكان حتى إذا جلـّى الطريدة وأثبتها دبّت فيه حُمى صيدها، فإذا أطلق من عقاله انقضَّ على طريدته كالصاعقة وأخذها أخذاً قوياً، يقول أبو نواس مصوراً ذلك:[1]

**حتى إذا أَقْصَدَ بعد الحَبْس[2]**

**عشرينَ من حبارياتٍ قُعْس[3]**

**مثل النصارى في ثياب طُلْس**

**فهُنَّ بين أربعٍ وخَمس**

**صرعى ومُسْتَدْمٍ أميمِ الرأس[4]**

**وحَرْبٍ يَشْفِنُ بعد التَّعْس[5]**

**كأنَّما صَبَغْتَها بِوَرْس[6]**

أما الطرائد التي أطلق عليها الشاعر بازيَّه فهي الحباريات والكراكي، وقد أبدع الشاعر في وصف الحباريات وأكثر من تشبيههن بالنصارى الشيب.

وأما الكراكي فلم يصفها هي وإنما وصف صيد البازي لها وفتكه بها وصراخها وإعوالها حين ينقضُّ عليها حيث قال:[7]

| | |
|---|---|
| **يَحمي عليها الجوَّ مِن فوقِها** | **حيناً ويُغريها الأحايينا** |
| **وهنَّ يَرْفَعْنَ صُراخاً كما** | **جَهْوَر في الشِّعْبِ المُلَبُّونا[8]** |
| **فمُقْعِصٌ أُثْبِتَ في سَحْرِه** | **وخاضِبٌ من دمه الطِّينا[9]** |
| **قد مَشَقَتْهُ في الحشا مَشقة** | **ألقتْ من الجَوْفِ المصارينا[10]** |

لم يقل أبو نواس في الصقور إلا ثلاث أراجيز لم تزُد أشطارها جميعاً على ثلاثة وأربعين شطراً[11]، مع أن الصقر هو الجارح الذي اختصت به العرب وزهت بتضريته على غيرها من الأمم، وأخذ الفرس عنها التصيُّد به. وقد صادت به العرب في جاهليتها وإسلامها، وهي لا تزال تصيد به حتى اليوم في الجزيرة العربية لا تكاد تعرف غيره، فشاعت مقولة علماء الطير:" إن الصقر عربي " كما رأينا من قبل.

---

[1] - الديوان: ٦٦٣ .
[2] - أقصد: طعن.
[3] - قعس: جمع قعساء وهي التي برز صدرها ودخل ظهرها، والحباريات ضرب من الطيور في قدر الديك كثير الريش طويل العنق .
[4] - أميم الرأس: مشجوجه.
[5] - الحرب: السليب. يشفن: ينظر بمؤخرة عينيه .
[6] - الورس: صبغ أصفر .
[7] - الديوان: ٦٧٠ . والشعر والشعراء: ٧٩٥/٢. والبيزرة: ١٦٥.
[8] - جهور: رفع الصوت. الشعب: شعب مكة. حيث يجهر الحجيج بالتلبية.
[9] - المقعص: الذي أصابته ضربة فمات مكانه. السَّحر: الرئة.
[10] - مشقته: طعنته.
[11] - الديوان: ٦٤٨- ٦٥٣- ٦٦١.

ولعل السبب في إهمال أبي نواس للصقور هو أنه كانت فيه شعوبية حماته على الولوع بذمّ العرب والنفرة من كل ما يتصل بهم.

وقد يكون هناك سبب ثان هو أن الملوك والأمراء الذين وصف أبو نواس جوارحهم غالَوا في اقتناء البزاة لنُدرتها وغلاء ثمنها تكاثراً وتفاخراً، وأعرضوا عن الصقور لابتذالها ورخصِ ثمنها، مع أنها لا تقلّ عن البزاة صيداً عند أهل العلم بالجوارح.

وله في اليؤيؤ طرديتان اثنتان[1]، ألمّ بوصفه فيهما إلماماً لا يميزه من سواه من الجوارح ولا يجلو صورته للقارئ.

أما الشاهين فليس له فيه إلا طردية واحدة[2].

ولم يكتفِ أبو نواس بنعت ما تعارف عليه الناس من جوارح الصيد، وإنما تجاوز ذلك إلى وصف الديك الهندي ومناقَرَته لأقرانه من الدّيَكة ونظم في ذلك أرجوزتين[3]. ومناقرة الديكة ضرب من اللهو البشع يلهو به الإنسان عندما تفرغ حياته من كل معنىً وتخلو من كل مكرمة.

ولم يقل في الفهد إلا أرجوزة واحدة[4].

وله في أدوات الصيد طرديات، ففي الحصان واحدة[5]، وفي الفخّ أخرى[6]، وفي قوس البندق ثالثة[7].

**ـ كيف بنى أبو نواس طرديته:**

خطّ أبو نواس لطردياته خطوطها العريضة، والتزمها التزاماً كبيراً في جُلِّ ما قاله في هذا الفنّ، وكان أبرز هذه الخطوط: أن الشاعر التزم في طردياته جميعِها بحر الرجز ولم يعدِل عنه إلى غيره إلا مرتين اثنتين، حيث استبدل به في كلتيهما البحر السريع الذي يقاربه في وزنه ويشاكله في موسيقاه[8].

ثم إنه التزم في أراجيزه القافية المزدوجة الروي، ولم يعدل عنها أبداً حتى غدت سمةً من سماته وميزة تمتاز بها طردياته.

وقد أقام أبو نواس طرديته في الكثير الغالب على ثلاثة أركان هي: المقدمة والمتن والخاتمة.

أما المقدمة فيتحدث فيها – غالباً – عن التبكير إلى الصيد حيث لا تزال الطيور في وكناتها

---

1 - الديوان: ٦٥٤ . والمصايد والمطارد: ٩٣.
2 - الديوان: ٦٦٤. والمصايد والمطارد: ٨٠. والبيزرة: ١٧٥ .
3 - الديوان: ٦٥٩- ٦٤٥.
4 - الديوان: ٦٤٩.
5 - الديوان: ٦٥٧.
6 - الديوان: ٦٦١.
7 - الديوان: ٦٦٨.
8 - الديوان: ٦٣٥- ٦٦١.

والوحوش في مرابضها، ويصف الليل الذي ما برح يلف الكون ببروده السود، ويصور تنفُّس الصبح، وانبلاج ضوئه الخافت من خلال الظلام. وأكثر مقدماته تُفتتَح بكلمة " قد أغتدي"، وكثيراً ما يفتتح مقدماته بكلمة " أنعتُ"، وقد يفتتحها بكلمة " رُبَّ" إما مسبوقة بـــ "يا" أو متبوعة بـــ " ما" أو يستبدل بها " واوَها". وقد يفتتحها بـــ " لمّا" الحينية. وقلما افتتح طردية بغير ذلك.

وأما متن الطردية فهو يخصّصه لوصف الحيوان الصائد- جارحاً كان أو ضارياً- وصفاً وافياً، أما الحيوان المصيد وعملية الصيد فقليلاً ما يصفهما الوصف الوافي.

وأما الخاتمة فهو يذكر فيها حصاد الصيد، ويعقِّب على ذلك بتحميدة أو حكمة مناسبة للمقام أو إطراءٍ للحيوان الصائد أو اعتبار بما حدث، أو غير ذلك مما يشعر القارئ بانتهاء الطردية ولا يقطع حبلها به قطعاً.

غير أن الشاعر لم يلتزم هذا البناء الثلاثي الأركان دائماً، وإنما عدل عنه أحياناً، فهناك طرديات قصرَها على وصف الحيوان الصائد مع ذكر خاتمة ذكَرَ فيها ثمرات صيده، وأخرى قصرَها على وصف عملية الصيد مع خاتمة خفيفة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بناء الطردية في أحسن أحواله عند أبي نواس لم يبلغ مرتبة الكمال التي كان يُرجى له أن يبلغها بسبب ما ساد في عصره من ثقافة ومنطق وموضوعية، ذلك لأن عملية الصيد لها عناصر ثابتة هي: الزمان، والمكان، والحيوان الصائد، والحيوان المَصيد، والإنسان الذي يوجِّه الصيد، ثم ثمرات الصيد ونتائجه.

ونحن نوافق الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا قولَه:" والطردية الكاملة هي تلك التي تُلِمُّ بهذه العناصر كلِّها إلماماً مناسباً، فتعطي كل عنصر حقه بحيث لا يجور على غيره ولا يجور غيره عليه"[1]. غير أن أبا نواس لم يوفَّق في أية طردية من طردياته إلى إقامة بنائها على هذا النمط.

حقاً إنه وصَفَ زمان الصيد – وهو لحظات البكور- وصفاً رائعاً، ونعَتَ الحيوان الصائد نعتاً بلغ فيه الغايةَ، وألمَّ أحياناً بعملية الصيد إلماماً مناسباً، وتحدث عن نتائجه في الكثير الغالب، لكنه أهمل مكان الصيد والإنسان الصائد، فلم يلتفت إليهما أبداً، ولو أن الشاعر سلك تلك الطريق في بناء طرديته لزانَها بمشاهدَ رائعة، وأغناها بصور نفسية دقيقة، ولَوَقى القارئ الملالة التي بعث عليها ضيقُ الموضوع وكثرة التكرار.

فتجديد أبي نواس من ناحية استقصائه وصف الحيوان الصائد، بينما كان الأقدمون يلمون بها إلماماً، وهذا التجديد في إطار التقليد الموروث في هذا الفن نزولاً على ما تفرضه طبيعة الموضوع وبيئته[2].

1 - شعر الطرد: ٢٢٨.
2 - اتجاهات الشعر العربي: ٤٧٣ .

ومع ذلك فلأبي نواس طرديات خَطَتْ أشواطاً في طريق الكمال، نَعَتَ فيها زمان الصيد والجارح الصائد والطير المصيد والعراك الذي دار بينهما وما أسفر عنه الصيد، وذلك في أرجوزته النونية التي قالها في البازي وصيده للكراكي[1].

**ـ خصائص شعر الطرد عند أبي نواس:**

**أ – الخصائص المعنوية:**

لعل أبرز ما يميز طرديات أبي نواس من الناحية المعنوية أنها حفلت بطائفة كبيرة من المعلومات المتصلة بالحيوانات الصائدة ولا سيما الكلاب، حتى إن هذه المعلومات لو نُثِرت وشُرِحت لاجتمع منها كتاب في البيزرة لا يقل عن غيره مما أُلِّف في هذا الباب. فالشاعر وصف الكلاب والبزاة وغيرهما من الجوارح والضواري وصفاً تناول كلَّ عضو من أعضائها واستوفى كل شيَة من شياتها.

ثم إن هذه الطرديات توقف القارئ على مدى تهالـُك الخلفاء والأمراء والأشراف وذوي

اليسار على الصيد ومبلَغ ِ استهتارهم به حتى جعلوا من كلابه بخاصة وحيواناته بعامة شخصياتٍ مرموقة ً لها أسماؤها المعروفة، وأنسابها المحفوظة، وأن هذا التهالك يتجاوز حده حين يتخذون من الدِّيَكة وسيلة للاستمتاع بها فيتسلون بمناقرتها[2].

ثم إن هذه الطرديات تكشف عما بلغه المُتْرَفون في هذا العصر من تأنُّقٍ وأخذٍ بأسباب الزينة التي تقتصر عليهم، وإنما امتدت إلى ضواريهم فزانوها بالحلي التي تمرح فيها.

ثم إن هذه الطرديات تكشف لنا المكانة التي كان يتمتع بها سُوّاسُ الجوارح والضواري، فالشاعر ينادي فهَّادَه نداءً يفيض بالود ويسأله في رفق أن يعدّ له الفهد ليغدوَ به إلى الصيد[3].

ثم إن هناك معنىً آخر توحي به هذه الطرديات هو أن الصيد أصبح غاية تُقصَدُ لذاتِها بعد أن كان وسيلة للرزق، وآيةُ ذلك تخصيصُ كثير من طرديات الشاعر لوصف الحيوان الصائد وحده، وإغفال ما عداه من الحيوان المصيد وطريقة الصيد وثمرته[4].

ومما يلفت النظر في هذه الطرديات أيضاً غِلَظ ُ قلوب الصائدين وانعدام الرحمة منها حتى لكأن الإيغال في مِتَع ِ الصيد ولذاته جعلت على قلوبهم أكِنَّة فما عادت تحسُّ بأية رحمة لهذا الحيوان، فالثعلب خرج مبكِّراً

---

[1] ـ الديوان: ٦٧٠ .
[2] ـ الديوان: ٦٤٥- ٦٥٩ .
[3] ـ الديوان: ٦٤٩.
[4] ـ الديوان:٦٣٣-٦٣٤ .

ليكدَّ على صغاره الذي خلَّفهنّ وراءه ينتظرون أوبته، فصبَّحَه الشاعر بكلبه ورماه به فمَزّق جسده وأزال مفاصله عن فِقاره، وقدَّ جانبي صدره، وهنا وقف الشاعر منتشياً بهذا المشهد يردد كلمات الشماتة[1].

وشيءٌ آخرُ يسترعي الانتباه في طرديات أبي نواس هو عدم ظهور آثار الإسلام فيها إلا في حالات نادرة. فقد عرفنا أن التسمية عند إطلاق الجارح شرطٌ في حِلِّ أكل الطريدة، وأن من شأن الصائدين أن يذكروا اسم الله على صيدهم، غير أن أبا نواس لم يلتفت إلى ذلك إلا مرة واحدة، وعلى وجه لا يوحي بالقصد، وذلك عندما ذكر ولعَ أحد الصائدين بكلبه وأتبع ذلك بوصف اندفاع الكلب وراء طرديته فقال:[2]

**يبيعُ باسم الله في أشلائه**

**تكبيرُهُ والحمدُ من دعائه**

ولعل السبب في إهمال هذا الجانب زمن أبي نواس هو أن الصيد لم تكن غايته الإفادة من أكل الطرائد حتى تُتَوَقَّى حرمتُها، وإنما كان الهدف منه هو الاستمتاع بالطرد نفسه مما جعله غاية تُقصَد لذاتها لا لفوائدها وثمرتها.

ولعل أعظم ميزة لهذه الطرديات هو ما اتسمت به من وحدة الموضوع والتسلسل المنطقي بين أجزائها، فأبو نواس قد محضَ أراجيزه هذه للصيد، ولم يشركه بشيءٍ آخر معه، فأصبح قارئُ الشعر العربي يتناول أرجوزة ذات عنوان محدد الدلالة، فإذا قرأها وجد أن كل ما فيها منبثق عن العنوان الذي صُدِّرَتْ به، ثم وجد نفسه ينتقل بين أجزائها في حركة منطقية تفضي فيه المقدمات إلى النتائج.

والمعاني في طرديات أبي نواس كثيراً ما تتسم بالطرافة والعمق، فلْنتابعه وهو يصف تعلُّق صائد بجارحه:[3]

**وقانصٍ أحفى به من أمـــه**

**لو يستطيــعُ قاتَــهُ بلحمــه**

**يقيه من بـــــرد الندى بكُمِّه**

**توقيةَ الأمِّ ابنَـــهــا في ضَمِّه**

**لما يَلَــذُّ أنفُــها مـــن شمِّه**

1 - الديوان: ٦٢٩ .
2 - الديوان: ٦٣٩.
3 - الديوان: ٦٦٩ .

فهل هناك تعبير عن الحُنُوِّ أبلغُ من قوله:" لو يستطيع قاته بلحمه"؟ وهل هناك صورة للعطف أروعُ من صورة الأم وهي تضم ابنها إلى صدرها وتملأ خياشيمها من شميمه فتبعثها تلك الغبطة الغامرة على المبالغة في توقيته ودفعِ هبوب الريح عنه.

وأخيراً ففي طرديات أبي نواس شعوبية ظاهرة، وقد يكون عجباً أن يكون فيها ذلك مع أن المقام لا يتسع لهذه الشعوبية، ولكن الواقع كذلك، فقد بدت شعوبيته تلميحاً حين أكثر من نعتِ البازي وهو جارح فارسي، وأقلَّ من نعت الصقر وهو جارح عربي، مع أن الصقر لا ينزل عن مرتبة البازي في الصيد، وربما فاقه، ثم بدت تصريحاً عند نعته للديك الهندي حين قال فيه:[1]

**أنعتُ ديكاً من ديوكِ الهنــدِ**

**كريمِ عــمٍّ وكريــمِ جــدٍّ**

**لنِسْبَةٍ ليستْ إلى مَعَــــدٍّ**

**ولا قضاعــيٍّ ولا في الأزْدِ**

**ب – الخصائص اللفظية:**

تأثرت ألفاظ الطرديات عند أبي نواس بطائفة من العوامل:

أولها: ذوقُ العصر الذي جعل يؤْثِر مأنوس القول ومألوفه وينفر من وحشيّه وغريبه.

وثانيها: طبيعة الرجز – والطرديات جلُّها أراجيز – وهي طبيعة تقوم على اصطناع الغريب وتسقُّطه وحشْده في الأرجوزة.

وثالثها: نظرة النقاد المتعصبين للقديم إلى أبي نواس وأضرابه من الشعراء المولَّدين.

هذه العوامل كانت تتنازع أبا نواس وهو يتخير ألفاظ طرديته، وقد أذعَنَ لها جميعاً واستجاب لنداءاتها كلها. لذا فأنت تقرأ طائفة من طردياته فتجد نفسك أمام شاعر مألوف اللفظ مأنوسه، ثم تقرأ طائفة أخرى فتهمّ بأن تنكر ما تسمع لكثرة ما يعترضك من الغريب الذي يحوجك إلى التنقيب في المعجمات، وتقرأ طائفة ثالثة فتجد أن الشاعر لم يُغــْرِب فحسب، بل تعاجَمَ أيضاً. ومن هنا رأى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا أن يقسم طرديات أبي نواس من حيثُ ألفاظـُـها إلى ثلاثة أقسام:[2]

أولها: تلك التي قالها "على الطبع" متأثراً فيها بذوق عصره مراعياً فيها قرّاءَ شعره[3]".

وثانيها: تلك التي قالها "على سبيل التحدّي" فحشد فيها الغريب حشداً، وقصد إليه عمداً[4]".

---

[1] - الديوان: ٦٤٥.

[2] - شعر الطرد: ٢٣٧.

[3] - مثلاً: الديوان: ٦٢٤.

[4] - مثلاً: الديوان: ٦٢٥.

وثالثها: تلك التي قالها "على سبيل التعاجُم" فحشد فيها الألفاظ الفارسية، المعرَّبة منها وغير المعرّبة، أكثر ما يمكن أن تحتمل أرجوزة عربية، إظهاراً لنَسَبِهِ وإشادة ببني قومه وتنويهاً بهم.[1]

**ج- الخصائص التصويرية:**

تعتمد الطرديات أكثر ما تعتمد على الوصف، فهي في جملتها نعتٌ للحيوان الصائد والمصيد، وما يدور بينهما من طراد.

والوصف إنما يهدف إلى تصوير الموصوف وتمكين القارئ من رؤيته بعيني خياله، وكلما كانت الصورة أكثرَ استيفاءً للموصوف وأشدَّ إبرازاً لجوانبه الهامة كانت أمتعَ للنفس وأوقعَ في الحسِّ وأدلَّ على قدرة الشاعر.

وأبو نواس في طردياته مصوِّرٌ بارع يملك ريشةً عزَّ أن نجد لها نظيراً في شُمول صورها، ودقة خطوطها، وبراعة ألوانها، وحُسْنِ عرضها، وقد اعتمد أبو نواس في إبراز صوره على أدوات أربع:

أولاها: الأداء المباشر الذي يقوم على الإفادة من المعاني الحقيقية للألفاظ واستخراجِ أقصى ما تملكه من قدرة على التعبير، وعدم اللجوء إلى المجاز على الرغم مما يزخر به من طاقات تزيد في قدرة اللغة على التصوير والنعت.

ولعل السبب الذي جعل الشاعر يعتمد في إبراز صوره على الأداء المباشر هو تمكُّنه من نواصي الكلـِم تمكناً جعلها تنقاد له كيفما شاء، وتُواتيه أنّى أراد، وتعطيه أقصى ما فيها من طاقات بسهولة ويسر، فكم من صورة جلاها الشاعر بوساطة المعاني المباشرة للألفاظ من غير أن يلجأ إلى أية وسيلة من وسائل البيان.

وثانيتها: التشبيه، وهو يمتلك في هذا الباب قدرة بارعة مكَّنَتْه من تجسيد المعقولات وتوضيح المحسوسات وتزيين الصور حتى إن القارئ ليكاد يلمس معنوياته بيديه ويراها بعينيه.

وثالثتها: الكناية: والكناية ضربٌ من البيان لطيف الإشارة حَسَنُ الدلالة، يتطلب من القارئ أن يتجاوز معنى اللفظ المباشر إلى لازم معناه، وفي الانتقال من الملزوم إلى اللازم حركة عقلية لطيفة تستمتع بها النفس ويرتاح لها الذهن وتُبْرَزُ بها الصور وتؤدَّى المعاني، " وكنايات أبي نواس تتسم بلطف الإشارة ووضوح الدلالة وصحة النُّقلة من اللازم إلى الملزوم"[2].

ورابعتها: الاستعارة: غير أن اعتماده عليها كان قليلاً نسبياً، فكم من طردية حفلت بالصور وهي خلو من الاستعارات.

---

[1] - مثلاً: الديوان: ٦٤٨-٦٦٤.
[2] - شعر الطرد: ٢٤١.

ومن خلال الحقيقة المباشرة، والتشبيه الدقيق البليغ، والاستعارة القليلة النادرة، أبرز أبو نواس صوره وجلّى موصوفاته. وهذه طائفة من الصور تشهد بصحة ما قلناه:

فمن صوره التي اعتمد فيها الأسلوب المباشر وحدَه قوله من طردية:[1]

**أنعــتُ كلباً ليس بالمسبوقِ**

**مُطَهَّماً يجــري على العروقِ**

**جاءت به الأملاكُ من سَلُــوقِ**

**يَشفي من الطرد جَوَى المَشوقِ**

**فالوحش لو مرّت على العيُّوقِ**

**أنزلــها داميــة الحُلـــــوقِ**

**ذاك عليــه أوجــبُ الحقوقِ**

**لكــلِّ صيــادٍ بــه مــرزوقِ**

فالشاعر لم يعتمد على غير الأسلوب المباشر في أداء الصورة، وذلك بفضل غنى ثروته اللغوية، وقدرته على التصرف بها واستخراج ما حفلت به من قدرة على التصوير والتعبير.

أما تشبيهاته فهي أكثر من أن تحصى وأغزر من أن تُستقصى، وهي كلها جميلة رائعة ازدانت بها كتب القدماء، فمما اختار أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني من تشبيهاته قوله في وصف حِدَّة أسنان الكلب ودقة حسه وشدة عدْوه:[2]

**كأنَّ لَحْيَيْهِ لدى افتــــراره**

**شكُّ مسامير على طَــوَاره**[3]

**سِمْعٌ إذا استَرْوَحَ لم يُماره**[4]

**إلا بأن يُطلَــقَ من عِذاره**

**فانصاع كالكوكب في انحداره**

**لَفْــتَ المُشير مُوهِناً بناره**

وقوله في وصف الحباريات:[1]

---

[1] - الديوان: ٦٢٤.

[2] - ديوان المعاني: أبو هلال العسكري- مكتبة القدس- مصر- ١٣٥٤هـ- ١٣٣/٢.

[3] - طواره: نواحيه.

[4] - السِّمع: ولد الذئب من الضبع وهو أشد ما يكون خبثاً، والمعنى أنه دقيق الحس، فإذا شمّ الطريدة فلا تماره في دقة حسه وصدق شمه وأطلقه عليها.

**فهنَّ في برانسٍ قُشُوبِ** [2]

**من حبَرٍ عُولِيْنَ بالتهذيبِ**

**فهنَّ أمثالُ النصارى الشِّيبِ**

ونحن لو رحنا نستقصي تشبيهاته لَعَزَّ علينا المطلب، وكلها رائعٌ بديع.

أما كناياته فكثيرة أيضاً، لكنها لا تبلغ مرتبة تشبيهاته كمّاً وكيفاً، وإن كانت لا تقل عنها كثيراً في الطرافة والجمال، فمن ذلك قوله مكنياً عن التبكير للصيد: [3]

**قد أغتدي والطير في مَثْــواتها**

**لم تُعْرِبِ الأفواهُ عــن لُغاتِــها**

وقوله كناية عن رقة أذن الكلب: [4]

**لو يلصقُ الخدَّ بأذُنٍ لالتصقْ**

أما الاستعارات فهي قليلة نادرة في طرديات أبي نواس – كما أشرنا– غير أن هذا القليل منها لا يقلّ جودة وجمالاً عن كناياته، فمن ذلك استعارته الشربَ لإذهاب قدرة الطريدة في قوله عن الكلب: [5]

**تلقى الظباء عَنَتاً من طردهِ**

**يشرب كأس شدِّها في شدِّهِ**

ومن ذلك استعارة الحِراب لبراثن البازي والتــِّبْر لكحل عينيه في قوله: [6]

| | |
|---|---|
| **لـــــه حِـــرابٌ فـــوقَ مِنـــــْقارِهِ** | **يَجْمَعْـــــنَ تأنيقـــاً وتَـــــسْنينا** |
| **ومقلــــــةٌ أُشْـــــرِبَتْ آماقــــــُها** | **تــــــِبْراً يــــروقُ الـــــصَّيْرَفيــِّينا** |

**د– الخصائص الموسيقية:**

من يقرأ شعر أبي نواس تَرُعْهُ تلك الموسيقى التي تهزج من خلال سطورها هزجاً يطرب النفس ويمتع الحس ويطلق صوت القارئ بالإنشاد ويستحثه على الاستزادة منه، لا فرق في ذلك بين الطرديات التي

---

[1] - ديوان المعاني: ١٣٨/٢.
[2] - قشوب: جديدة.
[3] - الديوان: ٦٢٨.
[4] - الديوان: ٦٣٨.
[5] - الديوان: ٦٢٤.
[6] - الديوان: ٦٧٠.

اتسمت بسهولة ألفاظها وإلفها وبين تلك التي حفلت بالغريب وازدحمت به. ويمكن إرجاع هذه الموسيقى إلى مصادر أربعة:

أولها: بحر الرجز الذي اتخذه الشاعر وزناً لطردياته ولم يعدِل عنه إلا مرتين اثنتين، حيث استعمل بحراً يقاربه في وزنه ويشاكله في موسيقاه.

والرجز ذو تفعيلات ثلاث متماثلات متتابعات متلاحقات تحمل إلى أذن القارئ نغماً موسيقياً متكرراً متتابعاً يهز الأذن هزاً مثيراً، ويحرك النفس حركة نشطة، ويصور الجري والطراد أصدق تصوير وأجمله.

ثانيها: الروي المزدوج الذي لم يعدِل عنه الشاعر في سائر أراجيزه، وازدواج الروي يوفر للقارئ طاقة موسيقية فوق طاقة البحر، ذلك بأن من يَنشِد هذه الأراجيز ذات الروي المزدوج لا يكاد ينتهي من شطر صغير يقف فيه على حرف الروي ويقطع عنده الصوت حتى يُفضي في نهاية الشطر التالي إلى حرف آخر مماثل لسابقه فيقف عنده تلك الوقفة أيضاً، وهكذا.

ثالثها: تلك الألفاظ التي حمّلها الشاعر فوق معانيها اللغوية إيحاءً موسيقياً ملائماً مما جعل القارئ يتلقّى المعنى من مصدرين: أحدهما المدلول الوضعي للكلمة وثانيهما دلالتها الموسيقية على ذلك المعنى.

لنأخذ مثلاً هذه الأبيات من إحدى أراجيزه وننظر إلى ما حفلت به من كلمات "تتلظى" بموسيقى ملتهبة أثارها حرفُ الظاء المشدَّد المطلق الآخر بالألف نجد مصداق ما قلناه:[1]

**أعددتُ كلباً للطِّـــراد فظّا**

**إذا غــدا من نَهَــمٍ تلظَّى**

**وجاذَبَ المِقــْوَدَ واسْتَلَــظَّا**

**كأن شيطاناً لــه أَلَــظَّا**

**يكظُّ أسرابَ الظباء كــظَّا**

**حتى تراها فِرَقــاً تَشَــظَّى**

إن القارئ ليدرك معنى قوله" يكظّ أسراب الظباء كظّا" حتى ولو لم يكن واقفاً على معنى " الكظّ" في اللغة، ولَيَرى بعينيه تمزُّق جماعات الظباء خلال قوله " تشظّى" قبل أن يستنجد بالمعجم لإدراك مدلول التشظّي.

ورابعها: الجناس الناقص المدعو بجناس الاشتقاق وإفادة الشاعر منه وإكثاره من استعماله، مما زاد وَتَراً جديداً في قيثارته، ذلك بأن هذا الجناس يقوم على استعمال طائفة من مشتقات المصدر الواحد في البيت

---

[1] - الديوان:٦٤١.

أو الشطر، فيتأتـّى من تكرار الحروف الأصلية للكلمات نغمٌ موسيقي عذب الجرس حسن الوقع في الأذن. من ذلك قوله:[١]

**أعـددتُ كلباً للطِّرادِ سَلـْطا**

**مُقـَلَّـداً قلائـداً ومَقْطا**

**ترى له خطّين خُطّا خَطـّا**

فانظر إلى قوله " مقلّداً قلائد"، وقوله " خطّين خُطّا خَطّا" وتأمل الجرس الذي أشاعته الحروف المتشابهة الموجودة في أصول هذه الكلمات تجدْه حافلاً بالعطاء الموسيقي الرائع غنياً

بالنغم الحلو الممتع.

[1] - الديوان: ٦٢٧.

# الفصل الثاني

## البناء الموضوعي للقصيدة الطردية

١- اتساع شعر الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

٢- البناء الموضوعي للقصيدة الطردية:

*- الزمان والمكان.

*- الصائد ووسيلة الصيد.

*- الطرائد.

*- الصراع و نهاية الطريدة.

*- المقطع.

٣- العموم والخصوص في البناء الموضوعي.

### ١- اتساع شعر الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

إن الولع بالصيد في القرنين الثالث والرابع الهجريين كان ضرباً من ضروب ذلك الترف الذي مافتئ يزداد ويفشو على مرّ الأيام، فقد اشتدّ إقبال خلفاء بني العباس عليه، وكثر المستهترون به من أصحاب الثراء، فجدّدوا في أدواته، وافتنــّوا في أساليبه وطرقه، وغالــَوا في اقتناء جوارحه وضواريه، وكثر الشعراء الذين أقبلوا على قرض الشعر فيه.

فالمعتصم الذي ولي الخلافة في العقد الثاني من القرن الثالث أربى على الذين سبقوه في كثرة التعلُّق بالفروسية وشدة الولع بالصيد، فقد قال عنه كشاجم: "إنه كان أكثر خلفاء بني العباس محالفة للصيد، وأخفَّهم فيه ركاباً، لتوفر همته على الفروسية وما شاكلها[١]"، بل إنه اختار الأرض التي بنى عليها (سامرّا) في رحلة من رحلات صيده، فهي "فضاء واسع تسافر فيه الأبصار، وهواء طيّب وأرض صحيحة[٢]".

وقد تأثّر الناس بخليفتهم الفارس الصيّاد، فتزيّوا بزيّه، واقتدَوا بآثاره، فقد جاء في مروج الذهب أنه غلب حبُّ الفروسية على المعتصم، والتشبُّه بالملوك الأعاجم في الآلة ولبس القلانس والشاشيّات، فلبسها الناس اقتداءً بفعله وائتماماً به[٣].

ولم يكن المتوكِّل أقلَّ من أبيه تعلّقاً بالصيد وإقبالاً عليه، وإن كان لا يدانيه في فروسيته وشجاعته، فقد أولع بالفهود وأغري بها واستكثر منها، وكان يهوى صيدها واللعب بها[٤].

وفي زمن المعتضد بلغ الاستهتار بالصيد غايته وعدا طوره، فقد ورث المعتضد عن المعتصم قوّته وولعه بالفروسية وشغفه بالصيد، فقد روى صاحب المصايد والمطارد أن المعتضد كان كالمعتصم في أكثر أموره ومآربه، وأشبه به من سائر أهل بيته وبنيه من الخلفاء، لمباشرة الحرب والصيد وما أشبههما، ولم يكن ينفكُّ من حرب إلا إلى صيد إلا إلى حرب[٥].

وكان إلى ذلك مغرماً بالصيد بالعقاب، وهو جارح صعب المنال عسير الترويض، لذا كان عــزيزاً نادراً لدى هُواة الصيد، وقد بلــغ من شغف المعتضد بالصيد وتفانيه فيه أنه دأب على

ممارسة صيد الأسود بنفسه دون أن يمكِّن أحداً من مؤازرته في ذلك أو مساعدته عليه[٦].

ولما آلت الخلافة إلى المكتفي لم يكن الولد دون أبيه ولعاً بالصيد واستهتاراً به، فقد ورث عن أبيه الخلافة وورث معها جوارحه وضواريه وبيازرته وفهّاديه وكلاّبيه، روى كشاجم "أن المكتفي لم يتأخر عن

---

[1] - المصايد والمطارد- ص ٥ .
[2] - مروج الذهب- ١٠/٤ .
[3] - المصدر السابق- ٢٤٦/٤ .
[4] - أنس الملا- ١٣٧ .
[5] - المصايد والمطارد- ص٦ . والبيزرة – ص٤٦ .
[6] - أنس الملا- ١١٩. والمصايد والمطارد- ٦. و البيزرة- ٤٦.

مذهب أبيه في الصيد، إلا أنه كان أكثر ما يدمنه الصيد بالفهد والعقاب، وأنه كان يباشر ذلك بنفسه ويمتهنها فيه لشدّة الشغف به والارتياح إليه[1]".

واستمرّ خلفاء بني العباس وأبناؤهم وكثير من الناس في العصر العباسي الثاني يولعون بالصيد، وكان المعتزّ كالمعتضد والمتوكل يخرج للصيد في مواكب حافلة، وانتشر ذلك بين ذوي الوجاهة انتشاراً واسعاً، مما أهّل لازدهار شعر الطرد في هذا العصر حتى لا يكاد يكون هناك شاعر نابه لا ينظم فيه طردية بل طرديات[2]. ويرى آدم متز أنه على الرغم من أنواع الرياضة الكثيرة التي انتشرت في القرن الرابع الهجري فقد بقي الصيد محتفظاً بكل ما له من شأن، بل ظهرت في تمجيده قصائد خاصة، إلا أن معظمها يدور حول مدح كلاب الصيد ووصفِها.[3]

وكلام متز يصور حقيقة الحال فيما يتعلق بنشاط الصيد وكثرة شعراء المطارد في القرن الرابع، وإن كان تصوُّره لكثرة الذي قيل في وصف كلاب الصيد يفوق ما عداه تصوراً مجافياً للحقيقة، إذ العكس هو الصحيح، بما تحت أيدينا من نصوص، وبما حواه كتاب كشاجم والحسن بن الحسين من مادة وافرة.

**٢ – البناء الموضوعي للقصيدة الطردية:**

**ـــ زمان الصيد ومكانه:**

دوافع الصيد القوت أو المتعة، فليس هناك مسوِّغ عنه في موسم دون الآخر، فالقوت لا تنفد الحاجة إليه، والمتعة لا تملُّها النفس، وكان الشعراء يخصون بالذكر ليالي الشتاء، موسم الجدب في جزيرة العرب، حيث يعزُّ القوت وتزداد الحاجة إليه، ويَحسُنُ أثناءه الكرم والجود[4]، ويذمُّ أبلغَ الذمِّ بخيلُه[5]، فينطلقون في عَرض الجزيرة يبحثون عن كريم المأكل[6].

أما الصيف حيث القيظُ الحرُّ الشديد، فلم يهجر الرماة القنص، ولم يأبه أحدهم بوَقْد رياحه، وكان الصيد غالباً عند مورد الماء[7]. "والأوقات المحمودة للصيد: يوم الغيم الذي لا مطر فيه[8]". فابن أبي كريمة افتتح

---

[1] - المصايد والمطارد- ٧. وينظر: البيزرة- ٤٨.
[2] - العصر العباسي الثاني- شوقي ضيف- دار المعارف ــ مصر- ١٩٧٣- ص ٤٨٦.
[3] - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري- آدم متز- ترجمة محمد أبو ريدة- طبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة- ١٩٢/٢ .
[4] - قال طرفة: نحن في المشتاة ندعو الجفلى    لا ترى الآدب فينا ينتقر
ديوان طرفة بن العبد- دار صادر- بيروت- ١١٧.
[5] - قال الأعشى: تبيتون في المشتى ملاء بطونكم    وجاراتكم غرثى يبتنَ خمائصا
ديوان الأعشى- شرحه وقدّم له محمد ناصر الدين- دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت- ط١- ١٩٨٧.
[6] - قال عنترة: ولقد أبيت على الطوى وأظله    حتى أنال به كريم المأكل
[7] أراجيز العرب- السيد محمد توفيق البكري- الطبعة الثانية- القاهرة- ١٣٤٦هـ- ص٣٨-٣٩.
[8] - المصايد والمطارد- ٢٣٥.

طرديته في وصف الكلب بأبيات نعت فيها الجوَّ الذي غدا فيه إلى الصيد فقال: بعد أن جلبت ريح الشمال عن وجه السماء السحب السود، واستبدلت بها غيماً رقيقاً تصافحه ريح هادئة رخاء لا باردة ولا سموم:[1]

**وغِـبَّ غمـامٍ مَزَّقَـتْ عـن سـمائه شـآميّةٌ حـصّاءُ جُـونَ الـسحائب[2]**

**مُوَاجِـهِ طَلْـقٍ لـم يُـرَدِّدْ جَهَامَـهُ تـذاؤُبُ أرواحِ الـصَّبا والجنائـب[3]**

"أما يوم الصيد من أيام الجمعة فذكر بعض من قسّم الأيام أنه يوم السبت[4]"، فقال:[5]

**لَنِعْـمَ اليومُ يومُ السّبتِ لصيدٍ إنْ أردتَ بلا امتراءِ**

ويعلّق صاحب المصايد على ذلك بقوله:"ولم أعرفْ مذهباً في اختيار يوم السبت للصيد، إلا أن الخبر جاء بالتماس البركات في غداتَي السبت والخميس، فأما من جهة اختيار الطالع وموقع الكواكب فالاختيار للصيد كالاختيار للحرب[6]".

أما الوقت الذي اختير للخروج إلى الصيد فهو الغدوة، والطيور لما تزل في وكناتها "لأن الطرائد تكون في ذلك الوقت قد ربَضتْ للنوم، فتستثار وفيها أثر النوم[7]".

فوقت الخروج إلى الصيد عند الصباح الباكر عادة، وفي النزع الأخير من الليل، مما اتفق عليه أغلب الشعراء الذين طرقوا وصف الصيد، وقد انصبّ اهتمام الشعراء على ذكر ذلك الوقت، "ومنذ سنّها امرؤ القيس تخاطَفَها الشعراء جيلاً بعد جيل[8]"، حتى أمست لازمة لا تكاد تفارق مطلع أي شعر يتناول مطاردة الحيوان ووصفه.

فعبد الصمد بن معذل يفتتح طرديته بقوله: كم غدوت إلى الصيد مبكراً، والشمس ما تزال محتجبة في خِدرها، هاجعة في قبتها لم توقظها الظُّلمة من سباتها، ولم تأذنْ لها السَّدفة بالشروق على الكون:[9]

**قد أغتدي والشمسُ في أرواقها[10]**

**لم تأذنِ السَّدفةُ في إشراقـها[1]**

---

[1] - الحيوان- ٣٦٨/٢. والمصايد والمطارد- ١٤٤. ونهاية الأرب- ٢٦٦/٩.

[2] - غِبَّ: بعْد- الشآمية: الريح الشمالية- الحصاء: الصافية بلا غبار، وتزعم العرب أن ريح الشمال تمزق السحاب- الجُون: جمع جَون وهو الأسود المشرَّب حُمرة.

[3] - الجهام: السحاب لا ماء فيه- التذاؤب: اختلاف الرياح واضطرابها ومجيئها من هنا وهناك- يقول: هذا الغمام واجه هواء طلقاً لا حارّاً ولا بارداً وهو لا يعوقه عن السير ريح أو غيره- و(مواجه طلق) صفة للغمام في البيت السابق.

[4] - المصايد والمطارد- ٢٣٦.

[5] - المصايد والمطارد- ٢٣٦غير منسوبة. والنفحات المسكية في صناعة الفروسية- الشريف الحموي- تحقيق عبد الستار القرغولي- بغداد- ١٩٥٠. ص٧٨ ونسبها إلى أمير المؤمنين علي. وفي ديوان ابن الرومي- تحقيق حسين نصار- المجلد الأول- ص١٣٦.

[6] - المصايد والمطارد- ٢٣٧. وفي الأغاني- ١٧٠/١٨.

[7] - المصدر السابق- ٢٣٥.

[8] - أمالي المرتضى- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر- القاهرة- ١٩٥٤- ١٨٩/٢. وذلك إشارة إلى قول امرئ القيس من المعلقة:

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

[9] - المصايد والمطارد- ١٩٠. و البيزرة- ١٢٤.

[10] - الأرواق: جمع روق، وهو الفسطاط والقبة وموضع الجلوس، والشقة دون العليا.

وابن أبي كريمة يفتتح طرديته بنعت الجوّ الذي غدا فيه إلى الصيد، حيث انجلت السحب السود، وكان الليل يلملم أثوابه ويهمُّ بالرحيل ليفسح المجال أمام الصبح الذي أقبل ينعى الدجى، فبدا للسارين في عتمة الفجر كقنديل راهب دَأَبَ على تفَقُّده والعناية به:[2]

**بَعَثْــتُ وأثْــوابُ الــدُّجى قــد تقلَّــصَتْ لغُرَّةِ مشهــورٍ منَ الصُّبحِ ثاقبِ[3]**

**وقــد لاحَ نــاعي الليــل حتــى كأنَّــه لــساري الـدُّجى فـي الليـل قنـديلُ راهـبِ[4]**

والناشئُ يغدو إلى الصيد ومايزال الفجر محتجباً بسواد الليل منقّباً عن عيون الناظرين، فيقول:[5]

**قد أغتدي والفجرُ في حجابهِ**

**لم يَحْلُلِ العقدةَ من نِقابِــهِ**

وابنُ المعتزّ لا يحيد عن ذلك المطلع في الكثير الغالب، فهو يغدو إلى الصيد ولايزال سواد الليل فاحماً وكأنه الغراب، ومايزال قناعه على حاله من سواد اللون فيقول:[6]

**قد أغتدي والليل كالغرابِ**

**داجي القنــاعِ حالكُ الإهاب**

**ملقى السدولِ مغلق الأبوابِ**

**حتى بدا الصبحُ من الحجابِ**

**كغُــرّةٍ جلّتْ عــنِ الشبابِ**

وفي طردية أخرى يقول: لقد غدونا إلى الصيد مغلّسين، والليل لايزال مسودَّ الجوانب، وأمعنّا في البحث عن الطير، فكنّا ندع أرضاً ونأخذ أخرى، ومازلنا كذلك حتى تنفّس الصبح ولاح ضوؤُه وأشرقت الأرض بنوره:[7]

**لما غَــدَوْنا بسَحَــرْ**

**واللّيلُ مُسْوَدُّ الطُّررْ[8]**

**نأخــذُ أرضاً ونَذَرْ**

**ولاحَ صبحٌ واشْتَهَرْ**

---

[1] - السَّدفة: بفتح السين: الظلمة.

[2] - الحيوان- ٣٦٨/٢. والمصايد والمطارد- ١٤٤. ونهاية الأرب- ٢٦٦/٩.

[3] - الغرة: أول النهار ووجهه- الصبح المشهور: الظاهر الساطع.

[4] - قنديل الراهب زاهر منير دائماً لأنه يعنى به ويتفقده.

[5] - المصايد والمطارد- ١٥٢.

[6] - ديوان عبد الله بن المعتزّ- أخرجه محيي الدين الخياط- مطبعة الإقبال- بيروت- ١٣٢٢هـ- ١٠/٤.

[7] - الديوان- ١٩٤.

[8] - الطرر: جمع طرّة وهي جانب الثوب الذي لا هدب فيه.

وابن الرومي يباكر الطيور وهي هاجعة مطمئنة في أوكارها، ولو درت تلك الطيور أن الموت سيكون مع استيقاظها لما نامت:[1]

**وقد أغتدي للطيرِ والطيرُ هُجَّعُ ولو أَوْجَسَتْ مَغدايَ ما بِتْنَ هُجَّعَا**

أما أبو فراس الحمْداني فيحدد وقت السحر أيضاً للخروج إلى الصيد قائلاً:[2]

**دعــوتُ بالصَّــقَّارِ ذاتَ يومِ**

**عند انتباهي سَحَراً من نومي**

ولم ينسَ الشعراء تحديد أماكن الصيد في جُلِّ ما قالوا من طرديات، فالناشئُ يفتتح إحدى طردياته بوصف المورد الذي اجتمعت عليه الطيور، إنه غدير ماء رقراق يلتمع تحت أشعة الشمس كسيف مصقول، تؤمُّه الطيور كلُّها:[3]

**يا رُبَّ ضَحْضَاحٍ قريبِ المَشْرَعِ[4]**

**مُطَّــرِدٍ مثلِ السُّيوفِ اللُّــمَّعِ**

**مُجَلَّـــلٍ بسابحــاتٍ وُقَّـــعِ**

وابن المعتزّ يصطاد قرب بغداد الغزلانَ والمها، فيفتتح إحدى طردياته بقوله:[5]

**قدنا لغزلانِ الدُّجَيْلِ والمها[6]**

**ضوامراً تحسبْهُنَّ نُــقَّها**

ويفتتح طردية أخرى بقوله: رحمة لطير الماء ربيب الغدران وابن البرك، أتى عليه حين من الدهر وهو يحيا آمناً مطمئناً في جوار بحيرة تداعب الريح صفحتها فتتكسر وتتثنّى:[7]

**رَيْحَ ابنِ غُدرانِ المَسيلِ والبرَكْ**

**جاوَرَ حِــيناً ماءَ بحرٍ ذي حُبُكْ[8]**

وأبو فراس يسير بركب رحلته إلى مكان يدعى (عين باصر)، فيحلون بها مع الأصيل، وقد كانت الشمس تختال في ثيابها الذهبية، ويبيتون ليلتهم فيها يصغون إلى تغريد الطيور التي

لا تدري أنها على شفا حفرة من مناياها:[1]

---

[1] - ديوان ابن الرومي- شرح مجيد طراد- دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٩٨- ٣٧٥/٤.
[2] - ديوان أبي فراس- رواية أبي الحسن بن خالويه- دار صادر- بيروت- ١٩٩٦- ص٣١٩.
[3] - المصايد والمطارد- ٢٥٣.
[4] - الضحضاح: الماء اليسير القريب القعر.
[5] - الديوان- ٤٢/٤. والمصايد والمطارد- ١٥٤.
[6] - الدجيل: اسم مكان بالقرب من بغداد.
[7] - الديوان- ٣٧/٤.
[8] - الحبك: تكسّر كل شيء كالماء إذا مرت به الريح.

ثـــم قـــصدنا صـــيدَ عـــينِ باصـــرِ | مَظَـــنَّةِ الـــصّيـدِ لِكُـــلِّ خـــابِرِ
جئنـــاهُ والـــشمسُ قُبَيْـــلَ المَغـــربِ | تختـــالُ فـــي ثـــوب الأصـــيلِ المُـــذْهَبِ
وأخـــذ الـــدُّرَّاجُ فـــي الـــصِّياحِ | مُكتنِـــفاً مـــن ســـائرِ النَّـــواحي
يَطْـــرَبُ للـــصُّبح ولـــيس يـــدري | أنَّ المنايـــا فـــي طُلـــوعِ الفجـــرِ

وها هو كشاجم يتذكّر أيام رحلاته لاقتناص الصيد، معدداً الأمكنة التي كان يصطاد فيها، وقلبُه يعتصره الأسى والأسف، فمن دير القصير إلى جنات حلوان إلى موقع النخلات، تلك أمكنة كانت بها الحياة زاهية والعمر في مقتبله:[2]

ســـلامٌ علـــى دَيْـــرِ القَـــصيرِ وسُـــجْفِهِ | فجَنَّـــاتِ حلـــوانٍ إلـــى الـــنَّخَلاتِ[3]
منـــازلُ كانـــت لـــي بِـــهِنَّ مـــآرِبٌ | وكانـــت مَـــواخيري ومُنْتَزَهـــاتي[4]

أما (كربانة) وأيام الصيد بها، فقد أصبحت ذكريات يتناقلها السُّمّار بعد أن انقضت وانقضى معها الشباب بما فيه من متع ولذاذات:[5]

وحبَّـــذا يـــومٌ بكـــربانةِ | والفجـــرُ قـــد أســـفرَ إســـفارا[6]
ولّـــى وأبقـــى ذكـــرُهُ بَعـــدَهُ | لـــسائرِ الطُّـــرَّادِ أسْـــمارا

والصنوبريُّ يبدأ بالحديث عن الروضة مكان الصيد وما انتشر عليها من حلل الأزهار والأنوار التي أنبتها المطر، فقد لبست ثوباً لا يستطيع أيُّ إنسان أن يصنعه:[7]

**يا روضةً صاغ لها حُليَّها الأشراطُ[8]**
**خيطتْ عليها حُلَلٌ ما خاطها خَيَّاطُ**
**فبعضُها مطـــارفٌ وبعضُها أنماطُ**

والطرد مادة جَمة في شعر الشعراء في هذين القرنين، وليس هدف هذه الدراسة الجمع والاستقصاء، وإنما هدفنا أن ندلل على هذه الظاهرة، وهي أن أشعار الطرد في ذينك القرنين لا تكاد تخلو من افتتاح بذكر وقت الصيد وهو الفجر وأماكن الصيد وهي غالباً غدران الماء وبركه والرياض الخضراء الندية، فهي مَظَنَّة الصيد لاجتماع الطيور والحيوانات بها.

---

[1] - الديوان- ٣٢٠.
[2] - ديوان كشاجم- دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٩٧- ص٤٣.
[3] - دير القصير، السجف، حلوان، النخلات: أمكنة.
[4] - المواخير: مجالس الشراب.
[5] - المصدر السابق- ١٦٣.
[6] - كربانه: اسم موضع.
[7] - ديوان الصنوبري- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ١٩٧٠- ص٢٨٧.
[8] - الأشراط: كواكب ينسَب إليها المطر، فكأنها هي التي أنبتت أزهار الروضة.

**ـ الصائد ووسائل الصيد:**

**أولاً: الجوارح:**

اختلف علماء البيزرة في عدد الجوارح وأنواعها وأقسامها، لكن أمثل هذه التقسيمات – كما بدا لي – هو ما أورده كشاجم في كتاب المصايد والمطارد، حيث جعل الجوارح أربعة أنواع هي: البزاة، والشواهين، والصقور، والعقاب. وجعل تحت كل نوع منها عدة أصناف:[١]

فالبزاة خمسة أصناف هي: البازي، والقيمي، والزُرَّق، والباشق، والبيدق.

والشواهين ثلاثة أصناف هي: الشاهين، والأنيقي، والقطامي.

والصقور ثلاثة أصناف هي: الصقر، والكونج، واليؤيؤ.

أما العقاب فهي صنف واحد.

ثم ألحق بهذه الأنواع الزَّمّج، فصارت جملة الجوارح عنده ثلاثة عشر جارحاً.

**١- البزاة:**

البازي – كما مر بنا- ملك الجوارح وسيدها، وأعلاها كعباً وأغلاها ثمناً، وهو مما اختصت به الملوك.

وفي العصر العباسي أضحت ممارسة الصيد به ضرباً من الرياضة والمتعة، لذا زاد اهتمامهم بهذه الرياضة ووسائلها، فكانوا يُلبسون جوارح الصيد القلائد والملابس الخاصة التي تظهر اعتزازهم بها، وشغفَهم بتلك الرياضة[٢].

وأجـــود البزاة أجمعها خَلقاً، وأثقلها وزناً، وأكثرها طعاماً، وأسرعها استمراءً، وأوســـعها حدقة، وألينها ريشاً، وأعظمها منسراً، وأشدها تشميراً، وأوثقها سلاحاً، وأشدها انتفاضاً.[٣]

وقد وصف الشعراء البزاة وصف حفيٍّ بها، فجلوها للناظر في صور مشرقة تملأ العين جمالاً، والقلبَ جلالاً، وتجعل القارئ يبصر الجارح من خلال أشعارهم، كما لو كان ماثلاً أمامه يرمقه بعينيه ويمَسُّه بيديه، مزجوا في نعته العلم بالأدب، وجمعوا الحقيقة مع الخيال، فالناشئ يقول: إذا تأملت هذا البازي رأيت سواد عينه عقيقة حمراء، وألفيت بياضها قد طُوِّق بتِبر أصفر، وهي حين تحدّق في الأشياء تمور كما يمور النور[٤]:

---

[1] - المصايد والمطارد- ٤٩.

[2] - الصيد والطرد في الشعر العربي- عباس مصطفى صالحي- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بغداد- ١٩٧٤- ص ١٦٨.

[3] - المصايد والمطارد- ٥٤. ونهاية الأرب- ١٨٧/١٠. والصيد والطرد عند العرب- مؤلف مجهول- تحقيق الدكتور ممدوح حقي- دار اليقظة- دمشق- ص٤٦.

[4] - المصايد والمطارد- ٦٨. البيزرة ــ ١٦٧.

مكـــانُ ســـوادِ العـــينِ منـــه عقيقـــة وتبْـــرٌ علـــى خـــطٍّ البيـــاضِ يـــدورُ

تمـــورُ إذا مـــا رَنَّقَـــتْ فـــي مآقهـــا كما مـــارَ مـــن مـــاءِ الزجاجـــةِ نـــورُ[1]

وابن المعتزّ ينظر إلى مقلته الثاقبة التي زانت رأسه فبدت كمسمار من ذهب فيقول:[2]

ذو مقلةٍ تهتِكُ أستارَ الحُجُـبْ

كأنها في الرأسِ مسمارُ الذَّهَبْ

وكشاجم يرى في مقلته التي لا تخطئ مقاتل الطيور ديناراً أحكم صنعه واستدار:[3]

يفتـــقُ حَملاقـــين عـــن مقلـــةٍ يخالهـــا النّـــاظرُ دينـــارا

صـــادقةٍ تُعمِـــلُ لَحظـــاً إلـــى مَقاتـــلِ الطـــائر نُظّـــارا

وهو ذو جناحين يحكيان برداً مختلف الألوان بهي الرواء، ذا شقتين عاليتين ضافيتين، وجسد كأنما أُسبل عليه درع من الخزّ الموشّى، وريش مدرج كحبك الغدران بعد المطر، يقول الناشئ:[4]

لـــه قُرْطُـــقٌ ضـــافي البنائـــق أنْمَـــرٌ مُفَـــوَّفُ ضـــاحي الـــشقتين طَريـــرُ[5]

ومـــن تحتـــه درعٌ كـــأن رَقومَـــه تعـــاريجُ وشْـــيٍ أرضُـــهنَّ حريـــرُ[6]

كـــأنَّ انـــدراجَ الـــريشِ منـــه حبائـــكٌ بعقـــبِ سحابـــات لهـــنَّ نـــشورُ[7]

وابن المعتز يصور انتصابه على شمال بازياره كما ينتصب الأمير المزهوّ بعطاياه وجوده، ومنسره الذي يحكي السنان المرهف المخضّب بدماء طرائده، وذيله الريّان ذا الريش المشاكل للقَصَب، وقد أسبله على جسم أبيض نقيٍّ كالقطن:[8]

يعلو الشمالَ كالأميـرِ المنتصِبْ

أمكَنَه الجـودُ فأعطى ووَهَـبْ

ذو منسرٍ مثلِ السّنانِ المُختضِبْ

وذنَبٍ كالذّيلِ ريّـانِ القَصَـبْ[9]

---

[1] - رنقت: من الترنيق بمعنى إدامة النظر.
[2] - الديوان- ٧/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- الصولي- مطبعة الصاوي- مصر- ١٣٥٥- ص ٢٠١.
[3] - ديوان كشاجم- ١٦٣.
[4] - المصايد والمطارد- ٦٨. والبيزرة- ١٦٧.
[5] - القرطق: الثوب، فارسي معرب- البنائق: جمع بنيقة وهي لبنة القميص- الضاحي: العالي.
[6] - الرقوم: جمع رقم وهو ما يكتب على الثوب وغيره .
[7] - الحبائك: جمع حبيكة وهي الطريقة في الرمل والماء وغيرهما.
[8] - دوان ابن المعتز- ٧/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢٠١. والمصايد والمطارد- ٦٧. والبيزرة- ١٧٠.
[9] - القصب: أنابيب من جوهر، والقصب كل عظم مستدير أجوف.

**أُسْبِـلَ فوق عُطْبَةٍ منَ العُطَبْ**[1]

ولا يبتعد الصنوبري عن تلك الأوصاف كثيراً، فالبازيّ الذي يصفه من أفضل البزاة، وأرفع الطُّرُز، فمنسره معوجّ، ومخلبه كالمخرز حدة ومضاء، وقد كساه الله ريشاً ناعماً كأنه القزّ المنسوج، ولونه بلون الأرزّ، ضخمةٌ مهاميزُه، قويٌّ حفزُه، خطِر على الطير:[2]

**بازيكَ هذا من رفيعِ البَـزِّ**

**طرازُه شاهِدُهُ في الطُّـرزِ**

**ذو مَنْسَرٍ أقنى ورُسْغٍ كَـزِّ**

**ومخلبٍ لم يعدُ إشفى الخَرْزِ**[3]

**مسربلٌ مثلُ حبيـكِ القَـزِّ**[4]

**أو مثلُ جَزْعِ اليَمَن الأرُزّي**[5]

**جَمُّ المهاميزِ شديدُ الهمـزِ**[6]

ولم يكتفِ الشعراء بوصف البازي وصفاً حسياً يبرز شياته وألوانه ويصور شكله وهيئته، إنما نعتوه نعتاً معنوياً أيضاً، فوصفوا بُعد نظرته، ونُجحه في الصيد، وقدرته على طرائده.

فالناشئ ينادي صاحبه قائلاً: عليَّ بالبازي يا صاحبي، عليّ به فهو جُنتي ومأمني من الفقر والبؤس، ألستَ ترى هذه الظباء التي ترد المياه الصافية الرقراقة البراقة؟

ثم يلتفت إلى مخاطبة ضواريه فيقول لها: انهدي إليهن يا ضوارينا، واجعليهن من حظي، وإذا لم تجيئي بهن فسوف أغالي في لومك:[7]

| | |
|---|---|
| **أيـا صـاحِ بـازيَّ بـازيَّ إنَّـهْ** | **مـن البـؤسِ والفقـرِ جُنَّـهْ** |
| **ألـستَ تـرى ظَبَيـاتٍ يـردْنَ** | **مياهـاً يُـضيءُ تلألؤُهُنَّـهْ** |
| **ضـوارينَا، شـأنُكُنَّ النُّهـودُ** | **لهـنَّ، فهـنَّ إلـيَّ يكُنَّـهْ** |
| **فيـا مـا أُقَبِّحَكُـنَّ الغـداةَ** | **إذا لـم تجـئنَ إلينـا بهِنَّـهْ**[8] |

---

[1] - العطبة: القطن.
[2] - ديوان الصنوبري- ص ١٣٤.
[3] - الإشفى: مخرز الإسكاف، جمعه أشافٍ.
[4] - حبيك: محبوك، يعني أنه يلبس ريشاً كالقزّ المحبوك.
[5] - الجَزع: الخرز. الأرزي: الذي لونه كلون الرزّ.
[6] - الهمز: الضغط والدفع والحفز.
[7] - المصايد والمطارد- ٦٨. والبيزرة- ١٧٢.
[8] - فيا ما: أي كم.

وابن المعتزّ يقول: لقد غدوت إلى الصيد مرتدياً ثوب الليل الخلِق، ومعي بازي يرمي بنظراته البعيدة في كل أفق، إنه ميمون النقيبة فارهٌ على الصيد، ما أبصر طريدة إلا نالها، وما اتجه نحو طائر إلا لحق به، وهو لشدة قَرَمه للصيد يكاد يحترق حين يرمي به القانص عن كفّه:[1]

**غدوتُ في ثوبٍ من الليلِ خَلَقْ**

**بطارحِ النّظـرةِ في كلِّ أُفُـقْ**

**مبـاركٍ، إذا رأى فقد رُزِقْ**

**أو طارَ نحوَ صيدٍ فقدْ لَحِـقْ**

**وإن رَمَتهُ الكفُّ كادَ يحترقْ**

وكشاجم يشبه بازيه بشعلة من النار تتصبّ على ما يراه من الطيور أمامه، أو كأنه أعرابيٌّ يسعى لنيل ثأره، وأنّى له أن يقصّر في ذلك والعار يلاحقه، فيا لهذا الصائد العجيب! لا يبقي ولا يذر، يأخذ ما يدُبّ على الأرض وما يطير في السماء، لقد أسال دماء طرائده أنهاراً ذلك اليوم:[2]

| | |
|---|---|
| **كأنّـه شعلـةُ نـارٍ إذا** | **عايَـنَ فَتْخـاءَ وخـشنارا**[3] |
| **أو عـربيٌّ فاتـكٌ ثائـرٌ** | **يخـافُ فـي تقـصيرِه العـارا** |
| **فلـم يـزلْ فـي عَجَـبٍ عاجـب** | **يأخـذُ مـا دبَّ ومـا طـارا** |
| **فيـا لـه يـوماً هَـرَقـنا بـه** | **مـن دم مـا صـدناه أنهـارا**[4] |

ويمضي ابن المعتز في الحديث عن أنواع البزاة الأخرى، فالباشق[5] قد درّب على الصيد، وفُهِّم التأديب، شجاع في الطرد، لا يعيبه إلا عشق الموت في سبيل هدفه:[6]

**يا كـفُّ ما خُيِّبْتِ إذ غدوتِ**

**بباشـقٍ يعطيـكِ ما ابتغيتِ**

**لا يتّـقيه هـاربٌ بفَـوْتِ**

**سهـمٌ مصيـبٌ كلـما رميتِ**

**مـؤدَّبٌ يسـرع إن دعـوتِ**

**لا عيبَ فيه غيرُ عشق الموتِ**

---

[1] - ديوان ابن المعتزّ- ٣٤/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢١٨.

[2] - ديوان كشاجم- ص ١٦٣.

[3] - الفتخاء: الحمامة. خشنارا: طير من طيور الماء.

[4] - هراق الدم: أراقه وسفكه.

[5] - الباشق: أعجمي معرب، من البزاة، يصيد الدرّاج والورشان والحمام. حياة الحيوان الكبرى-١/ ١٣٧.

[6] - ديوان ابن المعتز- ٢٩٢.

والتفت كشاجم إلى جمال ريشه وزركشته فكأنه النقوش التي تحلّي بها الفتيات أيديها، وكأنّه لنحوله عاشق أضناه فراق من يحبّ، أما انقضاضه على الطّريدة فكالرّيح المرسلة أو البرق اللامع:[1]

**وكأنَّ جــؤجؤَه وريشَ جناحه خُضبا بنقشِ يــدِ الفتاةِ العاتقِ**

**وكأنّما سكَنَ الهوى أعضاءَه فأعارهن نحــولَ جسم العاشقِ**

**وإذا انبرى نحو الطريدة خلتَه كالريح في الأسماع أو كالبارقِ**

ومع أن البيدق جارح صغير لا يصيد إلا العصافير[2]، فقد اهتمّ به كشاجم لاختصاصه في البيزرة والمصايد والمطارد وكلّ ما يمتّ إليها، فهذا البيدق رغم صغر حجمه لكنه يفعل فعل الباشق في الطرائد، فهي لا تكاد تفلت من شراكه، يصيدها كما تصيد المعشوقة عاشقها، لا يحول بينها وبين ذلك شيء:[3]

**حسبي من البزاة والزرارق[4]**

**ببيــدقٍ يصيد صيدَ الباشق**

**مــؤَدَّب مدرَّبُ الخلائــق**

**أصيَدُ من معشوقةٍ لعاشق**

**يسبق في السرعة كلَّ سابق**

**ليس له عن قصده من عائق**

أمّا الزّرّق وهو جارح دون البازي، فيقف الناشئ عنده متأملاً جمال خَلْقه وحسن فعله، فهو مجرَّب في ميدان الصيد، أبيض اللون، يفوق الصقر قدرة وقوة، جناحه جميل مزركش، ومنسره معقوف كقرن الظبي، أما صدره فقد تأنّق الخالق في جميل تلوينه وإبداع تكوينه:[5]

**يا قانصٌ أعــد إلينا بــزُرَّقٍ مخبــورِ**

**من أبيض للبوازي مغالــب الصقور**

**له جنــاحٌ وثيــرٌ مضاعَــف التنمير**

**ومنسرٌ ذو انعطافٍ كقرن ظبي غرير**

**وصدرُ بازٍ طريرٌ مُفَــوَّفُ التحبيــر**

**كأنه ثوبُ وشيٍ مُعَــوَّجُ التسنيــرِ**

---

1- نهاية الأرب- ١٩١/١٠. ولم أجدها في الديوان.

2 - حياة الحيوان الكبرى- ١٣٧/١.

3 - ديوان كشاجم- ٢٣٥.

4 - الزُّرَّق: من البزاة، يصيد بين البازي والباشق، قيل: هو البازي الأبيض، والجمع زرارق وزراريق. حياة الحيوان الكبرى- ٤٧٨/١.

5 - المصايد والمطارد- ٧٤.

## ٢ – الشواهين:[1]

ذكر العلماء بالجوارح أن الشاهين أسرع الجوارح كلها، وأشجعها وأحسنها تقلّباً وإقبالاً وإدباراً وأشدّها ضراوة على الصيد[٢]، وذكروا أنهم وجدوا عظامها أصلب من عظام سائر الطير، والحَمام منه أشدّ فرقاً من الصقر والبازي[٣]. وأول من اتخذ الشواهين وتصيّد بها قسطنطين ملك عمورية، وكان إذا ركب سارت الشواهين حائمة على رأسه حتى ينزل فتقع حوله[٤].

التفت شعراء الطرد إلى هذا الجارح وتناولوه بالوصف، فعبد الله الناشئ يقف عند حسن تأديبه وتضريته، فقد ضرّاه سائسه تارة بالقسوة وأخرى باللين، فأحكم تضريته حتى إنه لا يحتاج إلا إلى وحي بالجفون كي يفهم ما يريد سائسه، يقول:[٥]

**هل لكَ يا قَناص في شاهينِ**

**سَـوْدانَقٍ مـؤدَّب أميـنِ[٦]**

**جاء به سائسه من زِريـنِ[٧]**

**ضـرّاه بالتخشيـن والتليين**

**حتى لَأغنـاه عن التلقيـن**

**يكـاد للتثقيـف والتمـرين**

**يعرف معنى الوحي بالجفونِ**

ثم يتحدث عن جماله وتلاوين ريشه التي تجعله يبدو وكأنه يلبس قرطقاً مفوّفاً من الحرير يحكي ثوب أنوشروان أو محظيّته شيرين:

**يظلُّ من جناحه المَزيـن**

**في قُرْطُقٍ من خزِّه الثمينِ[٨]**

**مُفَـوَّفٍ في نعمةٍ ولين**

**يشبه في طرازه المَصون**

**بُرْدَ أنوشروانَ أو شيرينِ**

---

[1] - الشاهين: جمعه شواهين وشياهين وليس بعربي، لكن تكلمت به العرب، وهو ثلاثة أنواع: شاهين وقطامي وأنيقي، شديد الضراوة على الصيد، ينقضّ على الفريسة من غير تحويم. حياة الحيوان الكبرى- ٥٣٣/١.

[2] - المصايد والمطارد- ٧٩.

[3] - المصايد والمطارد- ٧٩. وحياة الحيوان الكبرى- ٥٣٣/١.

[4] - المصدرين السابقين- ٨٢. و ٤٢/٢.

[5] - المصايد والمطارد- ٨٠. والبيزرة- ١٧٧. ونهاية الأرب- ٢٠٢/١٠.

[6] - السودانق: والسوذينق: الصقر أو الشاهين.

[7] - زرين: أو رزين: اسم موضع، ولم أجده في معاجم البلدان. سابيه: في النهاية "السائس".

[8] - القرطق: الثوب، فارسي معرّب.

ثم ينتقل إلى وصف سلاح هذا الشاهين فيقول: إنه ذو سلاح كالدّرع المُنَضّد المحكَم المضاعَف النَّسجِ الذي تُثني بعضُه فوق بعض، وله مِنسَر محدَّد مسنون يحكي في شكله جزءاً من الحاجب المقرون، ويشبه في اعوجاجه عطف حرف النون:

**وشِكَّـــةٍ كزَرَدٍ مَوْضُـــونِ**[1]

**مضاعَفٍ بالنسج ذي غُضُونِ**[2]

**ذي منسرٍ مُؤَلّـَـلٍ مسنونِ**[3]

**وافٍ كشطر الحاجب المقرونِ**

**منعطفٍ مثل انعطافِ النونِ**

أما كشاجم فتغريه أسراب الكراكي، لكنه يدرك بعد شيء من التأمل أنه لا يمكن أن يصيدها بالشباك ولا بالسهام لبُعدها، فيستنجد بالشاهين، ذاك الصائد الأفضل، فهو مؤدب أُحسِن تأديبه، مضرّىً على الصيد لا تفلت منه طريدة وإن بلغت النجوم عُلُوّاً وتحليقاً:[4]

| | |
|---|---|
| **يـــا رُبَّ أســـرابٍ مـــن الكراكـــي** | **مطمعـــــةِ الـــسكونِ والحـــراك** |
| **بعيــــــدةِ المنـــــــال والإدراك** | **تُعجِـــزُ أن تُـــصاد بالـــشباك** |
| **أو تَـــدَّريها أســـهُمُ الأتـــراك** | **دعـــوتُ قبـــل لغـــط المكـــاكي** |
| **وقبـــل تغريـــد الحمـــام البـــاكي** | **بفاتـــكٍ يَـــربى علـــى الفُتّـــاك** |
| **مـــؤدَّبِ الإطـــلاق والإمـــساك** | **حتـــى إذا قلـــنا لـــه دَرَاكِ** |
| **وحلَّقَـــتْ تـــسمو إلـــى الأفـــلاك**[5] | **موقِنـــــةً بعاجـــــل الهـــلاك** |

**أسرى بكفيـــه بلا فكـــاك**

وعليّ بن الجهم كان قد خرج يوماً مع أصحابه إلى الصيد، واتفق لهم في مرج للزعفران كثيرٌ من الطير والوحش، فاصطادوا منها كثيراً بالبزاة والصقور والشواهين والكلاب، وفي ذلك يقول:[6]

| | |
|---|---|
| **وطِئْنـــا ريـــاضَ الزَّعْفَـــرانِ وأمـــسكتْ** | **علينا البُـــزاةُ البـــيضُ حمـــرَ الـــدرارجِ** |
| **قرنّـــا بُـــزاةً بالـــصقورِ وحوّمـــتْ** | **شواهينُنا مـــن بعـــد صـــيدِ الزَّمـــامجِ** |

---

[1] - الشكة: بكسر الشين: السلاح. الموضون: المحكم التنضيد.
[2] - الغضون: جمع غضن: كل تثنٍّ في ثوب أو نحوه.
[3] - المؤلل: المحدد.
[4] - المصايد والمطارد- ٨١. لا وجود لها في الديوان.
[5] - الأفلاك: الكواكب والنجوم.
[6] - ديوان علي بن الجهم- تحقيق خليل مردم- المجمع العلمي العربي بدمشق- ص١٢٠ .

وعبد الله بن المعتزّ يصف الشاهين وصيده لطير الماء فيقول: ويحاً لطير الماء ورحمة له من خاطف ذي كف لها مخاليب كالأسنّة، غدا مع الصباح ظمآن للدماء:[1]

**وَيْحَ ابنِ غُدرانِ المَسيلِ والبِرَكْ**

**من ذي اختطافٍ كفُّه ملأى حَسَكْ[2]**

**غدا إلى الدماء عطشانَ الحَنَكْ**

**٣- الصقور:[3]**

من أصبر الجوارح عند الشدّة، وأشدّها إقداماً على جملة الطير من الكراكي وغيره، يضرّى على الغزال والأرنب، لا يأوي إلى الأشجار وإنما يسكن المغارات والكهوف وصدوع الجبال[4].

وقف شعراء الطرد عند هذا الجارح وتناولوه بالوصف، فعبد الله بن محمد الناشئ يقول: ربَّ صقر فارهٍ يفترس الصقور التي تنطلق معه إلى الصيد ويكسر العقبان التي تحاول أن تستلب منه صيده. إنه يرتدي ثوباً فاخراً مخططاً يستر جسمه ويكشف عن ساقيه، وتحته قباء من حرير اجتمع له الوشي مع التنمير، وتعريج الخطوط مع التدوير، فأشبه السطور التي ضمّ الكاتب الماهر بعضَها إلى بعض. وهو إلى ذلك رائع الصورة مكتمل الجمال كأنه أعطي حق إبداع ذاته فصوّر نفسَه كما يشاء:[5]

**يا رُبَّ صقرٍ يَفْـرِسُ الصقورا**

**ويكسرُ العقبـانَ والنســورا**

**يجتابُ بُرداً فاخراً مطرورا[6]**

**مُسَيَّـراً بكتفــه تسييــرا[7]**

**وقــد تَقَبَّى تحتــه حريــرا[8]**

**مُشَمِّــراً عن ساقه تشميــرا**

**يضاعفُ الوشيُ به التنميرا[9]**

**مُعَـرَّجاً فيه ومستــديرا**

---

[1] - ديوان ابن المعتزّ- ٣٧/٤.

[2] - الحسك: بفتح السين نبات ذو شوك صلب له ثلاث شعب، والحسك أيضاً ما يُعمَل من الحديد على مثله وهو من آلات العسكر.

[3] - الصقر طائر يصاد به، والجمع أصقُر وصقور وصقورة وصقار وصقارة، والأنثى صقرة، والصقر هو الأجدل والأكدر والأخيل، وكنيته أبو شجاع، والصقر أحد أنواع الجوارح الأربعة، وهو ثلاثة أنواع: صقر وكونج ويؤيؤ. انظر: حياة الحيوان الكبرى- ٥٥٤/١. و المصايد والمطارد- ٨٤.

[4] - المصايد والمطارد- ٨٤.

[5] - المصايد والمطارد- ٨٦. والبيزرة- ١٧٨.

[6] - يجتاب: يرتدي ويلبس.

[7] - المسير: المخطَّط.

[8] - تقبى: لبس القباء.

[9] - الوشي: التطريز.

كما يضمُّ الكاتبُ السطورا

كأنـــه قد ملــكَ التصويرا

لنفســه فأحســنَ التقــديرا

ويصف مبلغ رعاية صقَّاره به، ومدى عنايته بتثقيفه وتدريبه وحُنُوِّه عليه منذ أخِذ فرخاً صغيراً إلى أن غدا جارحاً مكتملاً صَيوداً، يعرف ما له وما عليه، ويدرك ما للصديق من حق في عنقه فيؤدّيه:[1]

سباهُ مَن كــان به خليــقا

فرخاً صغيراً ما أقلَّ مُوقا

زيَّنَــه برأيــه شفيقــا

كما يصون العاشقُ المعشوقا

حتى انتهى وحمل الحقوقا

ونفع الصاحــب والصديقا

وعرَف الإيماء والتصفيقا

وأحسن الإمساك والتعليقا

وكشاجم يغدو إلى الصيد بصقر مؤدّب، أحمر قويّ شجاع، جريءٍ على الظباء، ينتصب مزهوّاً على كف سائسه كما يزين الخاطبون المنابر:[2]

| | |
|---|---|
| غــدونا وطــرفُ الليــل وســنانُ غــائرُ | وقــد نــزَلَ الإصــباح والليــلُ ســائرُ |
| بأجــدلَ مــن حُــرِّ الــصقورِ مــؤدَّبٍ | وأكــرمُ مــا جرَّبْــتُ منهــا الأحــامرُ |
| جــريءٍ علــى قتــل الظبــاء وإنــه | ليُعجبنــي أن يقتــلَ الــوحشَ طــائرُ |
| وتحملـــه منّـــا أكُـــفٌّ كـــريمةٌ | كمــا زَهِيَــتْ بالخــاطبين المنــابرُ |

والصنوبريّ يغدو إلى الصيد بصقر غضبان، منسره قويّ مقوّس يختطف نفوس طرائده، زُركِش ثوبه الجميل فلا نظير له في الكون، أما ذيله فقد أخزى ذيل الطاووس بَسطة وجمالاً، وأما جناحاه فإنهما يختالان على الكون كله حسناً وبهاءً، فهو كالعروس تباشر الفتيات روعــة وزهاءً:[3]

بأجــدلَ تخــالُهُ عِتْريسا[4]

ذي منسرٍ يَختطفُ النفوسا

---

[1] - المصايد والمطارد- ٨٦.

[2] - المصايد والمطارد- ٨٧. وقد نسبها لكشاجم، ولا وجود لها في ديوانه، وفي البيزرة- ١٧٩، وقد نسبها لعبد الله بن محمد الناشئ.

[3] - ديوان الصنوبريّ- ١٩٢.

[4] - الأجدل: الصقر. العتريس: الجبار الغضبان.

**أشفى ترى في رائه تقويسا**[1]

**أُلبِس بُرداً لم يكن ملبوسا**

**بَسطَ الذُّنابى يُخجِل الطاووسا**

**له جناحـــان إذا ما قيسا**

**يباشـــران الأرضَ أن تميسا**[2]

**قـــد أُحكِما في كَتَدٍ تأسيسا**[3]

**تحسبهُ من حسنه عروسا**

أما السريّ الرّفّاء فيتأمّل عين الصقر ويتناولها بالوصف، فهي صافية من الأقذاء، ما إن ترى الطيور حتى تُرديها بسهامها وبطشِ صاحبها، فهو يعرف منها المقاتِل، لا تَحيد ضربته عنها أما مخالبه فسيوف تلتمع تعشي الناظر من بريقها:[4]

**وأعيُنٍ تأنَفُ من إغضائها**

**صافيةِ الأجفانِ من أقذائها**

**تُردي بنات الغُدر في أثنائها**

**يحملها طَبٌّ بجسمٍ دائها**

**كأنما كسَّر في أثنـــائها**

**صوارماً تُعشيكَ من لألائها**

أمـــا ابن المعتزّ فينعت صقره بإحكام الصيد وحذَقه وولعه به واستجابته له، ومـــا تعانيه الطيور من كَسْره وشدّه، فهو سَوْط عذاب مسلّط عليها، يهوي فوقها هُوِيَّ الماء في البئر، ويتبعها مهما نأت عنه، يخزِزُها ويطعنها مسيلاً دماءها مزهقاً أرواحها، ذلك بأنه لم يطرِ إلا ليعود ظافراً:[5]

**وأجـــدلَ أُحكِمَ بالـــتَّأديبِ**

**صَبٍّ بكفِّ كلِّ مستجيبِ**

**سوطِ عذابٍ واقعٍ مجلوبِ**

**يهوي هُوِيَّ الماء في القليبِ**[6]

---

[1] - الأشفى: الأحجن.

[2] - تميس: تختال وتتكبّر.

[3] - الكتد: مجمع الكتفين.

[4] - ديوان السريّ الرّفّاء- دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٩١- ص٧٦.

[5] - الديوان- ٨/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢٠٩. ونهاية الأرب- ١٩٨/١٠.

[6] - القليب: البئر.

**متَّبعاً لطمـــعٍ قـــريبِ**

**وإن نأتْ مسارحُ المطلوب**

**ما طار إلا لدمٍ مصبوبِ**

ويصف الصقر بالقسوة على طرائده والفظاظة في صيدها، فلا يأخذه فيها إلٌّ ولا ذمة، وما بينه وبينها لين ووعظ، وإنما سفك وقتل، وهو صَيود مظفّر تنال يداه كلَّ ما أبصرَته عيناه:[1]

**قاس على سفك الدماء فظُّ**

**ما بينه وبينـــهنَّ وعظُ**

**يعطي يديه ما أراه اللحظُ**

كما تناول الشعراء اليؤيؤ بالوصف، فقد رآها الناشئ أخفَّ الجوارح روحاً، وأنجحَها مسعىً، وهي زُرق الأجساد، واسعة العيون، سُفْعُ الخدود، مدبَّجة موشّاة، اكتست أثواباً تَرى في جمالها عظيم إعجاز الخالق وقدرته.

إنها غليظة السلاميات رحبة المناخر، لها هامات كالحجارة استدارة وصلابة، ومناسر كسّابة للصيد، ومخالب كأظافر الأسُود:[2]

| | |
|---|---|
| **إن اليـــآئي أخـــــفُّ الطيـــــرأرواحا** | **نَعَمْ، وأســرعُها فــي الــسَّعي إنجـــاحا** |
| **زرقٌ، كأن عيــونَ الــوحشِ أعيُنُــــها** | **سُفْعُ الخدودِ تَــزين الكــفَّ والرَّاحــا**[3] |
| **مُــدبَّجـــــاتٌ ، مُوَشّـــــاةٌ يَلامِقُـــــها** | **يوضحنَ عن حكمــةِ الــرحمن إيــضاحا**[4] |
| **شَثْنُ الــسُّلامى رحيــبُ المِنْخَــرين إذا** | **ما راح من غيــر بُهْــرٍ خلتَــه ارتاحــا**[5] |

ثم صوّر انقضاضها على طرائدها فقال: إنها تهبّ إلى طرائدها هبوب الريح، وتمضي إليها مُضيَّ السهم، وتنحطّ عليها انحطاط الشهاب، وإذا رأيتها تهتزّ قَرَماً للصيد وتَصيح شهوة له أدركتَ ما في صدورها من حقد على الطرائد، فهي تسطو عليها وتملك نفوسها وتفتك بها، فكأنّ جلود الطير أقفال أقفلتها على أنفسها لتحتمي بها، واليؤيؤ مفتاح تلك الأقفال ينتزعها:

| | |
|---|---|
| **يـــنقضُّ كـــالريح أو كالـــسهم منخرقـــاً** | **أو كالــشهاب إذا مـــا انــصاع إيــضاحا** |
| **يكــــاد يعلـــم مـــا تخفيـــه مهجتُـــه** | **من الحُقــودِ إذا مـــا اهتــزّ أو صـــاحا** |
| **مُمَلَّــــكٌ لنفــــوس الطيـــر ينـــسِفُها** | **نـــسفاً، فيقبــــض أجــسـاماً وأرواحـــا** |

[1] - الديوان- ٣٠/٤.
[2] - المصايد والمطارد- ٩٢.
[3] - سُفع: جمع أسفع وهو ما كان أسود في حُمرة.
[4] - اليلامق: جمع يلمَق وهو الثوب.
[5] - شثن السلامى: غليظ الأنامل.

كأنمــا أَقفلَــتْ بالأُهْــبِ أنفــسَها فكــان بالقهــر للأقفــال مفتــاحا

**٤ – العقاب:**[١]

من أعظم الجوارح، وهي مؤنّثة وتذَكّر، وتلقّب باللقواء، وليس بعد النسر من الطير طائر أعظم منها، والكثير عقبان، وهي سوداء، تصيد حتى الغزلان وربما صادت حُمُر الوحش[٢].

وقد أولع بها الشعراء، فالببّغاء كان ولعُه بالجوارح العنيفة العنيدة كالعقاب والزّمّج، فكلاهما تصيد في الجوّ كما تصيد على الأرض، حتى أن العقاب ربما صادت حمار الوحش على قوّة جسمه وضخامة هيئته، كما أنها إذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً انقضّت عليها فتتركه لها وتنجو بنفسها، ومتى جاعت العقاب لا يمتنع عليها الذئب[٣]. يقول الببّغاء في تشريفها على سائر الصوائد من ضوارٍ وجوارح:[٤]

مــا كــلُّ ذاتِ مخلــبٍ ونــابِ مــن ســائر الجــوارح والكــلابِ
بمُــدرِك فــي الجــدِّ والطــلابِ أيــسر مــا يُــدركُ بالعقــابِ

فجناحها عظيم، يظلّل الأرض ويستر الشمس والسحاب، وإن حلّقت لا ترى طيراً يطير خوفاً وهلعاً، عيونها ترسل شهباً، ومنكبها عظيم، ومنسرها محدّد قاطع، أمّا راحتاها فتحكي راحتي الأسد العظيم، وفي مقدمتها براثن كالحراب، فهي زعيمة الجوارح دون منازع:

تطيــر مــن جناحهــا فــي غــابِ وتــستر الأرض عــن الــسحابِ
وتحجــب الــشمس بــلا حجــابِ يظــلُّ منهــا الجــوُّ فــي اغتــرابِ
مستوحــشاً للطيــر كالمُرتــابِ ذكيَّــةٍ تنظــر مــن شــهابِ
ذاتِ جــران واســعِ الجلبــابِ ومنكــبٍ ضــخمٍ أثيــثٍ رابِ
ومنــسرٍ موثَّــقِ النــصابِ وراحتــي ليــثٍ شــرىً غــلاّبِ
نيطــت إلــى براثــنٍ صِــلابِ مرهفــةٍ أمــضى مــن الحــرابِ
وكــلُّ مــا حلّــق فــي الــضبابِ لملكــها خاضــعةُ الــرِّقابِ

وكشاجم يغدو إلى الصيد مع أذان الفجر_ وكانت النجوم قد بدأت تغور_ بلقوة جائعة، لكنّها لفرط نشاطها وقدرتها على الصيد تكفل إطعام الجياع من الصائدين بها، فهي مضمّرة وكأنها تُعدُّ لسباق أو رهان،

---

[1] - العقاب من الكواسر، ولا تقع على الجيَف إلا إذا عضّها الجوع، قوية المخالب، في ساقها ريش، ولها منسر قصير أعقف. حياة الحيوان الكبرى- ١١٠/٢.
[2] - العقاب يقع على الذكر والأنثى إلا أن يقولوا: هذا عقاب ذكر. اللسان (عقب).
[3] - حياة الحيوان الكبرى- ١١١/٢.
[4] - نهاية الأرب- ١٨٣/١٠- ١٨٤.

مخالبها قوية أمضى من السيف والرمح،ومنسرها قد صبغَته دماء طرائدها فغدا أحمر، ومقلتها حمراء وكأنها العقيان. إنّ صفاتها هذه كفيلة بصيد الجأب والأتان:[1]

| | |
|---|---|
| **يا ربّما أغدو مع الأذان** | **والنجمُ قد رنّقَ كالوسنان[2]** |
| **بلقوةٍ موثقة الأركان** | **غرثى وكم تُشبِع من غرثان** |
| **كأنّما تُضمَّر للرهان** | **بمخلبٍ يهتكُ دستباني** |
| **يفلُّ حدَّ السيف والسنان** | **ومنسرٍ من الدماء قانِ** |
| **ومقلةٍ طحَّارة الأجفان** | **كأنّما صيغتْ من العِقيان[3]** |

**تضمن صيد الجأب والأتان[4]**

**٥- الزُّمَّج:**

طائر يصيد به الملوكُ الطيرَ، وأهل البزدرة يعدونه من خفاف الجوارح، وذلك معروف في عينيه وحركته وشدّة وثبه، يقبل التعليم لكن بعد بطء، ومن عاداته أنه يصيد على وجه الأرض، والمحمود من خَلقه أن يكون لونه أحمر، وهو يصرع الكراكي والظباء والثعالب والأرانب إلى الذئب، والذئبُ جلُّ صيده[5].

وقد وقف عند وصفه شعراء الطرد كما وصفوا سواه من الجوارح، فالناشئ في طرديته نعته نعتاً عامّاً يشاكل ما قاله في الجوارح الأخرى، فخلع عليه القرطق المحبّر المدبَّج، والوشيَ الدقيق المعرَّج، والبُرد المضاعَف المدرَّج، مما يصلح له ولسواه:[6]

**أعددتُ للنُّدمان صيد زُمَّج**

**عبلِ السَّراة ذي قوامٍ عَسْلَجِ[7]**

**في قُرْطُقٍ مُحَبَّرٍ مُدَبَّجِ**

**مُبَطَّنٍ بوشيه المُعَرَّجِ**

**مُظاهَرٍ ببُردِهِ المُدَرَّجِ**

ثمّ راح يصفه وصفاً خاصّاً به، فتحدّث عن منسره الطويل القويّ الذي يحكي قرن الظبي، ومنخره الكبير الذي يشبه فُوق السهم الأفلج، وساقه الطويلة التي تماثل ساق ولد النعامة، فقال:

[1] - لا وجود لها في ديوان كشاجم، وفي المصايد والمطارد- ١٠١، وقد نسبت لكشاجم، وفي والبيزرة- ١١٧غير منسوبة.
[2] - رنّق النوم في عينيه: خالطهما.
[3] - طحرت العين قذاها: رمت به.
[4] - الجأب: الحمار الوحشيّ الغليظ، والجمع جؤوب.
[5] - حياة الحيوان الكبرى- ٤٨٣/١. والمصايد والمطارد- ١٠١.
[6] - المصايد والمطارد- ١٠٢.
[7] - العسلج: الغصن الناعم الطويل.

**ذي منسرٍ كقَرن ظبيٍ أدعج**

**ومِنْخَــرٍ كفُــوق سهمٍ أفلج[1]**

**وساقِ هَقْلٍ خاضبٍ مُضَرَّج[2]**

وأبو الفرج الببّغاء ينعت الزمّج نعتاً لا يتعدّى صفاته الخارجية، فهو قويّ صلب،طويل العنق أعوجه، ومنسره معوجّ كبير، أما عينه فلشدّة احمرارها تظنها ناراً متّقدة، ورأسه ململم صلب كالحجر:[3]

**ذي قصبٍ عبــلٍ أصمَّ مُدْمَــجِ**

**وعنــقٍ سامٍ طويــلٍ أعــوجِ**

**ومنسرٍ أقنى فسيــحٍ مُسْــرجِ**

**منخرقِ المَدْخل رحبِ المَخرج**

**ومقلــةٍ تشفُّ عن فيــروزجِ**

**ناظــرةٍ من لهــبٍ مُؤَجَّــجِ**

**وهامــةٍ كالحجرِ المُدَمْلَــجِ**

**ثانياً: الضواري:**

**١- كلاب الصيد:**

شاطرت الكلاب العربيَّ حياته الصعبة، وقاست معه شظف العيش، وعانت ما كان يعانيه في حله وترحاله، فألفت كل ذلك، وفطن العربيُّ إلى وفائها، فوكل إليها مشاركته في حماية ما يحرص عليه من طعام، وكانت تنبهه إلى أعدائه، وتحتفي بضيوفه، وفي هذا يقول الدكتور أحمد الحوفي: "أهم مظهر للكلاب في شعرهم أنهم اتخذوا من إلفها الوافدين عليهم دليلاً على كرمهم وتردُّد الضيوف على دورهم، ولهذا افتخروا ومدحوا بصمتها، وذُموا أو هُجوا بنباحها الوافدين[4]".

وضرّى العرب كلابهم على الصيد، وجعلوها عوناً لهم في استحصال القوت، يرسلونها على الطريدة إذا يئسوا أن تنالها نبالهم، فكانت مثار إعجابهم وموطن إعزازهم، وأولوها اهتماماً كبيراً، وحرصوا على "إبراز خصائصها من فَراهة ونشاط وشراسة، وحدة في السمع والبصر[5]"، وحفظوا أنسابها كالخيل[6].

---

[1] - فُوق السهم: الفرضة في آخره حيث يثبت الوتر.
[2] - الهقل: ولد النعام. الخاضب: الذي أكل نبت الربيع فاحمرّت ساقاه.
[3] - شعر الببغاء – تحقيق سعود محمود عبد الجابر – مؤسسة الشرق للعلاقات العامة – الدوحة – قطر – ١٩٨٣ م – ص ٣٨.
[4] - أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي- أحمد الحوفي- الطبعة الأولى- القاهرة- ١٩٥٨- ص١٠١.
[5] - المرجع السابق- ١٠٢.
[6] - انظر: المصايد والمطارد- ١٣١. والحيوان- الجزء الثاني- ١١٨.

ولعلّ ذلك يصور مقدار رعاية العرب لكلابهم، ومدى إعزازهم لها حين ميزوا بينها بالأسماء كما يميزون أبناءهم.

واشتُهر السلوقي من كلاب الصيد[1]، وعرفه العرب، وذكره الشعراء في شعرهم كالمزرّد وغيره[2]، ولعل هذا دليل نجابتها ومهارتها في الصيد، ومن علائم مهارة الكلب وخبرته في الصيد أنه "إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المعتل وغير المعتل، وعرف العنز من التيس[3]".

وأكثر ما ورد ذكره في الشعر في الشعر الجاهلي والأموي بصحبة الصائد الفقير جائعاً كصاحبه، منهوك القوى، صريعاً في أكثر معاركه[4]، وندرت الإشارة إليه عند الشعراء المترفين أرباب الجاه والسعة[5].

أما في الشعر العباسي فقد نال الكلب إعزازاً يكاد يقابل إعزاز الجاهلي لحصانه، فافتُنّ في أوصافه، وتبارى الشعراء في نعته، واعتُني به، واهتُمّ بتربيته، فقد عُدَّ العدة الأولى في عالم الصيد، ويرى صاحب (الوصف في شعر العراق) أن هذا الاهتمام به كان نتيجة مباشرة لسيطرة الحضارة الاجتماعية الفارسية على المجتمع العباسي[6]، ولعل هذا يفسر اهتمام أبي نواس الكبير بالكلب كما مر بنا في الفصل الأول من هذا البحث، فهو من أبرز الشعراء المحدثين، وخير من يتمثل فيه امتزاج الثقافتين العربية والفارسية.

وتابعَه في ذلك الشعراء العباسيون مقتفين آثاره، فعليٌّ بن الجهم يغدو إلى الصيد بكلاب ضامرة مرهفة الشم، حتى لكأن بطونها السهامُ نحولاً ومضاءً، تَدْلَعُ ألسنتها لاهثاتٍ وكأنها لحىً طالت فزانت أوجُه الرجال، وقد فحصت المرج فحصاً دقيقاً حتى لكأنها أنامل دقيقة لفتاة تفلي القطن وتخلص الحَبَّ منه، فلا تبقى حبة مختبئة، بل تستخلصها أنامل مرهفة:[7]

| | |
|---|---|
| **بمُســتروِحاتٍ ســابحاتٍ بطونُهــا** | **على الأرض أمثــالُ الــسهامِ الــزوالجِ[8]** |
| **ومــن دالعــاتٍ ألــسُناً فكأنَّــها** | **لحىً من رجــالٍ خاضــعينَ كواســجٍ[9]** |
| **فَلَيْنــا بهــا الغِيطــانَ فَلْيــاً كأنَّهــا** | **أناملُ إحــدى الغانيــاتِ الحَوالــجِ[10]** |

والناشئ يصور منزلة الكلب في نفس صاحبه وأثره في حياته تصويراً بالغ الدقة فيقول: إن صاحب هذا الكلب يرى حقوق نفسه في ماله دون حقوق كلبه،وهو قد صاغ طباعه على وفق طباعه، وجعل

---

[1] - العمدة- ٢٣٢/٢.

[2] - ديوان المزرّد بن ضرار الغطفاني- تحقيق خليل إبراهيم العطية- بغداد- ١٩٦٢- ص٤٧. والحيوان- ١٨/٢. والمفضليات- المفضل الضبي- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف- مصر- ١٩٦٢- ص١٠١.

[3] - الحيوان- ١١٧/٢.

[4] - ديوان لبيد- ٣٠٧.

[5] - شعر الطرد عند العرب- ١٧٨.

[6] - الوصف في شعر العراق- ص٢٠٦.

[7] - ديوان عليّ بن الجهم- ص١٢٠.

[8] - مستروحات: تشم آثار الصيد. سابحات: مسرعات. الزوالج: التي تنزلق بسرعة.

[9] - دالعات: مخرجات. الكواسج: جمع كوسج وهو من لحيته على ذقنه دون عارضيه.

[10] - فلينا: فحصنا. الحوالج: اللائي يخلصن البذور من القطن.

سلوكه على حسب هواه، حتى لكأنه سيدٌ يملك رقَّه ويتصرف في حريته، وهو يبذل في سبيل رعايته ومرضاته الكبير والصغير، والقليل والكثير، فكأنه في فرط تودُّده إليه عبدٌ يرجو من سيده أن يُعتقه:[1]

**يا رُبَّ كلبٍ ربُّه في رزقِه**

**يرى حقوقَ النَّفسِ دونَ حقِّه**

**مُتَّبِعاً بخُلْقِه لخُلْقِه**

**كأنَّما يملكُ عقدَ رقِّه**

**يصونُه بجِلِّه ودقِّه**[2]

**كآملٍ من مالكٍ لعتْقِه**

ثم يضيف إلى هذه الصورة المعنوية التي تفعم النفس إكباراً لهذا الحيوان صورةً حسيّة تملأ العين بجماله، فهو من فرط ضموره بدا كعاشق أضناه طولُ حبه حتى غدا أصفر يأسر جمالُ صورته العيون ويلهيها عما سواه، فهو كالنُّضار الذي أخرج من حُقه، له غُرة تميزه وتُظهر تفوقه وحجولٌ تبرزه وتبدي سَبقه:[3]

**تراه في تسريحِهِ ورَبْقِهِ**[4]

**كعاشقٍ أضناهُ طولُ عشقِهِ**

**أصفرَ يلهي العينَ حُسنُ خَلقِهِ**

**كذهبٍ أبرزتُه من حُقِّهِ**

**ذي غُرَّةٍ فارقةٍ لِفَرقِهِ**

**وذي حجولٍ بيَّنَتْ عن سَبقِهِ**

وابن المعتزّ ينعت كلباً من كلابه فيقول: إنه كلب ضامر الجسم، ناحل الخصر، وثيق الأعضاء، ذو أذن طويلة بعيدة المدى، تحكي في شكلها أوراق السوسن، وبرثن حادّ يشبه في حدّته ونفوذه مثقب الحذّاء، ومقلة قليلة القذى صافية صفاء قطرات السحب:[5]

**ومُخَطَّفٍ مُوَثَّقِ الأعضاءِ**[6]

**ذي أذنٍ ساقطةِ الأرجاءِ**[7]

---

[1] - المصايد والمطارد- ١٥٢.
[2] - جله ودقه: كثيره وقليله.
[3] - المصايد والمطارد- ١٥٥.
[4] - الربق: مصدر قوله: ربقت الجدي أربقه إذا جعلت رأسه في الربقة.
[5] - الديوان- ص٢. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢٠٧.
[6] - المخطف: الضامر.
[7] - ساقطة الأرجاء: بعيدة المدى.

**كوردةِ السَّوسنةِ الشهلاءِ**[1]

**وبُرثُنٍ كمثــقبِ الحذَّاءِ**

**ومقلـــةٍ قليلـــةِ الأقــذاءِ**[2]

**صافيـــةٍ كقطــرةِ السماءِ**

والكلب عند السريّ الرّفّاء واسع الشدقين، كأن فمه يفترّ عن ابتسامة عريضة، ضامر الجسم منذ الصغر، اكتملت فيه صفات النجابة والفراهة، فلا مَن يذمه ولا من يعيبه:[3]

**أَهْرَتُ، كالمُغرق في ابتسامهِ**[4]

**ضمَّــرَه في مُبتدى أعوامهِ**

**وصانـــه عن عابه وذامهِ**

والصنوبريّ يباكر الروضة كثيرة الوحش قبل أن يستيقظ القطا وغيره من الطيور مرسلاً عليها كلابه السريعة التي تكاد تطير من فرط نشاطها وحيويّتها، غير آبهة ببرودة الطقس وما قرّط آذانها من الندى، فقد زحفت وانتشرت كالشهاب الساطع، يقول:[5]

**غاديتُــها ولم يُقِــمْ أعلامَه الغَطَّاطُ**[6]

**بأكلبٍ لو لم تَطِــرْ أطارها النّشاطُ**

**فجئنَ والطّـــلُّ على آذانـــها أقراطُ**

**قد نَحِفَــتْ أوساطُها فما لها أوساطُ**

**انبسطت كالشّهبِ لا يُعجزُها انبساطُ**

أما المتنبي فيغدو إلى الصيد بكلاب سود، اعتادت شرب دماء الطرائد بعد نحرها بأنياب حادّة ماضية كأنها المبرد، تمعن في الوحش تقتيلاً وكأنها تثأر منها دون أن تكترث بديتها، فيا لها من كلاب حسنة لا تدع للشاعر مجالاً لوصفها، فأفعالها فوق أن توصف بشعر:[7]

**بكــلِّ مَسقيِّ الدّماء أسودِ**

**معـــاودٍ مُقَـــوَّدٍ مُقَلَّـــدِ**

**بكــلِّ نـــابٍ ذَرِبٍ محَـــدَّدِ**[1]

---

[1] - السوسن: الزنبق.

[2] - الأقذاء: جمع قذى وهو ما يقع في العين من قشّ أو غبار.

[3] - ديوان السري الرفاء- ص٢٥٨.

[4] - الأهرت: واسع الشدقين.

[5] - ديوان الصنوبري- ١٨٧.

[6] - الغطّاط: القطا.

[7] - ديوان المتنبي- تحقيق وشرح كرم البستاني- دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٥٨- ص١٤٦.

على حفافَيْ حَنَــكٍ كالمِبْرَدِ

كطالــبِ الثّأرِ وإن لم يحقدِ

يقتــلُ ما يقتــلُه ولا يَــدي[2]

فلم يدَعْ للشّاعرِ المُجَــوِّدِ

وصفاً له عند الأميرِ الأمجدِ

وكشاجم يصطاد بكلاب نحيلة، تشفّ جلودها عن أضلاعها الصلبة وكأنها عيدانٌ قاسية، أما عيونها فتلتمع كما يلتمع السراج، وآذانها طويلة مسترخية، وأيديها عالية وصدورها عظيمة ضخمة، أما بطونها فضامرة تكاد لا تبين:[3]

| | |
|---|---|
| كأنــما ضلوعُــها | قِسِــيٌّ نبعٍ لم تُحَــطّ[4] |
| كأنــما أحداقُــها | لمْعُ الذُّبــالِ المُسْتلــطْ[5] |
| كأنــما آذانُــها | أنصافُ دارتْــها الشُّرَطْ |
| عالي الذراعينِ عظيــ............ــمُ الزَّوْرِ مخطوفُ الوسَطْ | |

إنّ سجلّ الكلب في عالم الصيد حافل جداً، كما هو حافل في العالم كلّه، ورداً لجميله كان اهتمام الشعر العباسيّ بوصفه وبفضله في الصيد.

**٢ – الفهد:**

الفهد ضرب من السباع يُتَصَيَّدُ به، وجمعه فهود وأفهُد[6]، والأنثى فهدة، وجرو الفهد يقال له الهَوْبَرُ والجروة هُبَيْرة[7]، ومؤدّبه يدعى الفهّاد[8]، وقد اختلف علماء البيزرة في تولّده، فقال أرسطو: إنّه متولّد من لبُؤة ونمر[9]، ومن هنا كان فيه شبَه من النمر لأنّه أحد والديه. والفرق بينه وبين النمر أنّ وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعينيه زرقاوان، أما الفهد فوجهه مدوّر وعيناه سوداوان[10]، وهو مشابه للكلب في بعض طباعه حيث يأنَس لمن يحسن إليه[11]، مشاكل له في أدوائه ودوائه، والنوم الذي يعتريه يشبه نعاس الكلب[12].

---

[1] - الذرب: الماضي الحادّ.
[2] - لا يدي: لا يعطي الدية، وهي ثمن دم القتيل.
[3] - ديوان كشاجم- ٢٠٧.
[4] - النبع: شجر صلب تتخذ من عيدانه الأقواس والسهام.
[5] - الذبال: فتيلة السراج. المستلط: الطويل الحادّ.
[6] - الحيولن- ٢٥٧/١.
[7] - الحيوان- ٢/٢٠- ١١٧.
[8] - المخصص- ابن سيده- المطبعة الأميرية ببولاق- ١٣١٨هـ- ٧٣/٨.
[9] - نهاية الأرب- ٢٤٦/٩. وحياة الحيوان الكبرى- ١٥٦/٢. والمخصّص- ٧٣/٨.
[10] - الصيد والطرد عند العرب- ٧٠.
[11] - نهاية الأرب- ٢٤٦/٩. وحياة الحيوان الكبرى- ١٥٦/٢.
[12] - الصيد والطرد عند العرب-٧٠.

من خُلُقه الغضب، فإذا أخطأ صيده رجع حنقاً مَغيظاً حتى ربّما قتل صاحبه[1]، وإناث الفهود أوعر خلُقاً وأكثر جرأة وأشدّ إقداماً وأجلُّ صيداً من الذكور[2].

وقد بسط صاحب البيزرة صفة ضراءته منذ أخذه وحشياً حتى يصيرَ كاسباً يمسك على صاحبه الطرائد[3]. ويقول الجاحظ: "وقد يُصاد بضروب، منها الصوت الحسن، فإنّه يصغي إليه إصغاء حسناً، وإذا اصطادوا المسنّ كان أنفعَ لأهله من الجرو الذي يربّونه، ويخرج المسنّ على التأديب صَيوداً[4]".

وللصيد بالفهد ضروب ثلاثة هي: صيد المكابرة، وصيد الدسيس، وصيد المُذانَبة أو الإذناب[5].

أمّا صيد المكابرة فهو أن يلقى الصائدُ الظبيَ بفهده مواجهة ومكافحة، فحيث أمَّ الظبيُ وجّه الصائد فهده نحوه وقابله به وأطلقه عليه، فيلقاه وجهاً لوجه كما يلقى الفارس قِرنه، ويجول عليه كما يجول على خصمه. وفي هذا الضرب من الصيد تعسُّف شديد وإعنات بالغ للفهد، وهو صيد الملوك[6]. ولعلّهم آثروه على غيره لأنه أمتع من الضربين الآخرين وأبعث على الإثارة.

وأمّا صيد الدسيس[7] فسبيله أن يتحرّى الصائدُ الظباءَ، فإذا وجدها ترعى غافلة غير آبهة مكّن فهده من رؤيتها ثمّ أرسله عليها من بُعد معارضاً إياها لا مواجهاً لها كما هو الشأن في صيد المُكابرة. ويتلطّف الصائد ما وَسِعه التلطّف في إرسال الفهد من غير إزعاج له أو إقلاق، وعند ذلك تجد الفهد في أروع صوره وأبرع حالاته، فهو يطأ الأرض برفق نحو الظباء الراتعة في خفة ورصانة رافعاً يداً وواضعاً يداً على قدر متناسب، ويستمر على تلك الحال ما دامت الظباء ناكسة رؤوسها في المرعى، فإذا رفعَتها وخاف منها أن تتنبّه له أمسك نفسه على الصورة التي انتهى إليها، فلا يتقدّم ولا يتأخّر، ولا يرفع اليد الموضوعة ولا يضع المرفوعة، فإذا طأطأتْ رؤوسها ثانية سلك سبيله الأولى وهو أشدّ حذراً وأكثر أناة، حتى ليصحّ فيه وهو على هذه الحال الوصفُ الذي وصف به رؤبةُ الصائدَ حيث قال:

**فبات لو يمضغ شَرْياً ما بصقْ[8]**

حتى إذا اقترب من طريدته الراتعة الغافلة حبس أنفاسه وامتلأت رئتاه من الهواء وحمى جسده ووثب على فريسته وأمسك بها بكلتا يديه ولبث واقفاً حتّى يأتي فهّاده ويأخذها منه[9].

---

1 - المصايد والمطارد- ١٨٥. وحياة الحيوان الكبرى- ١٥٦/٢.
2 - المصايد والمطارد- ١٩٥.
3 - البيزرة- ١١٨-١١٩.
4 - الحيوان- ٤٧١/٦.
5 - المصايد والمطارد- ١٨٣.
6 - المصدر السابق- ١٨٣-١٨٤.
7 - الدسيس: الختل وإخفاء المَكر.
8 - الشري: الحنظل.
9 - المصايد والمطارد- ١٨٥-١٨٦.

وأمّا صيد المُذانبة فسبيله أن تكون الظباء سائرة في سرب، فتأتي من خلفها وتطلق الفهد في إثرها ومن وراء أذنابها، وهو أكثر ضروب الصيد استعمالاً وأقلّها إعناتاً للفهد وكدّاً، وهو صيد الفهّادين الذين يصيدون لأنفسهم[١].

قيل- والله أعلم-: أول من صاد به من العرب كليب بن وائل[٢]. وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[٣]. وأول من وصف الفهود في الصيد من الشعراء أبو النجم الراجز[٤]، ثمّ تابعه الشعراء في ذلك. فعبد الصمد بن المعذّل يصف الفهود التي اصطحبها إلى الصيد ليقنص بها فيقول:

إنها لفهود معقود ببراثنها الظفَر، فالنمور من بنات القفر معدودة في جملة أرزاقها محسوبة في عداد ما تملكه يداها، فهي إذا غدت للصيد تعلّقت منايا الوحوش بها، وإذا أطلِقت من أطواقها وخُلِّي بينها وبين الوحش حان حَينُه ووافته منيَّتُه. لقد عاهدتْنا تلك الفهود على الظفَر فبرّت، وواثقتْنا على الفوز فوفَت، فالغدر لم يكن في يوم من الأيام خُلقاً من أخلاقها أو سجية من سجاياها:[٥]

**نُمُر بناتِ القفرِ من أرزاقها**[٦]

**تغدو منايا الوحشِ في أطواقها**[٧]

**قد واثقتْنا وهي في ميثاقها**

**وفيةٌ، ما الغدرُ من أخلاقها**

ثمّ يتحوّل إلى نعت صفاتها الجسدية قائلاً: إنها فهود محبوكة الأجسام، هِيف القدود، ضامرة البطون، إذا انتظمت للصيد في الأرض المستوية رأيت بأيديها براثن تشبه المخارز في انزلاقها ونفوذها، فهي تقُدُّ ما علِقت به كما يقُدُّ التُّجّار الأثوابَ عند شقِّها:

**مُدَبَّجَــةٌ هِيْــفٌ على إحناقها**[٨]

**تــرى بأيــديها لدى اتّساقها**[٩]

**وصيــدها بالقــاع واتّفاقها**[١٠]

---

[1] - المصدر السابق- ١٨٤.
[2] - حياة الحيوان الكبرى- ١٥٦/٢. ونهاية الأرب- ٢٤٧/٩.
[3] - نهاية الأرب- ٢٤٧/٩.
[4] - الأغاني- ١٦٠/١٠.
[5] - المصايد والمطارد- ١٩٠. والبيزرة- ١٢٤. وقد سقط شطران من رواية المصايد فاعتمدنا رواية البيزرة، وعدد شطورها واحد وخمسون شطراً.
[6] - النُّمْر: بضم النون وسكون الميم: جمع نَمْر بفتح النون وسكون الميم: وهو ضرب من السباع أخبث من الأسد، سمّي بذلك لنمرة فيه، وذلك أنه من ألوان مختلفة، واصطياده عسير. (انظر لسان العرب- نمر).
[7] - الأطواق: جمع مفرده طوْق، وهو حبل يُجعل في العنق.
[8] - المدبّج: الذي دُمِج بعضه في بعض. الهيف: جمع هيفاء وهي الضامرة البطن والخاصرة. الإحناق: الضمور، يقال: أحنق سنام البعير أي رقّ ودقّ، وكذلك لصق بطنه بظهره.
[9] - اتساقها: انتظامها.
[10] - القاع: المستوي من الأرض.

**مثل أشافي القَيْن في انزلاقها[1]**

**تَقُـدُّ ما تَخْبِـطُ في اعتلاقها[2]**

**قَدَّ التِّجارِ العَصْبَ من شِقاقها[3]**

ثمّ انتقل من وصف براثنها الحادّة إلى نعت عيونها الخزر، وأشداقها التي خُطِّطت بخطوط سود، فشبهها بنسوة من التُّرك اكتحلن بالإثمد فجرى الكحل من آماقهنّ وانساب خطوطاً سوداً على خدودهنّ:

**كأنّها والخُـزْرُ من أحداقها[4]**

**والخُطَطُ السُّود على أشداقها[5]**

**تُرْكٌ جرى الإثْمِد من آماقها[6]**

وابن أبي كريمة بعد أن فرغ من وصف كلاب الصيد في طرديّته ينتقل إلى نعت الفهود، نقلة تذكّر بما كان يفعله الشعراء الجاهليّون حين ينتقلون من غرض إلى آخر فقال:

لقد كنت أبتغي الصيد بتلك الكلاب تارة، وبالفهود تارة أخرى، ثمّ طفق يصفها فقال: إنّها فهود ضامرة الأحشاء رحبة الصدور، دقيقة الذيول ملوّنة الظهور، مخطَّطة الآذان غِلاظ الأعناق، محَلاّة بنُكَتٍ مستديرة كالدنانير، وقد اجتمع على أُهُبها السواد والبياض، وهي ذوات عيون غائرة بعيدة النظر تستوعب قمم الجبال، وتلتمع في محاجرها كما يلتمع ضوء النار الثاقب في ظلام الليل الداجي:[7]

| | |
|---|---|
| **بـذلك أبغـي الـصيدَ طـوراً وتـارةً** | **بمُخْطَفَـة الأحـشاء رُحْـبِ الترائـبِ[8]** |
| **مرقَّقَـة الأذنـاب نُمْـرٌ ظهورُهـا** | **مخطَّطَـةُ الآذان غُلْـبُ الغـواربِ[9]** |
| **مُدَنَّـرَةٌ وُرْقٌ كـأنَّ عيونَـها** | **حواجِـلُ تـستذمي مُتُـون الرَّواكـبِ[10]** |
| **إذا قَلَّبَتْهـا فـي الحِجـاج حـسبتَها** | **سَنا ضَرَمٍ فـي ظلمـة الليـل ثاقـبِ[11]** |

[1] - الأشافي: جمع أشفى وهو السراد الذي تُخرَز به الأساقي والمزاود والمخصف للنعال. القين: الحدّاد.
[2] - في كلّ من البيزرة والمصايد: (تحبط) فرجّحنا أنها (تخيط) أو (تخبط) ليستقيم المعنى. تقدّ: تقطع. الاعتلاق: العلوق بالشيء.
[3] - العَصْب: ضرب من بُرود اليمن.
[4] - وردت هذه الشطور الثلاثة في ديوان ابن الرومي الذي حقّقه الدكتور حسين نصّار في الصفحة ١٧١١. في حين وردت في كلّ من البيزرة والمصايد في سياق الطرديّة التي نتناولها بالدراسة منسوبة إلى عبد الصمد بن المعذّل. الخَزَر: ضِيق العيون، ورجل أخزر: بَيِّن الخَزَر، وهو أن يكون كأنه ينظر بمؤخّر عينه.
[5] - الأشداق: جمع شِدْق وهو جانب الفم.
[6] - الإثمد: الكحل.
[7] - الحيوان- ٣١٧/٢ و ٤٧٥/٦. والمصايد والمطارد- ١٨٨ . ونهاية الأرب- ٢٤٩/٩. والبيزرة- ١٢٢. مع اختلاف يسير في الرواية.
[8] - مخطفة: صغيرة ضامرة. الترائب: عظام الصدر.
[9] - نمر: جمع أنمر وهو الذي فيه نُكت سود وبيض. غلب الغوارب: غلاظها، والغوارب: جمع غارب وهو ما بين العنق والظهر.
[10] - مدنّرة: بها نُكت كالدنانير. وُرق: جمع أورق وهو الذي في لونه سواد وبياض. الحواجل: جمع حوجلة وهي القارورة الواسعة الرأس، يريد وصف عينيها بالغؤور. تستذمي: تتبع، أي تتبع الصيد بحثاً عنه. الرواكب: جمع راكب وهو رأس الجبل.
[11] - الحجاج: العظم المستدير حول العين.

ثمّ يتابع وصف شياتها وأعضائها، فيقول: إنها فهود لامعة الأُهُب، فُطْس الأنوف، كالحات الوجوه، على أشداقها خطط سود تحكي خطوط أقلام الكاتبين، ولها آذان صغيرة تشبه مَداهِن الطيب، تنصبها فتلتقط بها الأصوات من كلّ صوب، ولها في أكفّها براثنُ كالمثاقب تنفُذ في صُمّ الصخور، محدّدة معوجّة مُعَقرَبَة تشبه أصداغ الغيد الحِسان:

**مُوَلَّعةٍ فُطْسِ الأنوفِ عوابسٍ ... تخال على أشداقها خــطَّ كاتبِ[1]**

**نواصـــبَ للآذانِ حتى كأنّها ... مَداهــنُ للإجراسِ من كلِّ جانبِ[2]**

**ذواتِ أشافٍ رُكِّبتْ في أكُفِّها ... نوافذَ في صُمِّ الصخورِ نواشبِ[3]**

**ذِرابٍ بلا ترهيفِ قَيْنٍ كأنَّها ... تَعَقْرُبُ أصداغِ المِلاحِ الكواعبِ[4]**

والناشئ نعت الفهد بنعوت لا تكاد تخرج عن سابقيه، ثمّ انتقل إلى الحديث عن تضريته لهذا الفهد وما عاناه في ذلك حتى بلغ الغاية، فقال: لقد أعملْتُ فيه يد التقويم والتثقيف حتى كففتُه عن الطبائع الراسخة الأصلية، وقوّمتُ من أخلاقه ما يعزّ على التقويم، ورضتُه على استبقاء الطريدة حيّة بعدما كدت أيأس من ذلك، فغدا كما شئتُ له أن يكون، وأصبح يأتي ما كان يأباه، وتَطيب نفسه لنا بما يصيده، ويأتي بالطريدة سالمة لم تُصَبْ بأذى:[5]

**أجَـدْتُ له التقـــويمَ حتــى كففْتُـــــه ... عـــن الـــشيم اللاتـــي أبــت أن تُقوَّمـــا**

**وعلمتُـــه الإمـــســـاكَ للـــصيد بعـــدما ... يئـــستُ لطبـــع الجهـــل أن يتعلَّمـــا**

**فجـــاء علـــى مـــا شـــئتُه ووجـــدتُه ... مُحِلاً لمـــا قـــد كـــان مـــن قبـلُ حرَّمـــا**

**إذا ما غـــدونا نبتغـــي الـــصيدَ أَسْــمَحَتْ ... لنـــا نفـــسُه ألاّ يُريـــقَ لـــه دمـــا**

**وما يتـــولّى منـــه إزهـــاقَ نفـــسِه ... ولكـــن يـــؤدّيه صـــحيحاً مُـــسلَّما**

وابن المعتزّ يصف فهوده التي تَفري الفضاء الرحيب بعَدْوها السريع وراء الطرائد، إنها تتّسم بالقدرة لكنّها لا تتخلّق بالعفو عند المقدرة، وذلك لشدّة ولعها بالدماء وتلذُّذها بحلاوة طعمها:[6]

**أنعتُها تَفري الفضاءَ عَدْوا[7]**

**نوازياً خلف الظباء نزوا[8]**

---

[1] - المولعة: الملمّعة. فُطس: جمع أفطس وهو تطامن قصبة الأنف وانتشارها.
[2] - المداهن: جمع مَدْهَن وهو آلة الدّهن أو قارورته. الإجراس: بكسر الهمزة استماع الجَرس وهو الصوت.
[3] - الأشافي: جمع أشفى وهي مثقب الحدّاد.
[4] - الترهيف: ترقيق الحدّ. القين: الحدّاد. الصُّدغ: بالضمّ الشعر المتدلي بين العين والأذن. وتعقرب الصدغ: تلوّيه وتعطُّفه.
[5] - المصايد والمطارد- ١٩٧.
[6] - ديوان ابن المعتزّ- ٢٤/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢١٩.
[7] - تفري الفضاء: تقطعه وتسيره.
[8] - نوازياً: جمع نازٍ من نزا ينزو بمعنى وثب.

**لا تحسن القدرة منها عفوا**

**قد وجدت طعم الدماء حُلوا**

ويرى أنْ ليس لمبتغي الصيد إلا تلك الفهدة الوثّابة التي تطير على الأرض بقوائم أربع كخرَق الألوية، وإذا أتيح لك أن تراها حين تُخَلّى من قلائدها ويجدُّ بها الجدّ في طلب طريدتها ويثور فوقها الغبار من شدّة عدْوها إذن لرأيت زوبعة من بنات الريح ولَأبصرتَ فوق الأرض شيئاً عجباً:[1]

| | |
|---|---|
| **لا صيـــــــدَ إلاّ بوثّــــــابةٍ** | **تطيـــرُ علـى أربـــعٍ كالعَـــذَبْ**[2] |
| **فـــإنْ أُطْلِقَـــتْ مـــن قِلاداتهـــا** | **وطـــارَ الغبـــارُ وجَـــدَّ الطلـــَبْ** |
| **فزَوْبَعَـــةٌ مـــن بنـــاتِ الريـــاحِ** | **تُريـــكَ علـى الأرض شـــيئاً عَجَـــبْ** |

وإذا أردفها الفهّاد خلفه بدت في جلستها على ظهر جواده كفتاة تُركيّة سباها العرب فظفروا بحسناء سال الكحل على خدّيها من مقلتيها الذهبيّتين اللتين طُعِّمتا بخرزتين سوداوين:

| | |
|---|---|
| **لهـــا مجلـــسٌ مكـــانَ الرَّديـــفِ** | **كتُركيَّـــةٍ قـــدْ ســـباها العـــربْ** |
| **ومقلتُـــــها ســـائلٌ كحلُـــــها** | **وقـــد حُلِّيَـــتْ سُـــبَحاً مـــن ذهـــبْ**[3] |

يخيَّل إليّ أنّ هذا الحيوان محظوظ جدّاً، فقد تناوله الشعراء مكبِرين ووصفوه معجَبين، وأشاروا إلى مظاهر إعزازه المختلفة، وهو وإن كان من أدوات الملوك في الصيد إلاّ أنّ فريقاً غير قليل من الناس استطاع الظفر به، فنال الرعاية شأنَ الصائد الثمين.

**٣- عَناق الأرض:**[4]

عناق الأرض وجمعه عُنُق وعُنوق، ويسمّى التُّفَهُ والغَنْجَلُ، وهو دابّة أصغر من الكلب وأكبر من السِّنَّوْر، حسَن الصورة، طويل الظهر، ذو أذنين سوداوين، وجسد يشبه في لونه لون البعير الأحمر، وهو يحكي بصورة عامّة شكل الفهد.

وعَناق الأرض معدود في جملة السباع لأنّه لا يطعم غير اللحوم، ويُضرّى على الصيد فيَضْرى، ويصيد صيداً غاية في الجودة والمَلاحة يفوق في جودته ومَلاحته صيد الكلب، وهو يصيد كلَّ شيء إذا عُلِّم، شأنه في ذلك شأنُ الفهد، وهو مع ذلك يصيد الطير أيضاً، فربّما صاد الكراكي وما قاربه، فإذا طار الكركي

---

[1] - ديوان ابن المعتز- ١٣/٤. والبيزرة- ١٢٥. والمصايد والمطارد- ١٩٢.
[2] - العذب: خِرَق الألوية.
[3] - السُّبح: خرز أسود شبه مقلتها به.
[4] - انظر: الحيوان- ٣٥٢/١. وأنس الملا- ٧٤. والمصايد والمطارد- ٢٢٥. وحياة الحيوان الكبرى- ٧٠/٢. والصيد والطرد عند العرب- ٨٣.

وثب عليه وثبة شديدة في الهواء وأخذه برجله. وهو كالفهد من حيثُ الاستخفاء للطريدة وختلُها حتى يظفر بها، وهو حيوان وحشيّ ربّما واثب الإنسان فعقره.

لم تُكثر كتب البيزرة والصيد من الحديث عنه، وإنّما أشاروا إليه إشارات خفيفة لا تروي غليلاً ولا تُكسب معرفة، وعذرهم في ذلك ما ذكره صاحب (أنس الملا) عند حديثه عن هذا الضاري حيث قال: "ولم أذكر عَناق الأرض في هذا الكتاب إلاّ تطرُّفاً، لأنّه لا يكون في بلادنا ولا يوجد إلاّ في بلاد العجم[1]".

غير أنّ الناشئ نعت هذا الضاري بطردية من خمسة عشر بيتاً فأحسن نعته، ووصفه فأكمل وصفه، وسدّ الثغرة التي أهملتها كتب البيزرة. فقال: من كان يبتغي الكسب من صيده فليس له إلاّ سبع من فرسان البيداء ذو مرّة وقوّة، لكنّه مع ذلك رائع الطلعة، يملأ العين بجماله، ويستميل القلب بحسنه، ويُشبه الفتاة المُخَدَّرة التي تَبرز للناس، وهو بديع الشمائل عذْب الأوصاف، يحلو لك منه وطَف جفنيه وصفاء أديمه وضمور خصره، لقد أخذ من كلِّ شيء أروع ما فيه، فله من البدر استدارة وجهه والسُّفَع السمر التي تَزينه، وله من الليث ناباه ومخالبه، وله من الظباء النحر المُشرق والجيد الأتلع:[2]

| | |
|---|---|
| من كان للصيد كسّاباً فقانصُهُ | ذو مِرَّةٍ، في سباع البيد معـدودُ[3] |
| لكنّـه كفتـاةِ الحيِّ بـارزةً | من خِـدرها، مالئٌ للعين مودودُ |
| حُلوُ الشَّمائلِ، في أجفانه وَطَفٌ | صافي الأديمِ هضيمُ الكَشْحِ مَمْسودُ[4] |
| فيه من البـدرِ أَشْباهٌ تُوافـقُهُ | منها له سُفَـعٌ في وجهه سـودُ[5] |
| كوجهِ ذا وجهُ هذا في تَدَوُّرِه | كأنّـه منه في الأشكـالِ مقـدودُ |
| له من اللّيـث ناباهُ ومِخلبُـه | ومن غَريرِ الظِّبـاء النَّحْرُ والجِيدُ |

ثمّ يتابع وصفه فيقول: إنّه يتمتّع بأذنين تسمعان ما تَعجز غِيلان البيد عن سماعه، تُدْلَيان على جانبي رأسه كآستين ناضرتين، وفي فُوديه خطّان معوجّان يحكيان خطَّيْ العنبر المعقوفين اللذين تُزَيِّنُ بهما الغادة الحسناء سالفتيها، وهو ذو إهاب كفراء "الفَنَك" ليناً، وكبنان الكفّ نعومة وتمهيداً، ولون كلون القطا، وذكاء كذكاء الذئاب:

| | |
|---|---|
| يُصغي بأذنين تُبدي وشك سمعهما | له الذي عَيِيَتْ في غُولِها البيدُ[6] |
| كآستـين على غصنينِ تعطفُـها | من جانبيه وفي الرَّأسين تمهيدُ |

---

[1] - أنس الملا- ٧٤.

[2] - المصايد والمطارد- ٢٢٥. وحياة الحيوان الكبرى- ١٦٣/١، وهي عند الدميري أقلّ تصحيفاً لذلك اعتمدنا روايته.

[3] - المِرّة: القوّة.

[4] - الوطَف: كثرة شعر الجفنين والحاجبين. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفيّ.

[5] - السُّفَع: جمع سُفعة بالضمّ وهو سواد مشرَّب بحُمرة.

[6] - الغُول: بالضمّ من السعالي وهو كل ما اغتال الإنسان.

كـــعنبرٍ عَوَّجَتْــــه في سوالفِـــها | من بعدِ ما قَوَّمَتْه الغادةُ الرُّودُ[1]
كأنّـــهُ لابسٌ مـــن جلـــدهِ فَنَكــاً | في لينـــهِ كَبَنان الكـــفِّ تمهيدُ[2]
تَحكيهِ في لونِهِ نُمْرُ الغَطاط وفي | لُطْفِ المَكايدِ منه السِّمْعُ والسِّيدُ[3]

**٤- ابن عِرس:[4]**

المعتبر من الضواري عند علماء الصيد ثلاثة هي: الكلب والفهد وعناق الأرض، غير أنّ الهُواة ضرَّوا ما لا يُظَنّ أنّه يُضَرّى كابن عرس[5].

وابن عِرس على هذا داخل في جملة الضواري للصيد، والصيد به سائغ، وهو يُتّخَذ لصيد الثعلب، وقد وصف الناشئ صيده وصفاً جليّاً، وطرق بذلك موضوعاً لم يتناوله أحد من شعراء الطرد الذين درست شعرهم، وطرديّة الناشئ في ابن عرس أرجوزة رائيّة مزدوجة الرويّ، عدد شطورها اثنان وعشرون شطراً، جعلها قسمين، تحدّث في أوّلهما عن الثعلب واعتصامه بوكره، وفي الثاني عن طريقة صيد ابن عرس له، فقال: لو كان هناك حيٌّ يحتاط لعمره ويستوثق لنفسه من نكبات الدهر وغدره لكان هذا الحيّ أبا الحصين، فقد اعتصم في جحره وخال أنّه يستره عن عيون القانصين، ويقيه من مكرهم، ويحفظه من جوارحهم وضواريهم، ولكنّه لم يدرْ في خَلَده أبداً أنّ ابن عرس سيغزوه في عقر داره وسيقصم ظهره:[6]

**لو أنَّ حيـــاً واثقـــاً لعمـــرهِ**
**أو عائـــذاً من نكبـــات دهرهِ**
**بمَقْصِلٍ يحصنُـــهُ من غدرهِ[7]**
**أفلَتَ من خَتْـــلِ الردى وخَتْرهِ[8]**
**أبو الحصين كامناً في جحرهِ**
**مقـــدِّراً في ظنِّـــه وفكـــرهِ**
**أنَّ الوجَـــارَ ضامـــنٌ لنصرهِ[9]**
**وحِفظِـــه من قانصٍ وسَترِهِ**

---

[1] - الرُّود: الشابّة الحسنة.
[2] - الفَنَك: من جنس الثعالب لكنّه أصغر منه وفروته من أحسن الفِراء.
[3] - الغطاط: بالفتح: نوع من القطا. والنُّمر: جمع أنمَر. والسِّمع: ولد الذئب من الضبع، وهو أخبث الذئاب. والسِّيد: الذئب.
[4] - ابن عِرس: وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب، وهو دابّة تجمع على بنات عِرس، وهو حيوان دقيق يعادي الفأر والتمساح والحيّة، يختلف لونه ووبره بحسب البلاد، وهو كثير الوجود في منازل أهل مصر. حياة الحيوان الكبرى- ٧٨/٢.
[5] - المصايد والمطارد- ٢٢٧.
[6] - المصدر السابق- ٢٢٧.
[7] - المقصِل: السيف البتّار القاطع.
[8] - الخَتْر: الغدر، يقال: ختَرَه فهو ختّار.
[9] - الوجار: سَرَب الضبع والوحش عموماً.

**عن حيلـــةٍ يُعمِلـــها بفكـــرهِ**

**إذا غـــدا بكلبـــه وصقـــرهِ**

**وليس يجري في بنات صدره**[1]

**أنَّ ابنَ عرسٍ قاصمٌ لظهرهِ**

**وهاجـــمٌ عليه في مقَـــرِّهِ**

ثمّ تحدّث في القسم الثاني من الطرديّة عن كيفية صيد ابن عرس للثعلب، فقال: ما أعجبَ هذا القانص الذي اقتحم على فريسته وكرها وهو مشدود من رقبته بحبل أمسك به صاحبه! حتّى إذا استوثق من أنّه تشبّث بغريمه وتمكّن منه جذبَه بالحبل المعلّق في عنقه فخرج ومعه صيده.

فللّه هذا القانص من شجاع يهصِر قِرنه فيقِدُّ ظهره أو يقطُّ خصره أو يذبح عنقه بشَباة نابه وحدّ ظفره. وهو قد يبلغ الغاية، وذلـــك عندما يُخرِج الفريسة من وكرها حيّة سليمة لـــم تُصَبْ بكَلم ولم يُرَقْ لها دم:

**أعجِبْ به مقتحماً في وَكرهِ**

**وخيطُـــه معلَّـــقٌ في نحرهِ**

**حتى إذا أمـــرتُهم بجـــرِّهِ**

**جَرُّوه، فاستخرَجَه من قَعرهِ**

**للهِ ما أعظمَـــه بهَصْـــرهِ**

**وقـــدِّهِ وقطعِه من خَصرهِ**[2]

**وذبحِـــه بنابِـــه وظُفُـــرهِ**

**لكنَّـــه بهَصـــرهِ وقَسْـــرهِ**

**أحسنُ في استحيائِه وأسرهِ**[3]

**ثالثاً: وسائل الصيد وطرقه:**

**١- الخيل:**

يحسن بي قبل أن أبتدئ الحديث عن أثر الخيل في الصيد كوسيلة لها أهميتها الكبرى أن ألقي نظرة على العلاقة بين الإنسان وهذا النوع النفيس من الحيوان. ولا ريب أن الصلة قديمة جداً، فحيث وُجدت آثار

---

[1] - بنات صدره: كناية عن ظنونه.

[2] - القدّ: القطع.

[3] - في استحيائه: في استبقائه حياً.

أقدام الإنسان في سيره الطويل في دروب الحضارات اكتُشفتْ إلى جانبها آثار حوافر الحصان، ومنذ أن استطاع البشر ترويضه وإخضاعه لسيطرتهم حدث انقلاب كبير في نمط تفكير الإنسان بتغيير أسلوب المعيشة.

يعود أقدم كتاب وصل إلينا عن الفروسيّة إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وقد ألّفه (اكزنيفون) لولديه مدوّناً فيه خبرته الطويلة في تربية الخيل[1]، كما أشارت الكتابات الحثيّة التي عُثر عليها في (بوغاز كوي) ــ يُعتَقد أنها كُتبت حوالي سنة ١٣٦٠ قبل الميلاد ــ إلى القواعد التي يجب أن يُلِمَّ بها سُوّاس الخيل ومدرّبوها لإتقان مهنتهم والتمكّن من إعداده لضروب الحرب والكرّ والفرّ، وأصول معالجتها في مرضها، وكان اعتماد الحيثيين على الخيل التي جلبوها من أواسط آسيا في هجماتهم الخاطفة في غزواتهم من أهمّ عوامل تغلُّبهم على شعوب الشرق الأوسط[2].

وأغلب الظنّ أنّ هذا أوّل معرفة الجزيرة العربية بها، وقد أحبّها العرب، لا بل عشقوها، كما فعل غيرهم من الأقوام، لذلك تركت آثاراً بعيدة المدى في حياتهم الاجتماعيّة والفكريّة، واشتغل بها الملوك والرُّؤساء[3].

أولع الشعراء القدماء والمحدثون بها، وعُنوا بوصفها، وندر خُلوُّ شعر شاعر من مقطوعة أو مقطوعتين على أقلّ تقدير في هذا الغرض[4].

ويُعدُّ امرؤ القيس رائداً مجلِّياً في الشعر العربيّ، إذ إنّه أوّل من وصف حصانه ساعة الصيد، ووصف معركة الصيد، وصوّر النشوة التي تعتريه والفرح الذي يسيطر عليه[5].

لقد بذل الشعراء كثيراً من الجهد في وصف سرعة الخيل لأنها كبيرة الأهمّية سواء في الحرب أم في الصيد، فعورضَتْ بالكواكب والبرق والريح والغيث والسيل، وغليان المرجل والعقاب والخُذروف وغير ذلك كثير[6]. وعرَفوا بثاقب بصرهم الصفات الدالّة على نجابة الخيل وأصالتها، لأنّها تعينهم في طول المطاردة واستمرارها.

فابن المعتزّ يبدأ طرديّته بوصفه فرسه قائلاً: كثيراً ما تعدو بي في ظلمات الليل فرس جرداء الجسم قويّة البنية عنيفة الشدّ مكتملة الخَلق، تملأ يديها بعَدْو واسع الخطا يُلحِقها بالقنيص ويُظفِرها به، ولا

---

[1] - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق- المجلد ٢٨- سنة ١٩٥٣- الصفحة ٣١٣.
[2] - المرجع السابق- ٣١٤.
[3] - مروج الذهب- ٢٣٠/٣. والنفحات المسكيّة في صناعة الفروسيّة- ص ٢٦.
[4] - النفحات المسكية- ٢٦.
[5] - الوصف في شعر العراق- ٢٢٥.
[6] - المعاني الكبير- ابن قتيبة- ٩٠/١.

غَرْوَ فقد ضمَّرتها أيدي المتسابقين في ميادين الطراد فغدت كالبنيان المرصوص يشدّ بعضُه بعضاً. وقد زانتها على جبينها غُرَّة بيضاء لاحت فوقه كطلعة نخل بدت من خلال الأوراق الخضر:[1]

**ربّما استعجلتْ بسرجي جــردا ءُ خَنوفٌ والليلُ مُلقى القميصِ[2]**

**طِرْفَــةٌ تمــلأ اليــديــن بشدٍّ واسعِ البسطِ لاحقٍ بالقَنيصِ[3]**

**قد طوتْها أيدي المضاميرِ حتى غادرَتْها كالهيكلِ المرصوصِ[4]**

**ولها غُــرَّةٌ وناصيــةٌ تنشَقُّ عنها كطَلعــةٍ من خُــوصِ[5]**

ثمّ ينتقل إلى وصف سرعة جواده وكرّه على الحمار الوحشيّ، فيقول: لقد دفعنا على هذا البعير جواداً كالريح العاصفة، يُتيح للقانص أن يخضّب رمحه بدماء أحشائه وأوداجه، فما زال يقرع الصخور وراءه ويدفع الحجارة خلفه في طريق محفورة حتى أدركه:

**فدفعْــــنا عليـــه ريحـــاً عَـــصــوفاً يَخضِبُ الــرمحَ مــن حَـشىً وفَــريصِ[6]**

**لــم يــزل يقــرعُ الــصخورَ ويَــردي كالـــروادي فــي مــنهجٍ مفحـــوصِ[7]**

والمتنبّي يصف مهره بصفات تجعله أنموذجاً للجياد، فهو سريع، طويل العنق، ضخم القوائم، عظيم التركيب، واسع الصدر والمنخر، ضامر، محجّل، جسيم، كُمَيت، غُرَّته تسطع على وجهه سطوع الشمس على الكون، إن سار على الحجارة الصلبة ترك فيها آثار حوافره بيّنة واضحة، وإن عدا عليها حفر فيها طرقاً وخنادق:[8]

**بمطلَــقِ اليُمنى طويــلِ الفائقِ[9]**

**عَبْلِ الشَّوى مقــارِبِ المَرافقِ[10]**

**رَحْــبِ اللَّبانِ نائــهِ الطرائقِ[11]**

**ذي مَنخَرٍ رحبٍ وإطْلٍ لاحقِ[12]**

**مُحَجَّــلٍ نَهْــدٍ كُمَيْــتٍ زاهقِ[1]**

---

[1] - ديوان ابن المعتزّ- ٢٨/٤.
[2] - الخنوف: الناقة التي تقلب خفّ يديها إلى وحشيّه عند السير. شبّه فرسه بها في قوّة السير.
[3] - الطِّرفة: مؤنّث طِرف وهو الكريم من الخيل. البسط: النشر. القنيص: ما يُقتَنص ويُصاد.
[4] - المضامير: جمع مضمار وهو المكان الذي يضمَّر فيه الخيل. الهيكل: البناء العالي.
[5] - الطلع: ثمر النخل. الخوص: ورق النخل.
[6] - فريص العنق: أوداجها، وهو جمع مفرده فريصة.
[7] - يردي: يرجم الأرض. المنهج المفحوص: الطريق المحفورة.
[8] - ديوان المتنبي- ١٥١.
[9] - الفائق: موصل العنق في الرأس، كنّى به عن طول العنق.
[10] - العَبْل: الضخم. الشَّوى: القوائم. المرافق: جمع مرفق وهو موصل الذراع من العضد.
[11] - رحب اللَّبان: واسع الصدر. نائه: مرتفع. الطرائق: قصد بها اللحم.
[12] - الإطل: الخاصرة. اللاحق: الضامر.

شادخـــةٍ غُرّتُـــه كـــالشَّارقِ[2]

لو سابق الشمس من المَشارقِ

جاء إلى الغرب مجيءَ السابق

يتـــركُ في حجـــارةِ الأبارقِ[3]

آثارَ قَلْـــعِ الحلْيِ في المناطق[4]

مشيـــاً، وإن يَعْدُ فكالخَنـــادقِ

ويرى المتنبي نشاط فرسه، فينعت سرعته ويذكر لها أسباباً طبيعية قائمة في تركيبه، فالفضلة في إهابه تساعده على الحركة بالمطاوعة في المجيء والذهاب، ولهذا لا يستطيع وحش أن يفلت منه حين يسعى إلى صيده، وهو وإن لم يكن في هذا مبتكراً، لكنّه يبدع حين يصف بكلمات قليلة قوّة فرسه الخارقة التي لا تعرف العناء:[5]

| | |
|---|---|
| لـــه فَـــضلةٌ عـــن جـــسمه فـــي إهابِـــهِ | تَجـــيء علـــى صـــدرٍ رحيـــبٍ وتـــذهَبُ |
| شـــققْتُ بـــه الظَّلمـــاءَ أُدنـــي عِنانَـــهِ | فيَطغـــى، وأُرخيـــهِ مِـــراراً فيلعـــبُ |
| وأصـــرعُ أيَّ وحـــشٍ قَفَّيْتُـــهُ بـــه | وأنزِلُ عنـــه مثلَـــهُ حـــين أركـــبُ[6] |

وأبو الفتح كشاجم يصف الخيل في الصيد، محاولاً أن يلتقط من المشهد صوراً مستقلّة يصعب عليه أحياناً الربط بينها. فالجواد كالماء تدفّقاً وانصباباً، لا بل كالنار في الهشيم، سريع الانعطاف متقَنُهُ، طيّب الرائحة وكأنّه قد دُهِنَ بالعطور، طويل العنق كأنّ عنقه سَفحٌ عالٍ، قد اكتمل خَلقه حتى غدا مُحيِّراً للمتأمِّل فيه، فلو لم يكن شكلُه شكلَ خيل لنسبتَه إلى الأطيار:[7]

| | |
|---|---|
| مـــــاءٌ تدفَّـــــقَ طاعـــــةً وسلاســـــةً | فـــإذا اســـتُدِرَّ الحُـــضْرُ منـــه فنـــارُ[8] |
| فـــإذا عطفـــتَ بـــه علـــى نـــاروده | لتَـــــرُدَّهُ فكأنّـــــه بِـــــرْكارُ[9] |
| وَصَـــفَ الخَلـــوقَ أديمُـــهُ فكأنّمـــا | أهـــدى الخَلـــوقَ لجـــسمهِ عطَّـــارُ[10] |

---

[1] - النهد: الجسيم. الكميت: الأحمر المائل إلى السواد. الزاهق: السمين.
[2] - الغُرّة: البياض في وجه الفرس. شادخة: منتشرة. الشارق: الشمس عند شروقها.
[3] - الأبارق: جمع أبرق وهو المكان الغليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة.
[4] - المناطق: جمع منطقة وهي ما يشدّ في الوسط.
[5] - ديوان المتنبي- ٣٠١.
[6] - قفّيته: اتّبعته. أنزل عنه مثله: أي أنزل عنه بعد الطرد والصيد وهو باق على نشاطه كما كان حين الركوب.
[7] - ديوان كشاجم- ١٥١. ونهاية الأرب- ٥٩/١٠.
[8] - الحُضر: العدْو الذي فيه وثبٌ وقفز.
[9] - النارود: جوَلان الخيل في الميدان.
[10] - الخَلوق: الطّيب.

فكأنّــــما هاديْــــه جِــــزْعٌ مُــشْرِفٌ وكأنّـــما للـــضَّبِّ فيـــه وِجـــارُ[1]

يَــردُ الــضحاضِحَ غيــرَ ثــانٍ ســنبكاً ويَـــــرُدُّ طَرفَـــكَ خلفَـــهُ فيَحـــارُ[2]

لــو لــم تكـــنْ للخيــلِ نِــسبةُ خَلقِــهِ خالَتْـــــه مـــن أشـــكالِها الأطيـــارُ

وأبو الفرج الببغاء لا يكاد يميز فرسه عن الصقر سرعة وانقضاضاً، فالنظر لا يكاد يلحق بذلك الحصان، إنه يحيِّر الألباب بلطفه وحسنه:[3]

إن لاح قلـــتَ أَدُميَـــةٌ أم هيكـــلُ أو عـــنَّ قلـــتَ أَســـابحٌ أم أجـــدلُ

تتخـــاذلُ الألحـــاظُ فـــي إدراكـــه ويَحـــارُ فيـــه النـــاظرُ المتأمِّـــلُ

فكأنّـــه فـــي اللُّطـــفِ فَهـــمٌ ثاقـــبٌ وكأنّـــه فـــي الحُـــسنِ حـــظٌّ مقبـــلُ

وعليّ بن الجهم يقارب تلك الصورة في وصف سرعة حصانه وعجْز الناظر عن إدراكه ومتابعته، فلا يدرك منه إلاّ خيالاً سريعاً في الانطواء والتلاشي:[4]

لا تراه العيونُ إلاّ خيالاً وهو مثلُ الخيال في الانطواءِ

وليس غريباً ذلك الاهتمام والتأنق في تصوير الحصان، فهو عدة الإنسان الكبرى في الطرد والحرب، ووسيلته في مجالات الحياة الأخرى، فكان يشعر بالامتنان نحوه، ويحسّ بالمودّة الخالصة لما يقدّمه إليه من خدمات.

**ــ طرق الصيد وأدواته:**

سلك الإنسان لصيد الحيوان كلّ سبيل هداه إليه عقله، ودلّته عليه تجاربه، وأفاد في ذلك من معرفته بطبائع الحيوانات، ووقوفه على مواطن قوّتها وضعفها، فلم يترك وسيلة تخطر بالبال إلا استعملها في صيده، ولم يستبقِ حيلة من الحيل إلا احتال بها عليه، وإنما عدّد الطرائق ونوّع الوسائل تبعاً لاختلاف طبائع الحيوانات وتغاير خصائصها. وسأعرض فيما يلي لأهمّ أدوات الصيد وطرقه:

[1] - هاديه: عنقه. الجزع: المنعطف والجانب والسفح. المشرف: الجبل العالي. الوجار: جحر الحيوان.
[2] - الضحاضح: جمع ضحضاح وهو الماء القريب القعر. ثانٍ: من ثنى الشيء إذا ستره وأخفاه أو عطفه وأماله. السنبك: الحافر.
[3] - يتيمة الدهر- الثعالبي- الطبعة الأولى- مطبعة الصاوي- مصر- ١٩٣٤- ٢٣٣/١.
[4] - نهاية الأرب- ٥٥/١٠.

### ١- القوس والسهم:

لعلّ أقدم وسائل الصيد وجوداً هي القوس، ولإغراقها في القدم روى الرُّواة أن جبريل عليه السلام جاء بها لآدم وعلّمه كيف يرمي بها، ثمّ توارثها أولاده من بعده[1]. وهذه الرواية وإن كنّا لا نوافق على مضمونها إلا أنها تشير إلى قدم القوس كآلة من آلات الصيد.

القوس مؤنّثة، وجمعها أقواس وقِسِيّ وأَقْوُسٌ وقياسٌ[2].

وتُتَّخذ القسي من أعواد شجر النبع ونحوه لصلابتها. والأقواس منها الحجازية نسبة إلى الحجاز، ومنها الفارسية نسبة إلى فارس، ومنها الواسطية نسبة إلى واسط بالعراق، والشريجية وهي المتَّخذَة من قضيبين فأكثر، لكنّ القسيّ التي تُصنع من عود واحد أجود[3]، ويرمى عن القسي بالسهام، ويطلق عليها اسم النبال والنُّشّاب أيضاً[4].

والسهم عود في طول الذراع وغلظ الإصبع يُتَّخذ من شجر صلب فيُقَوَّم ويُسوَّى، ثمّ تُفرَض في مؤخرته فروض يركَّب عليها الريش فيُشَدّ فوقه بجلد ويُلصَق بالغراء، ثمّ يركّب في قمته نصل من حديد مدبَّب تُصنع له شوكات في نهايته تجعل نزعه صعباً إذا نَشِب[5].

وقد افتنّ العرب في حبها والشعراء في وصفها، فاتخذوها إلفاً لهم من دون الناس[6]، وندموا أشدّ الندم على التفريط فيها، وندامة الكُسَعيّ أشهر من أن تُعَرَّف[7]. واشتهرت بصناعتها عائلات كعائلة عصفور التي عرفت بالمهارة في صناعة القسيّ بحيث أشار الجاحظ إليها ممتدحاً[8]. واستخدمها العرب في حربهم وصيدهم، ولقد حذِقوا الرمي بها، وبلغوا في ذلك حدّاً فاق التصوّر، "حتى لو أراد أحدهم أن يرمي إحدى عيني الغزال دون الأخرى لرماها، ولذلك سَمّوا مهَرة الرمي بها رُماة الحدَق[9]".

---

[1] - نهاية الأرب- ٢٩٩/٦.
[2] - الصحاح- (قوس).
[3] - نهاية الأرب- ٢٨٨/٦.
[4] - اللسان- (نشب).
[5] - المخصص- ٢٠/٦.
[6] - يقول الشنفرى: ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع          وأبيض إصليت وصفراء عيطل
كتاب: أعجب العجب في شرح لاميّة العرب- الزمخشري- مطبعة الجوانب- القسطنطينية- ١٣٠٠هـ- الطبعة الأولى- ص٢٣. المشيع: الشجاع المقدام. إصليت: صقيل. الصفراء: اسم القوس. العيطل: الطويلة العنق القوية.
[7] - مجمع الأمثال- الميداني- تحقيق محيي الدين عبد الحميد- الجزء الثاني- القاهرة- ١٩٠٥- ٢٤٨/٢.
[8] - البيان والتبيين- الجاحظ- تحقيق حسن السندوبي- مطبعة الاستقامة- القاهرة- ١٩٤٧- ٦٤/٣.
[9] - الرياضة البدنية عند العرب- محمد كامل علوي- الطبعة الأولى- القاهرة- ١٩٤٧- ص١٢٨.

فابن الروميّ يصوّر الرماة وهم يصوّبون قسيّهم إلى الطيور التي تناثرت على أديم الأرض فبدت أمامهم بقعاء "ويفلسف الشاعر عملية الصيد التي أجراها وصحبه مع الطير التي نشدت المرتع فارتادت المصرع، وانتوت الرحيل فحالت القسيّ بينها وبين رحيلها فلسفة غير مسبوقة[١]". فيقول:[٢]

**وركب قنيصٍ قد شهدتُ جيادهم — تُحمحِم في ثيران وحشٍ تَغَمْغَمُ**

**دلفنا لها بالسَّمهريّ فطالعٌ — إلى مصرعٍ يرتاده ومُحَرْجَمُ**

**وقد حاولت منجىً فقالت رماحُنا — لمُمْعِنِها: عَرِّجْ فهذا المُخَيَّمُ**

**تنادَمَ فيها الموتُ أحمرَ قاتماً — قريعَ المها والأخدريُّ المُكَدَّمُ**

والبحتري تطيش سهمه الأولى عن الذئب، فيزداد الذئب إقداماً وضراوة، ويصير الشاعر في خطر محدق، فيطلق سهمه الأخرى لتستقرّ في قلب الذئب فيرديه قتيلاً:[٣]

**عوى ثم أقعى فارتجزتُ فهِجتُه — فأقبلَ مثلَ البرقِ يتبعُه الرّعدُ[٤]**

**فأوجرْتُه خرقاءَ تحسَبُ ريشَها — على كوكبٍ ينقَضُّ والليلُ مسْوَدُّ[٥]**

**فما ازداد إلا جُرأةً وصرامةً — وأيقنتُ أنّ الأمرَ منه هو الجِدُّ[٦]**

**فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلَها — بحيث يكونُ اللبُّ والرعبُ والحقدُ[٧]**

أمّا أبو الطيّب المتنبّي وصحبه فقد حاصروا الظباء وأمطروها بالنبال من كل جهة، فأصابوا منها المَقاتل، فراحت تهوي من أعالي الجبال منحدِرات على ظهورها، تستقرّ في أسفل الجبل بين يدي الفرسان، فلكَثرة ما اصطادوا منها تركوا ما تبقّى لصيد قادم:[٨]

**فاختلفَتْ في وابلَيْ نبالِ[٩]**

**من أسفل الطَّوْد ومن مُعالِ**

**قد أودعتْها عَتَلُ الرّجالِ[١٠]**

**في كلِّ كبدٍ كبدَيْ نصالِ[١١]**

**فهنَّ يهويْنَ من القِلالِ**

---

[1] - فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين- مصطفى الشكعة- عالم الكتب- بيروت- ١٩٨١- ص٤٦٢.
[2] - ديوان ابن الرومي- ٢٠٩٤/٥.
[3] - ديوان البحتري- دار صادر- بيروت- المجلد الأول- ص١٩٦.
[4] - أقعى: قعد على أليته استعداداً للوثوب. ارتجزت: أنشدت رجزاً. هجته: أي اهتاج لسماع صوتي.
[5] - أوجرته: طعنته. خرقاء: نبلة طائشة لم تُصبْه.
[6] - الجدّ: ضد الهزل.
[7] - أي في قلبه.
[8] - ديوان المتنبي- ٢٨٤.
[9] - في بمعنى بين.
[10] - العتل: القسيّ الفارسية. الرجال: جمع راجل.
[11] - كبدي نصال: الناتئتان وسط السهم من الجانبين.

**مقلوبةَ الأظــلافِ والإرقالِ[2]**

**فكان عنها سببَ التِّرحــالِ**

**تشويقُ إكــثارٍ إلى إقلالِ[3]**

وأبو الفتح كشاجم يطارد مع أصحابه حُمُر الوحش على خيول سريعة حاملين معهم قسيَّهم ونبالهم، فيقول: لقد غدت بنا إلى الصيد خيول جرداء مضمَّرة معدَّة لهذا الغرض، تختلف شياتها وألوان أهُبها، فمنها الأبلق والحَزْن والأشقر، وفجأة عنَّ لنا سرب من حمر الوحش وأبقاره، وحين اقتربت منا قال السابق لرؤيتها والفرح يملأ قلبه والبشرى تعلو وجهه: أما ترى هذه العانة قد اقتربت وصارت في مرمى سهامنا، وفوراً رحنا نطلق السهام صوبها:[4]

| | |
|---|---|
| **غــدت بنــا جُــرْدٌ طُــوينَ ضُــمّرا** | **أبلقُهـــا وحَزْنُهـــا والأشـــقرا[5]** |
| **حتـــى إذا العانـــةُ عنّـــتْ سُــطّرا** | **وظهـــرتْ أو قربـــتْ أن تظهـــرا** |
| **وقـــال مـــن كـــان أحـــدَّ بـــصرا** | **لمـــن يليـــه جـــذِلاً مستبـــشِرا** |
| **أمـــا تـــرى أمـــا تـــرى أمـــا تـــرى** | **فمُنـــبِضٌ أو مـــستجِدٌّ وتـــرا** |
| **ومطلِـــــقٌ بــــسهمه فقـــصّرا** | **ومُمـــسِكٌ أجـــدرْ بـــه أن يَظفـــرا** |
| **فكـــم رأيـــتُ مِـــسحَلاً مُعفَّـــرا** | **مكتـــسياً مـــن دمـــه مُعـــصفَرا[6]** |

وهكذا كانت القوس عند العربي عالية المنزلة، رفيعة المكانة، تحفظ له اعتباره، وكثيراً ما كانت وسيلة القوت وأداة الحياة في الصيد والحرب والطعان، وهناك أسلحة أخرى كبيرة الشبه بالقوس كالجلاهق أو ما يرمى به عنها "البندق"، ولا بد من الوقوف عندها.

**٢- الجلاهق:**

يقول كشاجم: "إن الجلاهق لفظة شبيهة بالألفاظ الأعجمية، ولم أجد لها في كلام العرب شاهداً، وسألت عن ذلك الشيوخ من أهل المعرفة باللغة فما عرفوه[7]".

والجلاهق – بفتح الجيم وكسر الهاء- في اللغة: البندق الذي يرمى به، وهو طين مُدَملَق مدوّر، ومفرده جلاهقة ومثناه جلاهقتان، وهو فارسيّ معرّب أصله (جَلّة) وهي: كُبّة الغزل[8].

---

[1] - القلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل.

[2] - الإرقال: ضرب من العدْو بين المشي والهرولة.

[3] - يريد أنه فضّل قلة الصيد لكثرة ما اصطاد.

[4] - المصايد والمطارد- ١٥٨. ولم أجدها في الديوان.

[5] - جرد: جمع أجرد وهو الحصان القصير الشعر. الأبلق: الحصان الذي فيه سَواد وبياض. الحَزْن من الدوابّ: ما صعبت رياضته.

[6] - المسحل: المقدَّم من القطيع.

[7] - المصايد والمطارد- ٢٤٧.

[8] - تاج العروس (جوق). واللسان (جلهق).

وينقل صاحب كتاب (شعر الطرد عند العرب) عن كاتب فارسيّ قوله: "ولعل تركيبها من جَلّة الفارسية ووهق العربية فكانت جلاهق[1]".

أما في اصطلاح الصائدين فالجلاهق: قوس تُتَّخَذ من القنا، ويُلَفّ عليها الحرير وتُغَرّى، وفي وسط وترها قطعة دائرة تسمّى الجوزة توضع فيها البندقة، فإذا شُدّ الوتر عند الرمي قذف بالبندقة وأصاب الهدف، وتُسمّى هذه الآلة: قوس البندق[2]، وفيه رمي دقيق جداً وإصابة عجيبة[3].

عُدّ ظهورها في عهد عثمان بالمدينة منكراً، فحظر استعمالها في العمران من الحرم بمكة والمدينة لئلاّ تقع على حمام الناس أو تنال أحداً منهم بسوء، ولم يحظرها فيما سواه[4]. واختلف الفقهاء في أمرها فبين محلِّل ومحرِّم، وربما كان الحسن البصريّ أكثر إدراكاً لخطرها من غيره، فعدّ استعمالها في القرى والأمصار مكروهاً، وفُهم من ذلك أنه جائز في الفلوات والبراري[5].

شهد العصر العباسي احتفاء الناس وشدة اهتمامهم بالجلاهق ومظاهرها، فقد كانوا يُغَشّونها بالسندس، ويعلقونها بحمائل يتأنقون في تزيينها، ويجعلونها تبدو كالقيان في حللهنّ الزاهية، تُقَرْطَق وتُمَنْطَق وتزهو في ألوانها الخلاّبة، يصفها أبو الفرج الببغاء بأنها دقيقة الإصابة، تتابع بلَحظها ما يَكِلّ الطرف عن ملاحظته:[6]

| | |
|---|---|
| **مُقَرْطَقَــــــةٌ مُمَنْطَقَــــــةٌ خَلُــــوبُ** | **مُهَفْهَفَــــــةٌ مُخَفَّفَــــــةُ الجِــــرانِ** |
| **مُــــــذَكِّرَةٌ مؤنَّثَــــــةٌ تَهــــــادى** | **مــــن الأصــــباغ فــــي حُلَــلِ القِيــانِ** |
| **وتلحــــظُ مـــا يَكِــلُّ الطَّــرْفُ عنـــه** | **بـــــلا نظــــرٍ يــــصحُّ ولا عيـــانِ** |

والمطلوب من القَين، صانع الجلاهق، أن يبذل الجهد في التفضيض والتذهيب لتغدوَ مقبولة لائقة، أما عينها فسليمة لا حوَل فيها، تَقذي الموت الزؤام على الطيور، والجوزة مقلة لا ينحجب عنها مقتَل، قال كشاجم:[7]

| | |
|---|---|
| **تــأنّقَ القَــيْنُ فــي تزيينهـــا فغــدتْ** | **تَزهـــى بأحــــسنِ تلميــعٍ وتــــذهيبِ** |
| **فــــي وســـطها مقلـــةٌ تُبَـــيِّنُ مـــا** | **ترمـــي، فمـــا مَقْتَــلٌ عنهـــا بمحجــوبِ** |
| **حتـــى إذا كحلـــتْ بـــالطير مقلتَهـــا** | **قَــذَتْ علــيهنَّ حتفـــاً جِــدَّ مــصبوبِ** |

---

[1] - شعر الطرد عند العرب- ٩٤.
[2] - نهاية الأرب- ٣٢٤/١٠. وصبح الأعشى- القلقشندي- دار الكتب – مصر- ١٩٢٢- ١٤٥/٢.
[3] - المصايد والمطارد- ٢٤٨.
[4] - المصدر السابق- ٢٤٧.
[5] - النفحات المسكية في صناعة الفروسية- ٧٥.
[6] - نهاية الأرب- ٣٤٩/١٠.
[7] - المصايد والمطارد- ٢٦١-٢٦٢. ونهاية الأرب- ٣٥٠/١٠.

ويتأنّق محمد بن الوزير الحافظ في نعتها: فهي قوس صفراء كلون العاشقين، أحكم الصانع نحتها وصقْلها وبَرْيها كما يحكم الصائغ صياغة الأطواق، أما الصيد بها فخير من الصيد بالبواشق، فهي تسـطو على الطيور بقذائفها وكـأنها حجارة المجانيق تهوي منها الطيور مهما علت، فمن أراد الرمي والصيد فما عليه إلا أن يرمي بالجلاهق التي لا تخيب رميتُها:[1]

| | |
|---|---|
| **وفلقـــةٍ مـــن أعجـــبِ الفلائـــقِ** | **مُـــصفرَّة تـــشبه لـــونَ العاشـــقِ**[2] |
| **قـــد بُريـــتْ بكـــفّ بـــارٍ حـــاذقِ** | **وفُـــصِّلتْ كالـــشّذر فـــي المَخـــانقِ**[3] |
| **أنفـــعُ إن صـــيد بهـــا مـــن باشـــقِ** | **تـــسطو علـــى الإوزِّ والـــشرارقِ** |
| **ترمـــي بنابـــاتٍ مـــن البنـــادقِ** | **كأنّهـــا حجـــارةُ المَجـــانقِ** |
| **تـــستنزلُ الطيـــرَ مـــن الـــشواهقِ** | **مـــا الرمـــيُ رميـــاً بـــسوى الجلاهـــقِ** |

فكأنها ضمانة من الله للرزق، فإذا دخلت من باب خرج الجدب والإمحال من الباب الآخر، أحلى من الأماني العِذاب، وأعزّ من المآقي الغالية، قال أبو الفرج الببغاء:[4]

| | |
|---|---|
| **كـــأنّ الله ضـــمَّنَها فباتـــت** | **لنـــا فـــي الـــرزق عـــن أوفـــى ضـــمانِ** |
| **أعـــزُّ علـــى العيـــون مـــن المـــآقي** | **وأحلـــى فـــي النفـــوس مـــن الأمـــاني** |
| **إذا مـــا اســـتَوْطنتْ يومـــاً مكانـــاً** | **تـــولّى الجَـــدْبُ عـــن ذاك المكـــانِ** |

ولربما خُيل إلينا أن المهارة في استعمال الجلاهق بلغت حدّاً قاربت فيه الغاية التي ما بعدها غاية، كما نستشفّ من قول ابن الروميّ حين تحدث عن أصحابه وصيدهم للطير، فقد تقلدوا أوعية حمراء من جلد أودعوها كثيراً من البندق الذي يُرمى به، وأشرعوا أقواسهم مسدّدين البندق منها للطير الهاجع وقت السحر، ويبثّ ابن الرومي في وصفه حيوية خافقة، فالطير ما تني ساجدة راكعة، منها ما هبط إلى الأرض جثة هامدة، ومنها ما هو في سبيله إلى الهبوط، وهي مطروحة على الأرض أبيضها وأسوَدها، وكأنما أصبحت الأرض أديماً مخطَّطاً، وكم طائر كان يريد الارتحال فحالوا بينه وبين وجهته، وكم طائر كان يريد المقام سقط دون أمنيته وهو يصرخ صراخ البعير عند إناخته، كان يريد المرتع الخصب فإذا هو يجد المصرع الذي لم يكن له على بال، وكأنما دعاه ودعا رفاقه من الرمايا داعي الموت فأسمع وأصمى، والطير تعول غير منتبهة للرمي والرماة، خيفة على بناتها من أن تَضلّ الطريق في الجوّ، على

حين تترامى على حياض الموت، بؤس ما بعده بؤس، والصائدون ناعمون نعيماً ما بعده نعيم:[5]

---

[1] - المصايد والمطارد- ٢٦١-٢٦٢.
[2] - الفلقة وجمعها فلائق: القوس يصاد بها.
[3] - المخانق: جمع مخنقة وهي القلادة.
[4] - نهاية الأرب- ٣٤٩/١٠.
[5] - ديوان ابن الرومي- تحقيق حسين نصار- ١٤٧٣/٤. والمصايد والمطارد- ٢٥٩.

| | |
|---|---|
| وجدّتْ قسيُّ القــوم فــي الطيــر جــدَّها | فظلّـــتْ ســـجوداً للرمـــاةِ وركّعـــا |
| طــرائحَ مــن بِـيضٍ وســودٍ نواصــعٍ | تخـــالُ أديـــمَ الأرض مـــنهنّ بَلْقعـــا |
| فكــم ظــاعنٍ مـــنهنّ مُزمِـــعِ رحلـــةٍ | قــصرْنا نـــواهُ دون مـــا كـــان أزمعـــا |
| وكــم قـــادمٍ مـــنهنّ مرتـــادِ منـــزلٍ | أنـــاخ بـــه منّـــا مُنـــيخٌ فَجَعْجَعـــا |
| هنالــك تغــدو الطيــرُ ترتـــاد مــصرعاً | وحـــسبانُها المَكـــذوبُ يرتـــاد مَرتعـــا |
| مُبـــاحٌ لراميهـــا الرمايـــا كأنّمـــا | دعاهـــا لـــه داعـــي المنايـــا فأســـمَعا |
| لهـــا عَوْلَـــةٌ أَوْلـــى بهـــا مـــا تُـــصيبُه | وأجـــدَرُ بـــالإعوال مـــن كـــان مُوجَعـــا |
| ومـــــا ذاك إلا زجرُهـــــا لبناتِهـــــا | مخافـــةَ أن يـــذهبْنَ فـــي الجـــوّ ضُـــيَّعا |
| فظـــل صـــحابي نـــاعمين ببؤســـها | وظلّـــتْ علـــى حـــوض المنيـــة شُـــرَّعا |

وأبو العباس الناشئ بعد أن يصف طير الماء ويُفيض في ذلك يتحدث عن صحبه الصائدين، ثم يترك ذلك إلى وصف البندق والقوس فيقول:

إن صحبي هؤلاء يُدَوِّخون الطير ببنادق مُلْس خارقة لا تخطئ ولا تَضلّ، يرمون بهن عن قوس مستديرة كريمة الشجر، محكمة الصنع، تُوسَّع عند النزع باع الرامي، ذات أوتار مجموعة مجدولة كالحبال:[1]

بمُلْـسٍ بَـوارزٍ خــوارقِ[2]

غيــرِ كَيُــوداتٍ ولا مَــوارقِ[3]

يَصدُرنَ بالبُغيــةِ عن فــلائقِ[4]

كريمــةِ النَّبعــةِ والخــلائقِ[5]

تُرْحِبُ في الإنباضِ باعَ الرّاشقِ[6]

مجمــوعةِ الأوتار في رَبائــقِ[7]

وابن المعتزّ يقول: ربَّ ماء أقامت عليه طيور مطوَّقة بأبدع الحلى، يمّمنا وجوهنا شطرها قبل أن تخلع الشمس على الغدير بُرود ضيائها، فظلّت قسيُّنا طوال اليوم تقنص الطيور وترميها ببنادقها التي تنطلق من أوتارها:[8]

---

[1] - - المصايد والمطارد- ٢٥٢. ونهاية الأرب- ٢٣٥/١٠.
[2] - ملس: من الملاسة والنعومة، وهو نعت للبنادق. وفي المصايد (مملس) وهو تحريف لا يستقيم معه المعنى.
[3] - كيودات: من كاده كيداً: أي حاربه.
[4] - الفلائق: جمع فلقة وهو القوس المتَّخَذ من نصف دائرة.
[5] - النبع: شجر تُتَّخَذ منه السهام والقسيّ. الخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة التي يخلق بها الإنسان.
[6] - الإنباض: جذب الوتر.
[7] - الربائق: جمع ربق بالكسر، وهو حبل فيه عدة عُرى وكل عروة ربقة.
[8] - ديوان ابن المعتزّ- ٣٧/٤.

| | |
|---|---|
| **ومـــــاءٌ بـــــه الطيـــــرُ مربوطـــــةٌ** | **كـــــأنّ الحُلِـــــيَّ بأطواقهـــــا** |
| **غـــدونا عليهـــا وشـــمسُ النهـــا.......** | **رِ لـــــم تَكْـــسُها ثـــوبَ إشـــراقِها** |
| **فظلْنـــــا وظلّـــــت عيـــــونُ القـــــسيّ** | **ترمـــــي الطيـــــورَ بأحـــــداقِها[1]** |

ويصف البندق الذي يرمى به عن هذه القوس فيقول: إنه بندق أحكمتْه يد صانع حاذق دأب على صنعه حتى مهر فيه فجاء كالأُكَر في صورته وحجمه، وهو على الرغم من اتخاذه من الطين إلا أنه أشبه ما يكون بالحجارة صلابة وصلادة، يُودعه الرامي في جوزة الوتر التي تشبه السُّرّة، ثم يطلقه فيتطاير كما يتطاير الشرر ويستقرّ في قلوب الطير فيرديها:[2]

**صنعَــه بارٍ مُقتــدِرْ[3]**

**دام عليــها فمهَــرْ**

**فجئنَ أمثالَ الأُكَــر**

**أشبهَ طيــنٍ بحجرْ**

**يودَعنَ أمثالَ السُّررْ[4]**

**ثمّ يطِــرْنَ كالشَّررْ**

**إلى القلــوب والثُّغر[5]**

وصفوة القول: كان للبنادق في العصر العباسي شأن وأي شأن، حتى كان للرشيد فرقة يقال لها (النمل) تسير بين يديه، وترمي البندق على من يقف في طريق الموكب، وعندما أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله عظّم شأنها لأنه كان ولِعاً بها، حتى جعله فناً لا يزاوله إلا الفتيان[6].

**٣- الصيد بقصب الدِّبق:**

من أدوات الصيد قصب الدبق أو عيدان الدبق، والدِّبق في اللغة حَمْلُ شجر في جوفه كالغراء، وهو لازقٌ يلزق بجناح الطير فيصاد به، ويقال: دبَّق فلانٌ الطائرَ تدبيقاً ودَبَقَه دَبقاً أي صاده بالدِّبق[7].

---

[1] - عيون القسيّ: أراد بها الجوزة التي تكون وسط الوتر.
[2] - ديوان ابن المعتزّ- ٤/٢٤.
[3] - الباري: الصانع.
[4] - الضمير في يودعن يعود على البندق. والسرر: جمع سُرّة والمقصود هنا جوزة الوتر.
[5] - الثغر: جمع ثغرة: وهي الفتحة والفُوَّهة.
[6] - النفحات المسكية- ٧٣.
[7] - لسان العرب (دبق).

وعيدان الدبق قضبان من أغصان الشجر تطلى بالدبق بعد تسويتها وتُنصَب عند مشارع المياه وغيرها مما يسقط عليه الطير، فإذا وقف الطائر فوقها علق بها، وكلما رام الخلاص ازداد بها علوقاً وعليها التصاقاً. ويصاد بها على الأرجح صغار الطير، "ويبدو أنها لم تكن بالوسيلة الشيّقة، لذا أهمل أكثر الشعراء ذكرها[1]".

ويقال: إن أول من دبّق رجلٌ من أهل البصرة يقال له إبراهيم البازيار، كان في زمن الرشيد، وكان يصيد بعيدان الدبق جميع الطيور، فذاع صيته حتى استدعاه الرشيد وضمّه إليه، وبلغ عنده منزلة عالية لمعرفته بالدبق، ومن إبراهيم البازيار تفرّع التدبيق وشاع بين الناس، وجعل الصائدون يدبّقون بخمس قصبات أو أكثر زمن المأمون[2].

يسلك ابن المعتزّ عند الحديث عن الصيد بها مسلكاً طريفاً جديداً بعيداً عن المألوف فيكسبها طلاوة ورونقاً، ذلك بأنه لم يعمَد إلى وصف هذه الأداة وصفاً مباشراً، وإنما لجأ إلى الإلغاز الذي لا يتّسم بالغموض فيلتبسَ الأمر على القارئ، ولا يتّصف بالوضوح والمباشَرة فيسلبَه متعة الكشف، وإنما سلك طريقاً قواماً بين ذلك، يقول:

ما الرماح التي لا تجرح ولا تخوض في الدماء، ولا تصلح للطراد أو الإغارة، وهي إلى

ذلك مخضَّبة بدم لكنه ليس بدم الأبطال، وإنما هو ريق موت صادق الوعد لا يُخلف، متمكِّن ينشِب في الصدور واللَّبّات؟!

إنها عيدان الدبق التي تشبه الرماح في شكلها دون فعلها، وهي تطلى بالدبق الذي يكمن فيه حتف الطيور التي تقف عليه فلا تستطيع منه إفلاتاً ولا فَكاكاً:[3]

**وما رماحٌ غيرُ جارحاتِ**

**ولسنَ في الدماء والغاتِ**

**ولسنَ للطــرادِ والغاراتِ**

**يُخضَبْنَ لا من عَلَقِ الكُماةِ[4]**

**بِريقِ حَتْفٍ مُنجزِ العِدَاتِ**

**مُستَمْكِنٍ وليس بذي إفلاتِ**

**يَنشِبُ في الصدور واللَّبّاتِ[5]**

---

[1] - شعر الطرد عند العرب- ١٢٠.
[2] - أنس الملا- ٨٢.
[3] - ديوان ابن المعتزّ- ١٣/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ٢١٠. ونهاية الأرب- ٣٥٢/١٠. مع اختلاف في ترتيب الأشطر.
[4] - العلق: الدم.
[5] - اللبات: جمع لبّة وهي موضع القلادة من العنق.

وأبو الفتح كشاجم يرى أن الأمل لا يخيب في تلك العيدان، بل مواعيدها صادقة مستعجلة، إنها من الصوائد الكواسر مع أنه ليس لها من ضراوة الصوائد شيءٌ، وليس عندها معرفة ولا علم بما تصيد، طليت بدبق كالعسل لكنّ شهده أكثر فتكاً من السم المنقع، تمسك الطيور وتتعلق بها كما تتعلق قلوب العاشقين بعضها ببعض، أما شكلها فكأنها أذناب الحيّات الدقيقة:[1]

| | |
|---|---|
| **مـــــــؤمَّلاتٍ غيـــــــرِ مكـــــــذوبات** | **صـــــــوادقِ التعجيـــــــلِ للعِـــــــدَاتِ** |
| **كواســـــــرٍ ولـــــــسن ضـــــــاريات** | **ولا بمـــــــا يَـــــــصدْنَ عالمـــــــاتِ** |
| **بمثـــــــل ريْـــــــقِ النحـــــــل مَطليَّـــــــاتِ** | **أقتـــــــلُ مـــــــن ســـــــمائمِ الحيَّـــــــاتِ** |
| **حوامـــــــلٌ للطيـــــــر مُمـــــــسكاتِ** | **تعلُّـــــــقَ الأحبـــــــابِ بالحبَّـــــــاتِ** |
| **كأنهـــــــا فـــــــي النعـــــــتِ والـــــــصفاتِ** | **أذنـــــــابُ مـــــــا دقَّ مـــــــن الحيَّـــــــاتِ** |

**٤- الزُّبى واللبابيد:**

حفائر تُحفر على نَشز من الأرض وتغطّى، وفيها أو قربها كلب أو ما شابه مما تشتهيه الأسود، حتى يأتي الأسد فيسقط فيها ويُؤخَذ[2].

أما اللبابيد (جمع لبّاد) وهو في اللغة قباء من اللِّبد، واللبد كل شَعر أو صوف تداخلت أجزاؤه ولزق بعضها ببعض فتلبّدت[3].

ويتّخذ الأشدّاء المهَرة من الصائدين من اللباد أكسية مضاعفة لهم تسترهم من الأسود وتقيهم أذاها، فيخرجون لصيدها مرتدين هذه اللبابيد ومعهم أوهاق وأثواب وقيود، فإذا مرّ بهم الأسد لم يفطن إليهم بسبب أكسية اللباد، فيرمونه بالأوهاق فتعلَق به، أو يلقون عليه الأثواب فتغطي وجهه وجسده وتشلّ حركته ثم يأخذونه ويقيدونه[4].

وصف الناشئ صيده بالزبية وأخْذ الصيادين له بالسهام حين أتى ليأخذ فريسته ظنّاً منه أنها الصيد الثمين، ولم يدُر في خلَده أنه هو الفريسة، وأن حَيْنه قد حان، ولا مفرّ له من سهام الصائدين:[5]

| | |
|---|---|
| **حـــــــين تمّـــــــت منـــــــه مدّتـــــــه** | **وانقـــضى مـــا امتـــدّ مـــن زمنـــهْ**[6] |
| **فـــــــسرى والحَـــــــيْن يقدُمـــــــه** | **غيـــــــرَ مَطـــــــويٍّ علـــــــى ظِنَنِـــــــهْ** |
| **وأتـــــــى يبغـــــــي فريـــــــسته** | **فزهـــــــى وانهـــــــدّ مـــــــن رُكَنِـــــــهْ** |

---

[1] - نهاية الأرب- ٣٥٢/١٠. ولم أجدها في الديوان.
[2] - المصايد والمطارد- ١٧٩.
[3] - لسان العرب (لبد).
[4] - المصايد والمطارد- ١٧٩.
[5] - المصدر السابق- ١٨٠.
[6] - أي حين استوفى أجله.

| | |
|---|---|
| **وغـــــدا القُنّـــــاصُ فـــــانتظموا** | **بـــــين متنيـــــه إلـــــى ذَقَنِـــــهْ** |
| **بـــــسهام ألْحَفَتْـــــه كمـــــا** | **تَـــدْرِجُ المقبـــورَ فـــي كَفَنِـــهْ[1]** |
| **فثـــــوى والتُّـــــربُ مـــــسكنُه** | **نـــائيَ الأوطـــان عـــن وطنـــهْ** |

وفي قصيدة أخرى يصف صيده باللباد، وهي الطريقة التي يسلكها الأشداء من القانصين، فيرتدي أحدهم قباء من اللباد الثخين المضاعف يستره من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، ويتمنطق بحبل غليظ وكساء واسع متين وقيود، ويصطحب معه من يعينه على عمله، ثم يكمن في دروب الأسود، فإذا مرّ به واحد منها ألقى على وجهه الكساء وشدّه عليه، وعند ذلك يهبّ رفيقه لمؤازرته، فيكمّان فمه، ويقيّدان قوائمه، ويقودانه ذليلاً صاغراً، وقد وصف الناشئ ذلك فقال:[2]

| | |
|---|---|
| **عبثـــتْ كـــفُّ المنـــون بـــه** | **فأبانَتْـــه علـــى نِقَمِـــهْ[3]** |
| **بـــضئيل الحـــال معتـــرِضٍ** | **وخفِـــيِّ الآلِ مكتتِمِـــهْ[4]** |
| **ذا عليـــه طِمْـــرُ ذي شَـــعَثٍ** | **ملّـــتِ الأيـــامُ مـــن قِدمـــهْ[5]** |
| **ولـــذا درعٌ ملبَّـــدة** | **طـــال مـــا يلقـــاه مـــن كلِمِـــهْ[6]** |
| **لـــم يَرُعْـــه غيـــرُ فَجأتِـــه** | **باركـــاً يـــسعى إلـــى وَقَمِـــهْ[7]** |
| **وازْبَـــأَرَّ الليـــثُ واعتـــورَتْ** | **بالَـــهُ الأوجـــالُ مـــن لَمَمِـــهْ[8]** |
| **وســـعى المُخْفـــي مكيدتَـــه** | **بكُبـــولٍ كُـــنَّ فـــي حزَمِـــهْ[9]** |
| **ومُكِمّـــاتٍ وأكـــسيةٍ** | **فأجـــاد الـــشدَّ مـــن خَطَمِـــهْ[10]** |
| **وأعـــضَّ الكبـــلَ نخوتَـــهُ** | **ثـــمّ تَـــلَّ القيـــدَ فـــي قَدَمِـــهْ[11]** |
| **فرأيـــتَ الليـــثَ منجـــدلاً** | **لائـــذاً مـــن هَـــضْم مُهْتَـــضِمِهْ[12]** |

**٥- الصيد بالشبكة:**

---

[1] - ألحفته: صارت له كاللحاف.
[2] - المصايد والمطارد- ١٨١.
[3] - على نقمه: على كرهه. وهي في المصايد (على ندمه) فاجتهدت بجعلها: على نقمه ليستقيم المعنى، والله أعلم.
[4] - الآل: الشخص، كناية عن القانص.
[5] - الإشارة في (ذا) تعود على رفيق القانص باللباد.
[6] - الإشارة في (لذا) تعود على القانص الذي اكتسى باللباد.
[7] - الوقم: الإذلال والقهر.
[8] - ازبأرّ: انتعش. الأوجال: جمع وجل وهو الخوف. وفي المصايد (الأوحال) وهو تحريف لا يستقيم معه معنى. اللمم: الطائف من الجنّ والجنون.
[9] - الكبول: جمع كبل وهو القيد.
[10] - الكمامة والكِمام: ما يُكمّ به فم البعير لئلاّ يعضّ، وكممت الشيء: غطيته. الخطم: من الدّابة مقدم الفمّ.
[11] - تلّ: ألقى وصبّ.
[12] - منجدلاً: ساقطاً على الأرض. الهضم: الكسر والظلم.

ومن آلات الصيد الشبكة، يصاد بها في البرّ والماء، وجمعها شَبَك وشِباك[1]. وهي تُتّخَذ من خيوط الكتّان أو القطن أو الحرير تعقَد عَقداً حتى تتشابك ثم تناط بحلقاتها أوتاد تشدها إلى الأرض[2]. وتنصب الشباك في المراعي الخصبة، وفي الدروب التي تؤمّها الوحوش وعلى مشارع المياه، ويُكثَر حولها من العلف الذي يغري الطرائد بالاقتراب منها، ويؤدي بها إلى السقوط فيها.

أول من تصيّد بها المتوكل، وقيل المعتصم، وكان للمستنجِد بالله شبكة[3].

لم يحفَل الشعراء كثيراً بذكر الشبكة، إذ لم يجدوا فيها أمراً مثيراً آخذاً بالألباب منعشاً النفس بالسرور كما هو الحال في ضروب الصيد الأخرى، وربما كانت مزاولة فقراء الناس هذه المهنة من الأسباب الأخرى التي أضعفت اهتمامهم بها[4]. وقد اقتصر جلّ حديثهم على شبكة الماء وصيد السمك بها[5].

لأبي الفرج الببغاء مقطوعة جميلة يصف بها شبكة صيد العصافير يراها رقراقة، تبدو لعين الناظر كأنها حلّة من الزرد، أو كدرع نابت في نسجها كثرة العقد والمسامير، وكلها عيون مفتّحة ترقب العصافير، لكن هذه العيون جاءت مفردة لا يضمها جسد:[6]

**رقراقــــة فــــي الــــسراب تحــــسبها     علــــى الثَّــــرى حلــــةً مــــن الــــزَّرد**

**كالــــــدرع لكنهــــــا مُعَوّضَــــــة     عــــن المــــسامير كثــــرة العقــــد**

**ســــــائرُها أعــــــينٌ مفتَّحــــــة     لا ترتــــضي نــــسبةً إلــــى جــــسد**

**٦- الصيد بالنار:**[7]

ومن أدوات الصيد النار، ذلك بأن طائفة كبيرة من الحيوانات إذا أبصرت النار دَهِشَتْ وذهلت وأُخِذتْ، فالظبي مثلاً يصاد بإيقاد النار قريباً منه، فهو لا يزال يتأملها ويتأملها ويدمن النظر إليها حتى يَعشى بصرُه ويَذهَل عقله ولا سيّما إذا أضيف إلى النار تحريك الأجراس فإنه يَفتر ويضعف ولا يبقى به حراك البتة، والنعام يصاد بالنار أيضاً، فإنه إذا رآها دَهش وتسمَّر في مكان فيتمكن منه الصائد ويأخذه.

وكانت العرب إذا خافت الأسود أوقدت حولها النيران وهوّلت بها عليها، فإذا عاينها الأسد حدّق إليها، وجعل يتأملها فكثيراً ما كانت تكفّ عن الناس أذاه.

---

[1] - لسان العرب (شبك).

[2] - أنس الملا - ١٣٧. والمصايد والمطارد- ٢٤٧. وصبح الأعشى – ١٣٨/٢.

[3] - البيزرة- ١٣٨.

[4] - الوصف في شعر العراق- ٢١٥.

[5] - انظر: ديوان السريّ الرّفّاء والصنوبريّ والببغاء والمصايد والمطارد- ص٢٢٩ وما بعدها.

[6] - نهاية الأرب- ٣٥٣/١٠.

[7] - الحيوان- ٣٤٩/٤ و ٤٨٤. ونهاية الأرب- ٣٣٣/٩ و ٣٤٠.

٧- **الصيد بالحيلة:**

ومن وسائل الصيد إعمال الحيلة لاقتناص الطيور والوحوش، وقد أكثر الصائدون من الاحتيال لطرائدهم وافتنّوا في ذلك ما وسعهم الافتنان.

من ذلك محاكاة أصوات بعض الحيوانات، فالدّرّاج مثلاً يصاد بصفير يشبه صفيره، فإذا أتقنه الصائد وصفّر به أصغى إليه وقصد الموضع الذي يسمعه منه فيسهل عليه صيده[1]. وتصاد النعام بالخِرَق السود تُنشَر في مرابضها ومراتعها، حتى إذا ألفتها وأنِست بها لبسها القانص واصطادها[2]. ويصاد العقعق بأن تُنصَب له شبكة ويُشَدّ فيها سِنَّور أبلق شديد الشبه به، فإذا وقع في الشبكة تهافتت عليه سائر العقاعق وترامت في الشبكة وصيدت جميعاً[3]. ويصاد طير الماء بالقَرعة، وذلك بأن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة فتُرمى في الماء، فهي لا تزال تتحرك، فإذا أبصرها طير الماء خاف منها في أول مرة، ثم لا يلبث أن يألفها شيئاً فشيئاً، فإذا أنِس بها وجعل يسقط عليها أخذ الصائد قرعة وقطع رأسها وخرق فيها موضعاً لعينيه، ثم يدخل رأسه فيها وينزل إلى الماء ويغمس فيه جسده إلا رأسه، ويمشي نحو طير الماء رويداً رويداً، وكلما دنا من طائر قبض عليه من رجليه ثم غمسه في الماء ودقّ جناحيه وتركه فيبقى طافياً فوق الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران، حتى إذا فرغ من صيد ما يروم صيده رمى بالقرعة والتقط الطيور الطافية وذهب بها[4].

ومما يلحق بأدوات الصيد القُتْرَة والناموس والقرموص، وكلها حفر أو بيوت صغيرة يتخذها الصائد لئلاّ تجد الحيوانات ريحه فتنفر منه، ومن هذه الكمائن يصيد القانص الطيور، ويرقب الشباك والشراك، ويرمي السباع والوحش.

وذكر صاحب المصايد والمطارد من وسائل الصيد المِعراض والحجارة والمخدِّرات[5].

وبعد: فهذه آلات الصيد تبدو لأعيننا اليوم أقلّ من أن تفي بغرض الصياد، وليست العبرة في السلاح، إنما العبرة في اليد التي تحمله، والمقارنة بين سلاح الأمس وسلاح اليوم ترينا البون الشاسع بينهما، وأرجّح أن صياد الأمس كان أكثر قدرة في استعمال أداته الساذجة، وأكثر مراساً، وأعمق حباً للصيد، وإلاّ لما أثار قرائح الشعراء فخلّدوه في قريضهم تخليدهم لسائر ما تعرضوا له بالوصف.

---

[1] - المصايد والمطارد- ٢٧٣.
[2] - المصدر السابق- ٢٢٢.
[3] - نهاية الأرب- ٢٤٢/٩. وحياة الحيوان الكبرى- ١١٣.
[4] - المصايد والمطارد- ٧٥.
[5] - المصدر السابق- ٢٦، ١٦.

**ثالثاً: الطرائد:**

**١ – الحيوانات:**

**أ – الظباء:**[١]

تناول الشعر العربي القديم الظباء والوعول، فقلّ اهتمامه بأمور صيدها، ولكن عنايته انصبت على إظهار صفاتها الأخرى، والطابع العام الذي يتخلّف من قراءة هذا اللون يتبلور في أن جمال الظباء في الجيد والعيون خاصة ذكّرهم بمن يحبون من النساء، فالظبية والمحبوبة تحتلان مكانة واسعةً في الشعر العربيّ خاصة القديم منه. فمنظر الظبية بين الدِّمَن والربوع يثير في نفس الشاعر أسىً وحنيناً لأن فيها شبهاً بالمحبوبة في جيدها الناصع المشرق[٢]، واضطراب صدرها وتردد أنفاسه كاضطراب المرأة في غليان عاطفتها[٣].

ومجمل نظرتهم إلى الظباء تنطوي على العطف والإعجاب والحنان، لذا أبرزوا خوفها من القانصين[٤]. وقد تصطنع الحيلة إذا أحيط بها، فتطلق العنان لسيقانها هاربة حتى تضلل الصياد عن مكان وليدها[٥]. وللصائدين في صيدها وسائل أخرى كالحبالة[٦] والشرك[٧] ونار الصيد[٨].

وعندما نصل إلى العصر العباسي نفاجأ بانقلاب كبير في تفكير شعراء الصيد والحيوان، إذ يقف الشاعر إلى جانب القانص من الحيوان أو الجوارح فيخصه بعواطفه، ويتلاشى عطفه على الظباء، فعبد الصمد بن المعذّل يصور شدة أخذ الفهود للظباء، فبصره لم يدرك إلا لحظة لحاق الفهود بالظباء وهصرها لها، واعتناقها معها، ولصقها لأيديها على أعناقها كما يلصق الإسكافيّ الماهر نعلاً على نعل:[٩]

---

[1] - جاء في بلوغ الأرب- ٣٢٢/٩: أن للظباء أسماء نطقت بها العرب، واحدها ظبي والأنثى ظبية، وولدها طَلا وغزال، فإذا تحرك ومشى فهو رَشَأ، فإذا نبتت له قرنان فهو شادِن وخِشْف، فإذا قوي فهو شصر والأنثى شصرة، ثم هو جذع ثم ثني، ولا يزال ثنياً حتى يموت، والظباء أنواع حسب مواضعها، فصنف يسمى الآرام، وهي الخالصة البياض ومساكنها الرمل، وصنف يسمى العُفْر وألوانها بيض تعلوها حمرة، وصنف يسمى الأدم وألوانها أيضاً كذلك ومساكنها الجبال. بلوغ الأرب- محمود شكري الألوسي- تحقيق محمد بهجت الأثري- مطابع دار الكتاب العربي- دمشق- الطبعة الثالثة- ١٣٤٢هـ.
انظر كذلك: صبح الأعشى- ٤٥/٢.

[2] - يقول الحادرة: وتصَدَّقتْ حتى استبَتْكَ بواضح صَلْتٍ كمنتصب الغزال الأتلع
المفضليات- ٨ . صلت: جميل.

[3] - يقول المنخّل اليشكري: ولثمتُها فتنفسَتْ كتنفُّس الظبي البَهير
الأصمعيات- الأصمعي- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف- مصر- ص٥٥.

[4] - يقول حميد بن ثور: مُفَزَّعَةٌ تستحيل الشخوصَ من الخوف تسمع ما لا ترى
المعاني الكبير- ١٧٠/٢.

[5] - يقول ذو الرمّة: وتهجره إلاّ اختلاساً لطرفها وكم من محبٍّ رهبةَ العين هاجرِ
المعاني الكبير- ١٧٠/٢.

[6] - الحيوان- ٤٢٨/٤.

[7] - صبح الأعشى- ٤٥/٢.

[8] - الحيوان- ٤٨٤/٤.

[9] - المصايد والمطارد- ١٩٠. والبيزرة- ١٢٤.

**ما أدرك الطَّــرفُ سوى لحاقها**

**وهصرهــا الآرامَ واعتناقــها**[١]

**وخصفــها الأيــدي إلى أعناقها**[٢]

**شَرْكَ الصَّنَاع النعلَ في طراقها**[3]

والناشئ يستحثُّ ضواريه وخيوله على صيد الظباء لينال الثأر للمحبين منهنّ، فقد جنَت عليهم الجميلات أشباههنّ، فكم من قتيل بنظراتهنّ، وكم مرة أطلقن ضواري عيونهنّ على سائمات قلوبنا فصدْنَها وأوقعنها في الأسر:[٤]

| | |
|---|---|
| **ويــــا خيــــلُ وَيْهــــاً دَرا كِ دراكِ** | **عــــساكُنَّ تمنحْنَنــــا صـــيدَهُنّهْ** |
| **فنأخــــذُ مـــــنهنَّ ثاراتِنـــــا** | **بحـــــقِّ جنايـــــةِ أشــــباهِهِنّهْ** |
| **فكــم مـــن قتيــلٍ لنـــا هالـــكٍ** | **بأحداقهنَّـــــــهْ وأجفانِهنّــــــــهْ**[٥] |
| **يُمَكِّـــنَّ مـــن ســـائماتِ القلـــوبِ** | **ضـــواري العيـــونِ فيـــصطَدْنَهُنّهْ** |

وكشاجم ينتظر ظباء الروضة حتى تكبر وتسمن ثم يهاجمها بكلابه المتعطّشة للدماء يقول:[٦]

**فبلغــتْ نهــايةَ البــلاغِ**

**ظباؤُهــا في الغَدَق المَناغِ**[٧]

**من نعجةٍ تُصفى لكبشٍ ناغِ**

والسريّ الرفّاء حين يغدو إلى الصيد بكلابه النشيطة فإن التعس والشقاء يحلّ بالظباء حتى وإن كانت في أوكارها، وحين تمسكها الكلاب وتدمى أجيادها ورؤوسها تُشَقّ جيوبها وتفوح منها روائح المسك والزعفران:[٨]

| | |
|---|---|
| **إذا مـــا دعَوْنـــا لاحقـــاً ومُعانِقـــاً** | **وقِيْـــدَ لـــدينا واثـــبٌ ومُخـــالِسُ**[٩] |
| **فـــذلك يـــومٌ جانَـــبَ الـــسعدَ ســـربُه** | **وقوبِـــلَ بـــالنحس الظبـــاءُ الكـــوانسُ**[١٠] |
| **كـــأنّ جلـــود الـــوحش بـــين كِلابـــه** | **وقـــد دميَـــتْ أجيادُهـــا والمَعـــاطسُ** |

[1] - الهصر: الكسر، ويقال: هصر الغصن إذا أخذ برأسه فأماله إليه. الآرام: الظباء. الاعتناق: العناق، يقال: عانقه إذا جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه، وقيل: العناق في المودة والاعتناق في الحرب.

[2] - الخصف: الضمّ، يقال: خصف النعل أي خرزها.

[3] - يقال: شرّك النعل وأشركها أي جعل لها شراكاً. الصناع: الماهر الحاذق. الطراق: جلد النعل.

[4] - المصايد والمطارد- ٦٨. والبيزرة- ١٧٢.

[5] - لنا هالك: في المصايد والمطارد (لنا هنالك) وهو لا يستقيم معنىً ولا وزناً.

[6] - ديوان كشاجم- ٢٢٢.

[7] - الغدق: المكان المبتلّ بالماء.

[8] - ديوان السريّ الرّفاء- ١٥٦.

[9] - لاحق ومعانق وواثب ومخالس: أسماء كلاب.

[10] - الكوانس: جمع كانس وهو الظبي في وكره.

مُـــصَنْدَلَةُ القمـــصان شُـــقَّتْ جيوبُهـــا ورقـــرق فيهـــا الزعفـــرانَ الغـــرائسُ

أما أبو الطيّب المتنبي فيحلُّ صائداً في مكان ما ارتاده الصيادون، ويقع بصره على ظبي جميلٍ جيدُه دون حليّ، معطَّرة ريحُه، لكن الحظّ أتعسه لوقوعه فريسة لكلب الشاعر مع أن سرعته فائقة:[١]

**عــنَّ لنا فيه مُــراعي مُغْــزِلِ[٢]**

**مُحَيَّــنُ النفْسِ بعيــدُ المَــوْئلِ[٣]**

**أغناه حسنُ الجيد عن لبس الحُلي**

**وعــادةُ العُــريِ عن التفضُّــلِ[٤]**

**كأنّــه مُضَمَّــخٌ بصنــدَلِ[٥]**

**يحُــولُ بيــنَ الكلــبِ والتــأمُّلِ[٦]**

وابن المعتزّ يرسل كلبه على سرب ظباء راتعة مع صغارها، في مرج بعيد لا أحد يفطن إليه، قد اخضرّ نبتُه وتموّج، فكأنه الأفعى الخضراء:[٧]

**آنَسَ بيــن السفــحِ والفضاءِ**

**سربَ ظباءٍ رُتَّــعِ الأطــلاءِ**

**في عــازبٍ مُنَــوِّرٍ خــلاءِ[٨]**

**أحوى كبطنِ الحيّةِ الخضراءِ[٩]**

ب – **الأسد:**

من الحيوانات التي عرفتها الجزيرة العربية وهلالها الخصيب، غير أن وجوده في الجزيرة العربية لم يكن من الكثرة بحيث تغدو مشاهداته يسيرة، فيزداد الاصطدام به ويعمّ صيده، ذلك لأن الجزيرة مكشوفة، وما فيها من شجر لا يصلح مسرحاً لحيوانات كهذه، ولاختلاف طبيعة الأرض في الهلال شمالي الجزيرة وتكاثف الشجر وانتشار الغابات أصبح وجود الأسد عامّاً، وغدا في بعض الأحيان شرّاً وبيلاً على

---

[1] - ديوان المتنبي- ٨٧.
[2] - عنّ: ظهر. المراعي: الذي يرعى مع غيره. المُغزل: الظبية لها صغير.
[3] - المحيّن: الذي لم يوفّق للرشاد. الموئل: الملجأ.
[4] - التفضّل: لبس المفضل وهو ثوب يُلبس في المنزل.
[5] - الصندل: من العطور.
[6] - يحول: يعترض. أي إنه سريع العَدو لا يمكّن الكلب من التأمل فيه.
[7] - ديوان ابن المعتزّ- ٢٤.
[8] - العازب: البعيد. المنوّر: الذي فيه نوْر وهو الزهر.
[9] - الأحوى: الذي يخالط شدة خضرته سواد.

المزارعين. جاء في حياة الحيوان للدميريّ: أنّ الحجّاج لما أرسل قائده المتلمّس بن أحوص لجلب سعيد بن جبير في عشرين من رجاله باتوا ليلتهم في أحد الأديرة خوفاً من الأسود المنتشرة حوله[1].

وينقل آدم متز أن في العصر العباسي كثيراً ما كان الخليفة يخرج إلى الشمالية لصيد الأسُود[2].

ويروي صاحب كتاب (الفرَج بعد الشِّدّة) قصصاً مرعبة عن تجوّل الأسود حول بغداد وفي بساتينها الكثيرة، وقد اعتادت أن تهاجم المسافرين على الطرق العامة[3].

ولئن فاتت الجاهليين والأمويين متعة صيد الأسود فإن العباسيين قد حظُوا بها وصوّر شعراؤهم ذلك، فالناشئ يصف قوة الأسد التي تدين لها القوى، وصَولته التي تُرهب الأحياء جميعاً، وبطشَه الذي لا يكفّ ولا يرحم، إنه أسد قسورة، قد نزل القضاء بعرينه، وهو الذي أرهب الخلق، فلا ترى حيّاً يُلِمُّ به أو كائناً تحدِّثه نفسه بالدنوّ من حرَمه مخافة بأسه وسطوته، ولما ملأهم من الرعب والفزع والهلع، له هامة كترس المحاربين صلابة وقوّة، وفمٌ كالغار رحابة، وساعدٌ كالقِدِّ المضفور قوة، ومبتَسَمٌ كالوهد سعة، وعين تومض كالبرق الخاطف. إن الموت يجثم متربعاً بين لَحْيَيْه وأنيابه. وإذا كان لكلّ إنسان حظّه المقسوم من الرزق فهو الذي جُعل الخلق كلُّه من قسمته:[4]

| | |
|---|---|
| **رُبَّ ذي شـــــبلين قَـــــسْوَرَةٍ** | **قـــد أَحَـــمَّ الحَـــيْنُ فـــي أَجَمِـــهْ** |
| **لا تـــرى حيّـــاً يُطيـــفُ بـــه** | **لا، ولا يـــدنو إلـــى حَرَمِـــهْ** |
| **كَمِجَـــنِّ الحـــربِ هامتُـــه** | **وكغَـــوْرِ الغـــارِ رَحْـــبُ فمِـــهْ**[5] |
| **وكَـــضَفْرِ القِـــدِّ ســـاعدُه** | **وكوهْـــدٍ رَحْـــبُ مُبْتَـــسَمِهْ**[6] |
| **وكـــأنّ البـــرقَ مـــا قـــدحَتْ** | **عينُـــه بـــاللَّحظِ مـــن ضَـــرَمِهْ** |
| **وكـــأنّ المـــوتَ معتـــرِضٌ** | **بـــين لَحْيَيْـــه ومُلْتَثَمِـــهْ**[7] |
| **إنْ يكـــنْ رزقُ الـــورى قِـــسَماً** | **فجميـــعُ الخلـــقِ مـــن قِـــسَمِهْ** |

إنه أسد لا يرتوي إلا من أكباد الخلق، قد أبطرته القوة فغدا يمشي مرحاً في طرقه ومغانيه التي نَبَتْ عنها الأسود وتحاشتها المخلوقات. وما له لا يبطَر وهو يملك من آلات البطش ما يغنيه عن السعي في طلب

---

[1] - حياة الحيوان الكبرى- ٢/٢٧٠.
[2] - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري- ٢/٢٥٧.
[3] - الفرج بعد الشدة- القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي- دار الطباعة المحمدية- القاهرة- ١٩٥٥. الصفحات: ٢٩٠- ٢٩٢- ٢٩٥- ٣٠٤ .......
[4] - المصايد والمطارد- ١٨١.
[5] - الغار: الكهف. وغوره: قعره.
[6] - الضفر: الجدل. القِدّ: سير من جلد غير مدبوغ.
[7] - اللحيان: مثنى لَحْي بالفتح وهو منبَت اللحية من الإنسان. الملتثم: الفم.

الرزق.... فهو إذا التمعتْ عيناه كالتماع البرق في السحاب لم تتحوّل عن بصر لامحها إلا إذا استُلتْ روحه من بدنه، فكل ذي نفس يخضع له ويخشى الاقتراب من طرُقه:[1]

**وارِدُ الأكبــــــــادِ ذي لُبَـــــــــد      خـــــادرٌ يَــــــستَنُّ فـــــي أَرَنِــــــهْ[2]**

**تـــــصبحُ الآســــــادُ نابيــــــةً      عـــن مغانيـــــه وعـــــن قَطَنِـــــهْ[3]**

**أوثِقَـــــــتْ للـــــــبطش آلتُـــــــهُ      فكفتْــــه الـــــسعيَ فـــــي مِهَنِـــــهْ**

**وإذا أجفانُـــــــــه ومـــــــــضتْ      كـــــوميضِ البــــرقِ فــــي مُزَنِـــــهْ**

**لـــم تُـــرَعْ عـــن عـــينِ لامحِهـــا      دون ســـلِّ الـــروحِ مـــن بدنِـــهْ**

**كـــــلُّ ذي روحٍ يَـــــدينُ لـــــه      ويخـــاف القـــربَ مـــن سَـــنَنِهْ**

والبحتريّ يرفع من شأن ممدوحه صائد الأُسْد، ويرى فيه شجاعة المصيد (الأسَد) وإقدامه وسطوته وبطشه، إنها معركة شبه متكافئة تكون الغلبة فيها للأمير الممدوح:[4]

**هِزَبْرٌ مشى يبغي هزبراً وأَغْلَبٌ      من القوم يغشى باسلَ الوجه أغلبا**

ونظير البحتريّ في هذا الميدان أبو الطيّب المتنبّي، فقد اتخذ من سطوة الأسد وجبروته وما له في قلوب الناس من المهابة سبيلاً إلى إعلاء شأن الممدوح ورفعه على الناس، فالأسد قد بلغت مهابته الفرات والنيل ومن جاورهما من الناس، فقد تخضّب بدماء الأبطال، إنه أسد ذو شعر كثيف كالغابة، وعينين تقدحان كالشرر، متوحّد في الغابة، ابتعد عنه الناس كما يبتعد الرهبان عن الناس، إلا أن ابتعاد الناس عنه خوفاً وهلعاً، وابتعاد الرهبان عن الناس عبادة وتنسُّكاً، إنه لكبريائه لا يكاد يمَسّ الأرض، ولشدة ما تخشاه القلوب وتخافه الكائنات فكأن الجياد قيِّدتْ إليه فلا تستطيع منه فكاكاً:[5]

**وَرْدٌ إذا وَرَدَ البحيـــــرةَ شــــارباً      وردَ الفــــراتَ زئيــــرُه والنِّــــيلا[6]**

**مُتخـــضِّبٌ بـــدم الفـــوارس لابـــسٌ      فـــي غيلـــه مـــن لِبْدَتيـــه غِـــيلا[7]**

**مـــا قوبلَـــتْ عينـــاه إلا ظُنَّتـــا      تحـــت الـــدجى نـــارَ الفريـــق حُلـــولا[8]**

**فـــي وحـــدةِ الرُّهبـــان إلا أنـــه      لا يعـــرفُ التحـــريمَ والتحلـــيلا**

**يطـــأ الثَّـــرى مترفِّقـــاً مـــن تِيْهِـــهِ      فكأنّـــه آسٍ يجـــسُّ علـــيلا[9]**

---

[1] - المصايد والمطارد- ١٨٠.
[2] - الخادر: الأسد الذي خدر في أجمته. يستنّ: ينشط، واستنّ الفرس: عدا لمسرحه. الأرن: البطر والمرح.
[3] - قطنه: سكنه، وهي في المصايد (فطنه) بالفاء، وأظنه تصحيف والله أعلم.
[4] - ديوان البحتري- ١/٢٠٠.
[5] - ديوان المتنبي- ٩٨.
[6] - الورد: الأسد.
[7] - الغيل: الغابة. اللبدة: الشّعر المجتمع على كتف الأسد، أي أن شعره كأنه غابة أخرى.
[8] - الفريق: الجماعة. حلولا: جمع حالّ وهو النازل بالمكان.
[9] - التيه: الكبرياء. الآسي: الطبيب.

قـــــصرَتْ مخافتُـــــه الخطـــــا فكأنمــــــا ركـــــبَ الكَمــــــيُّ جــــوادَه مــــــشكولا[1]

ومع كل ما له من سطوة وقوة وما اتصف به من صفات البطش والإقدام إلا أن الممدوح نال منه لا بالسيف بل بالسَّوط، فيا له من ممدوح عظيم الشجاعة:

أمُعَفِّرَ اللَّيثِ الهزبرِ بسَوطِه لمن ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا[2]

وصفوة القول: إن الإقدام على صيد الأسد لم يكن إلا مظهراً من مظاهر قوة القلب ومتانة الساعد، وتانك صفتان أحب الكثير من الناس الاتصاف بهما، لأنها فروسية نادرة الوجود، وقد أشارت كتب التاريخ إلى ولع العامة بهذا اللون من القوة[3]، ولكن مما يؤسَف له أن الشعر قصر عنايته على ذوي السلطان وأهمل سواهم.

**جـ ـ الحمار والثور الوحشيين:**

إن التدقيق فيما ذهب إليه الشعراء من وصف الحمار يقفنا على كثير من الاتفاق في الخطوط العريضة لوصفه "فهم يكادون يتفقون في وصف هذه الحمر الوحشية، إذ إنهم يتخذون من الحمار الذكر قلباً أو نواة للوصف ويظلون يدورون حوله[4]".

والحقيقة أن وصفهم للحمُر لم يكن ليشير إلى رضىً عنها وإعجاب بها، وذلك لجُبن رُكّب في طبعها، فهي لا تحسن النزال لأنها لا تملك السلاح، بل تجدّ في الهرب لا تلوي على شيء، ولا تفكّر في أن تكرّ[5].

يصوّر عبد الله بن المعتزّ طرد الحمار الوحشي على الخيل فيقول: وفيما نحن نجوب الفلوات ظهرت لعيوننا الباحثة عن الصيد وحوش معتصمات بالقفار، فيهنّ الحائل، وفيهنّ الحامل التي غيّبتْ في أرحامها أجنة صغيرة، وظهر لنا حمار وحشي من أبناء القفار مثل الهراوة صلابة وملاسة، شديد الحذر، مفرط الرَّوع، كثير النفور من رؤية الأشباح والشخوص:[6]

فبـــــــــدت لأعــــــــين قرِمــــــــاتٍ آبيــــــاتٌ مــــــن لاقــــحٍ ونحــــوصِ[7]

مقفِــــلات علــــــى أجنّـــــةٍ غيــــبٍ كــــدعاميصِ المـــــاء أو كالــــدروصِ[8]

---

[1] - الكميُّ: البطل اللابس السلاح. المشكول: المقيَّد.

[2] - عفّره: مرّغه بالتراب. الهزبر: الضخم الشديد. ادخرت: خبأت.

[3] - العراق في عهد المغول الإيلخانيين- جعفر حسين حصباك- مطبعة العاني- ١٩٦٨- ص ٢٤٦.

[4] - الوصف في الشعر العراقي- ٤٦.

[5] - الطبيعة في الشعر الجاهلي- نوري القيسي- دار الإرشاد- بيروت- ١٩٦٦- ص ١١٩.

[6] - الديوان- ٢٨/٤.

[7] - القرم: الشهوة إلى اللحم. اللاقح: الحامل. النحوص: الحائل.

[8] - الأجنة: جمع جنين. الدعاميص: جمع دُعموص وهو دويبة صغيرة تغوص في الماء شبّه الجنين بها. الدروص: جمع دِرص وهو ولد اليربوع أو الهرة وأشباه ذلك.

**وابـــنِ قفـــرٍ مثـــلِ الهـــراوةِ شـــحّا            جٍ مُـــــرَوَّعٍ مُنَفَّـــــرِ الـــــشُّخوصِ**[1]

وأبو الفتح كشاجم يُدِلّ على أصحابه بكثرة ما اصطاد من حمر الوحش حين خرجوا إلى الصيد على الجياد، فاصطاد الشاعر سبعاً منها وضرجها بدمائها وعفّرها بالتراب:[2]

**حتى إذا العانةُ عنّتْ سُطَّرا**[3]

**وظهرتْ أو قربتْ أن تظهرا**

**بهرتُـــهم سبعاً ومثلي بهرا**

**فكم رأيتُ مِسْحـــلاً معفَّـــرا**[4]

**مكتسياً من دمـــه معصفَرا**

وابن المعتز يتحدث عن صيده وصحبه الأبقار الوحشية والحُمُر:[5]

**فتـــــــلاقينا علـــــــى قـــــــدم            بـــــين آجـــــالٍ وصـــــيرانِ**[6]

**فتركنـــــا العيْـــــرَ مختـــــضِباً            بـــــدمٍ مـــــن جوفـــــه قـــــانِ**

وعبد الصمد بن المعذّل يطلق فهوده على التيوس التي تروح وتغدو على الرمال اللينة آمنة مطمئنة ترعى نباتها الأخضر المنوِّر، وحين أُطلقَت الفهود عليها كانت تسعى إلى حتفها بظلفها حتى دنت منها كما تدنو الحور العين من عشاقها:[7]

**حتى إذا آلـــت إلى مَتـــاقـــها**[8]

**بالسِّهلةِ الوَعْساءِ من بَرْقائـــها**[9]

**في مأمَنِ الصِّيران من طُرَّاقها**[10]

**ورعيـــها الناضرَ من طُبَّـــاقها**[11]

**حُلَّـــتْ وسمَّينا على إطـــلاقها**[12]

**وقد حَدَرْنا الوحشَ من آفاقـــها**[1]

---

[1] - الشحّاج: حمار الوحش.

[2] - المصايد والمطارد- ١٥٨. ولم أعثر عليها في الديوان.

[3] - العانة: القطيع من البقر الوحشي. عنّت: ظهرت. سطرا: منتظمة.

[4] - المسحل: المقدَّم، قائد القطيع. المعفر: الممرَّغ بالتراب.

[5] - مختارات البارودي- محمود سامي البارودي- مطبعة الجريدة- مصر- ١٣٢٩هـ- ١٠٣/٤.

[6] - الآجال: جمع إجْل وهو القطيع من البقر الوحشي. الصيران: جمع صِوار وهو القطيع من البقر الوحشي.

[7] - المصايد والمطارد- ١٩٠. والبيزرة- ١٢٤.

[8] - الضمير في آلت يعود على الفهود. المتاق: اسم مكان من تاق يتوق توقاً وهو نزوع النفس إلى الشيء.

[9] - السِّهلة بكسر السين: الرمل. الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. البرقاء: الظبية التي خالط بياضها سواد، والتيس أبرق.

[10] - الصيران: جمع صِوار بالكسر وهو القطيع من البقر الوحشي.

[11] - الطُّبّاق: بضمّ ففتح مشدّد شجر له ورق دقيق أخضر ونُوْر أصفر مجتمع وهو ينبت بناحية الحجاز.

[12] - حلت: أطلقتْ من عقالها وخُلّيتْ للصيد.

**يسوقها الحَيْــنُ إلى مَساقــها**[2]

وابن الرومي وصحبه يطاردون الثيران الوحشية على الخيل ويرمونها بالرماح، فلا تسمع إلا حمحمة الخيل وغمغمة الثيران وهي تمضي إلى مصارعها، وعبثاً تحاول النجاة لأن الشاعر وصحبه قد سدّوا عليها طرق النجاة وأجبروها على التوجه إلى مصارعها حيث نصبوا خيامهم استعداداً لطهيها وأكلها، لقد أحاق بها الموت الأحمر الزؤام، وعانت يوماً من البؤس ما مثله يوم، أما الشاعر وصحبه فكان يومهم جميلاً ممتعاً:[3]

| | |
|---|---|
| **وركــبِ قنــيصٍ قــد شــهدتُ جيــادَهم** | **تُحَمْحِــمُ فــي ثيــرانِ وحــشٍ تَغَمْغَــمُ** |
| **دلفنــا لهــا بالــسّمْهَريّ فطــالعٌ** | **إلــى مــصرَعٍ يرتــادُه ومُحَــرْجَمُ** |
| **وقــد حاولــتْ منجــىً فقالــت رماحُنــا** | **لمُمْعِنهــا: عــرِّجْ، فهــذا المُخــيَّمُ** |
| **فلــم يُنجِهــا إحــضارُها وهــو مُلْهَــبٌ** | **ولا ذبَّ عنهــا اللُّهــا وهــو مُتــأَمُ** |
| **تنــادَمَ فيهــا المــوتُ أحمــرَ قاتمــاً** | **قريــعَ المَهــا والأخْــدَريُّ المُكَــدَّمُ** |
| **فظــلّ لنــا يــومٌ مــن اللّهــوِ ممتــعٌ** | **وظــلَّ لهــا يــومٌ مــن الــشرِّ أَيْــوَمُ** |

لقد خلت حملات صيد الحمار من الإثارة لاختفاء الكلاب، فهي لا تطرده ولا تنشب بينهما معارك دموية، وإنما اقتُصر على ذكر الصياد والذي كان يصطنع الحيلة والمخاتلة والكمون لاقتناصه أو مطاردته على الجواد.

**د- الذئب والثعلب:**

اقترن وصف الذئب بالجوع في الشعر العربي، ومن هنا كان المحور الذي انبثقت عنه كل الصفات والنعوت التي أشير إليها فيه، فقد ألحّ الشعراء على ذكر الجوع وأكّدوه في مختلف ما أبرزوه من صور، والجوع في الصحراء أمر طبيعي، وقد تأسّى الصعاليك بالذئاب في الصبر على الجوع[4]، ذلك أن أسلوب المعيشة عند كليهما ذو تشابه كبير، لذا صحّ أن يطلَق على الصعاليك "ذؤبان الصحراء".

وأورد الشعراء صورة الذئب، وعارضوها بالخليع المطرود الهائم على وجهه، لفظه الأهل والأصدقاء، فقرنوا فقرهم بفقره، وغربتهم بغربته، ووحدتهم بوحدته، وشراستهم بشراسته[5].

---

[1] - حدر الشيء: حطه من علوّ إلى سفل. الآفاق: أطراف الأرض ونواحيها.

[2] - الحَين: الأجل، الموت. المساق: اسم مكان من ساق يسوق.

[3] - ديوان ابن الرومي- ج٥ ــ ص٢٠٩٤.

[4] - يقول الشنفرى: وأغضى وأغضت واتّسى واتّستْ به مراملُ عزّاها وعزّته مُرْمِلُ
أعجب العجب في شرح لامية العرب- ص ٥.

[5] - يقول امرؤ القيس: وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعـوي كالخليــع المُعيَّل
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

والعلاقة بين الشاعر العربي والذئب علاقة شريفة وغريبة، تتمثل طرافتها في رغبة الاثنين في السلام، وتبدو غرابتها في الضيافة التي يقدمها الشاعر لزائره الذئب[1]، في حين كان المفترض أن نشهد معركة صيد عنيفة يهاجم فيها الذئب الجائع بكل ضراوة، ويدافع الشاعر ببسالة نادرة الوجود تصور رجولته وشجاعته.

أما البحتري فقد خالف الشعراء قبله، فقد بدأ بوصف الليل، ومضى ينسج خيوط قصيدته، ففي ليلة مظلمة وفي صحراء مهجورة مقفرة يصادف الشاعر ذئباً كبيراً أغبرَ، من شدة جوعه وهزاله تكاد تظهر أضلاعه، عضّه الجوع فزاده ضراوة على ضراوته، يقضقض أنيابه شراسة وجوعاً:[2]

**وليلٍ كأنّ الصبحَ في أُخْرياتِهِ     حُشاشةُ نصلٍ ضَمَّ إِفْرَنْدَه غِمدُ[3]**

**تسربلْتُه والذئبُ وسنانُ هاجعٌ     بعينِ ابنِ ليلٍ ما له بالكرى عهدُ[4]**

**وأطلسَ ملءِ العينِ يحملُ زَوْرَهُ     وأضلاعُه من جانبيه شوىً نَهْدُ[5]**

**طواه الطَّوى حتى استمرَّ مَريرُه     فما فيه إلاّ العظمُ والروح والجلدُ[6]**

**يقضقضُ عُصْلاً في أسِرَّتها الردى     كقضقضةِ المَقْرورِ أَرْعَدَه البَرْدُ[7]**

**سما لي، وبي من شدة الجوع ما به     ببيداءَ لم تُعرَفْ بها عيشةٌ رَغْدُ**

**كلانا بها ذئبٌ يحدِّث نفسَه     بصاحبه، والجَدُّ يُتعِسه الجَدُّ[8]**

وكانت العرب تصيد الثعالب، إلا أنها لم تكن تُقبل عليها إقبالها على غيرها من الحيوانات، فقد ذموا خلاله الدنيئة، وهو موصوف عندهم بالروغان والخبث، ويضربون المثل به في النذالة والدناءة[9]، وقد صور الناشئ صيد ابن عرس للثعلب وذلك بأن يخرجه من وكره سليماً لم يُصَب بكَلم ولم يُرَق له دم:[10]

---

شرح المعلقات السبع- الزوزني- مطبعة حجازي- القاهرة- ١٩٢٢- ص ٣٠.

[1] - يقول المرقّش: ولما أضأنا النار عند شوائنا     عرانا عليها أطلس اللون بائس

نبذتُ إليه حزّة من شوائنا     حياءً، وما فحشي على من أجالس.

المفضَّليّات- ٢٢٦.

[2] - ديوان البحتري- ص ١٩٦.

[3] - حشاشة النصل: بقيته. الإفرند: جوهر السيف.

[4] - أراد بابن الليل: اللصّ الذي تألف عيناه الظلام.

[5] - الأطلس: الذي في لونه غبرة ضاربة إلى السواد. الزّور: وسط الصدر. الشوى: اليدان والرجلان. النهد: المرتفع.

[6] - استمر مريره: استحكمت عزيمته. أي زاده الجوع ضراوة.

[7] - يقضقض: يكسر العظام فيخرج لها صوت. العصل: الأنياب العوج، الواحد أعصل، والمراد هنا أنه يصكّ أنيابه بعضها على بعض لغيظه. أسرّتها: خطوطها. المقرور: الذي أصابه البرد.

[8] - الجدّ: الحظّ.

[9] - يقول طرفة بن العبد:

وصاحب قد صاحبته     لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب     ما أشبه الليلة بالبارحه

الحيوان ١/٣٠٢.

[10] - المصايد والمطارد- ٢٢٧.

**أعجِبْ به مقتحماً في وكره**

**لله ما أعظمـــه بهصـــره**

**وقدّه أو قطعه من خصره**

**لكنّـــه بعصـــره وقســره**

**أحسنُ في استحيائه وأسره**[1]

ولما لم يكن في صيد الثعلب فروسية، ولا في اقتناصه دلالة على الجرأة والقوة فقد ذموا صيده واستنكروه[2].

**هـ- الأرنب:**[3]

اصطاد العرب الأرانب من جملة ما اصطادوا من حيوانات، ذلك أنها سكنت باديتهم وكانت من أطعمتهم، وصوّر الشعراء ذلك، فابن أبي كريمة يقول: إن كلابه تنفُض الفلوات نفضاً بحثاً عن طرائدها من الأرانب، فتعلو النجاد وتنحطّ إلى الوهاد، وتتشمّم هنا وهناك علّها تحظى بأرنب ولو كامناً في جحره فتسحبه منه:[4]

**تَـــسُوف وتـــوفي كـــلَّ نَـــشزٍ وفَدفَـــدٍ        مـــرابض أبنـــاء النِّفـــاق الأرانـــبِ**[5]

وابن المعتزّ يمتدح كلاب الصيد في أنها تحافظ على الطرائد سليمة، ومن ذلك قوله في كلبته وقد صادت كثيراً من ذكران الأرانب، ثم قدمتها له خالصة من كل أذى:[6]

**فكم مـــن خُـــزَز وثّـــابِ**[7]

**قد قصمتْـــه بشَبا الأنيـــابِ**[8]

**ومنعتْـــه جولـــةَ الذّهـــابِ**

**لم تُدمِه حفظاً على الأصحابِ**

أما كشاجم فإنه يصطاد الأرنب بالبازيّ، فجوارحه أقسمت ألاّ تصيد إلاّ الأرانب:[9]

---

1 - في استحيائه: في استبقائه حياً.

2 - المفضليات- ص ٢٧٦، قصيدة لبشر بن عمرو يأخذ على بني خفاجة صيد الثعلب وأكله.

3 - واحدة الأرانب، وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، وذكر الأرنب يقال له الخُزز بالضم، وجمعه خِزّان، ويقال للأنثى: عكرشة، والخرنق ولد الأرنب. وتزعم العرب أن الجنّ تهرب منها لموضع حيضها. حياة الحيوان الكبرى- ٢٥/١. واللسان (خزز).

4 - الحيوان- ٣٦٨/٢. والمصايد والمطارد- ١٤٤. ونهاية الأرب- ٢٦٦/٩.

5 - تسوف المرابض: تتشممها لتعرف ما فيها. توفي النشز: تأتي المكان العالي. الفدفد: الفلاة لا شيء فيها. أبناء النفاق: الأرانب لأنها تنافق أي تدخل النافقاء وهو الجحر الذي تستتر فيه.

6 - ديوان ابن المعتز- ١٠/٤. وأشعار أولاد الخلفاء- ١١٠.

7 - الخزز: ذكر الأرانب. وجمعه خزّان.

8 - شبا الأنياب: حدّ الأنياب.

9 - ديوان كشاجم- ١٦٣.

كأنها صائمة قد أقسمت أن تجعل الأرنب إفطارا

وصفوة القول: إن صيد الحيوان – في عرف الإنسان – ليس سبيلاً إلى القوت فحسب، بل حرباً لا هوادة فيها، يراد بها الطمأنينة والسيادة، ولو قورنت بكل ما عرفه التاريخ المدوّن من حروب لما كانت شيئاً مذكوراً، ذلك أن الصيد وجه من أوجه النشاط التي كُتب لها أن تظلّ باقية إلى أعلى صور المجتمع المتحضر، لقد كان ذات يوم مركز الحياة، ويكمن وراء أولئك الصيادين الأشدّاء كل ما لنا من أدب وفلسفة وفنّ وشعائر وعبادة، وآخر ما نصل إليه في تحليل المدنية هو أنها قائمة على تهيئة الإنسان لطعامه، فإن رأيت فخامة في البناء في المعابد المختلفة أو زرت متحفاً أو رأيت جامعة تشاد، فذلك كله الواجهة التي تخفي وراءها أشلاء القتلى والضحايا[1].

والإنسان دوّن كل ما اقترفت يداه من سفك للدماء في معارك الصيد، وكان الشعر وسيلة من وسائله المختلفة في تخليد مآثره– على حدّ زعمه.

**٢– الطيور:**

لم يقف صيد العرب عند الحيوانات في صحرائهم، بل تعدّاه إلى صيد الطير بأساليب وطرائق مختلفة عرضتُ لها في (وسائل الصيد وطرقه). فكانوا يقضون الليالي الطويلة في اصطياد الطير على الأشجار أو على مشارع المياه.

فابن الرومي يؤثر أن يصطادها وهي هاجعة أواخر الليل، فيجدّ وأصحابه في صيد الطير التي ما تني تنتثر على الأرض وكأنها نقوش على صفحتها:[2]

**وقـد أغتـدي للطيـر والطيـرُ هُجَّـعُ ولو أوجست مَغـدايَ مـا بِـتْنَ هُجّعـا**

**وجدّت قِسِيُّ القـوم فـي الطيـر جِـدَّها فظلـتْ سـجوداً للرُّمـاة ورُكّعـا**

**طـرائحَ مـن سـود وبـيض نواصـعٍ تخـالُ أديـمَ الأرض مـنهنّ أبقعـا**

وكشاجم يغدو على الروضة باكراً فيصطاد بالبندق الطيور، يأخذها على حين غرة، وهي بين غناء وصفير، ولا تدري أن موتها قد حان، ولم يبقَ في العمر بقيّة:[3]

**كأنّمـا الطيـرُ فـي حافاتهـا حِزَقـاً بـيضٌ زَهَـيْنَ بتطويـقٍ وتحبيـبِ**[4]

**كـأنّهنّ قِيـانٌ والـصفيرُ غِنـا وكالمنـاقيرِ أنـصافُ المـضاريبِ**

---

[1] - قصة الحضارة- وول ديورانت- ترجمة زكي نجيب محمود- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- الطبعة الثانية- ١٩٥٦- ص ١٣ و ١٤.

[2] - ديوان ابن الرومي- ج٤- ١٤٧٣.

[3] - المصايد والمطارد- ٢٦٣. ولم أعثر عليها في الديوان.

[4] - الحزق: جمع حِزقة وهي الجماعة.

**فقمتُ والطيـرُ قـد حُـمَّ الحِمـام لهـا          علـى سـبيلي وفـي عـودي وتجريبـي**

**أ – طير الماء:**[1]

من الطيور التي اصطادها الصيادون ووقف الشعراء العرب عند وصفها. فالناشئ يفتتح طرديته بوصف طير الماء، ويفيض بذلك إفاضة تكاد تنسيه غرضه، يقول:

ربَّ منهل يُترِع قلب الناظر إليه حبوراً، قد انتظمت فوقه أسراب الكراكي[2] الغرِدة وجماعات الطيور من ناعق وصافر وصغير وكبير وما بين ذلك. وقد ازدانت هذه الطيور بوشي رائع بارع حُلّيت به صدورها ومناكبها، وكانت تختال عند مورد الماء بأجنحة خفاقة كالقراطق، وترفل في كسوة ذات تلاوين حتى لكأنها زهر حدائق مختلف الأصباغ والنقوش. وهنّ إلى ذلك ذوات عيون حمر الأحداق كُحل الجفون، طُوّقت أعناقهن بالقلائد الباهرة، ونُطِّقت أوساطهن بالزنانير:[3]

**ومَوردٍ يُجْـذِلُ قلبَ الـرّامقِ**[4]

**مُنَظَّـمٍ بالغُـرَّدِ الغَـرانقِ**[5]

**وكلِّ طيرٍ صافرٍ أو ناعـقِ**

**مُكتهِـلٍ أو بالغٍ أو لاحـقِ**

**مَوْشيَّـةِ الصدورِ والعواتقِ**

**بكـلِّ وَشيٍ فـاخرٍ وفائقِ**

**تختـالُ في أجنحـةٍ خَوافقِ**

**كأنّـما تختـالُ في قَراطقِ**[6]

**يرفُلنَ في قُمصٍ وفي يلامقِ**[7]

**كأنّهـنّ زَهَـرُ الحـدائقِ**

**حُمْرُ الحِداقِ كُحُـلُ الحمالقِ**[8]

**كأنّـما يَحُلـنَ في مَخـانقِ**[9]

---

[1] - ويقال: ابن الماء وبنات الماء، وهو طائر طويل العنق والرجلين، وهو أكثر من مئة نوع ولا يُدرى لأكثرها اسم عند العرب. حياة الحيوان الكبرى- ٦٠٠/١.

[2] - الكراكي: جمع مفرده كركيّ. وذهب البعض إلى أنه الغرنوق والغرنيق والجمع غرانق. وهو طائر أغبر اللون طويل الساقين، يقوم الليل كله على رجل واحدة مخافة أن تهبط به الأرض. وقيل هو مالك الحزين. حياة الحيوان الكبرى- ٢١٩/٢.

[3] - المصايد والمطارد- ٢٥٢. وورد بعضها في نهاية الأرب- ٢٣٥/١٠.

[4] - المرد: موضع الورود من الماء. يجذل: يفرح. الرامق: المطيل النظر.

[5] - الغرانق: جمع غرنيق أو غرنوق وهو طير أبيض من طيور الماء، وقيل هو الكركي.

[6] - القراطق: جمع قردق وهو كساء ذو طاق واحد، فارسي معرب.

[7] - اليلامق: جمع يلمق، وهو القباء المحشوّ.

[8] - الحمالق: جمع حملاق وهو باطن جفن العين.

[9] - المخانق: القلائد.

## كأنّــما نُطِّقــنَ بالمَنــاطقِ

وفي طردية أخرى يطلق الشاعر صقره على الإوزّ[1]، وقد نعت الإوزّ نعتاً شائقاً غنياً بالصور زاهياً بالألوان، فقال: إن لها عيوناً حمراً كالعقيق، وقد تمنطقت بأوشحة مذهّبة براقة. لقد حكم البارئ المبدع لهذه الطيور أن تَشوق الناظر إليها، فزوّقها لذلك أحسن التزويق وحباها أجمل الزينة:[2]

**تخــالُ في أحداقــها عقيــقا**

**ولابســاتٍ وُشُحــاً طــروقا[3]**

**مدبَّجــاتٍ نُطِّقَــتْ تنطيــقا**

**مُذَهَّبــةً، ترى لــها بريــقا**

**قضى لها الصانعُ أن تَشُوقا**

**كأنّــما زوَّقــها تزويــقا**

وعبد الله بن المعتز يتحدث عن بازيه الذي أبصر طائفة من طيور الماء تسبح آمنة مطمئنة في غدير بين الرياض:[4]

**آنَسَ في نُوَّارِ رَوضٍ قد سَمَقْ[5]**

**سوابحاً في مَتْنِ لُجِّيٍّ غَــدَقْ[6]**

ويصف طيور الماء التي جاءت مع تباشير الصباح جماعات وزمراً، فيقول: وما إن أضاء الكون بنور ربه حتى أقبلت جماعات طير الماء البيض تسبح في الفضاء العريض، وهي تبحث عن روض أُنُفٍ ترتع في خمائله، ونهر جار ترتوي من مائه وتبترد، وكانت شديدة الحذر كثيرة المخاوف، تسأل عيونها عما لديها من الأخبار:[7]

**جاءت صفوفاً وزُمَرْ**

**سوابحاً بِيضَ الغُررْ**

**يطلبنَ ما شاء القدرْ**

**روضاً جديداً ونَهَرْ**

---

[1] - الإوزّ: بكسر الهمزة وفتح الواو واحدته إوزّة، من طيور الماء، يحب السباحة، وفرخه يخرج من البيضة فيسبح في الحال. حياة الحيوان الكبرى- ١/٥٧.

[2] - المصايد والمطارد- ٨٦.

[3] - الوُشُح: بضمتين جمع وشاح وهو ما ينسج من الأديم عريضاً ويرصّع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها.

[4] - ديوان ابن المعتز- ٤/١٤.

[5] - النوار: الزهر. سمق: علا.

[6] - الغدق: الماء الكثير. وغدقت العين ماءها: غزر ماؤها.

[7] - ديوان ابن المعتز- ٤/٢٤.

**وهنّ يسألــنَ النظرْ**

**ما عنده من الخبــرْ**

والسريّ الرفاء ينظر إلى جماعات الطيور المقبلة، فهي لكثرتها تملأ عين الناظر إليها، ويعجز عن عدها وإحصائها:[١]

**كثيرة تَربى على الإحصاء**

**وأقبلت تمـــلأ عين الرائي**

**بكل صافي المتن والأحشاء**

وكشاجم يطلق شاهينه على أسراب الكراكي التي أطمعه شكلها، فهي بين بيضاء أو مغبرّة، لكنها صعبة المنال:[٢]

**يا رُبَّ أسرابٍ من الكراكي**

**مطمعةِ السكون والحــراك**

**بعيــدةِ المنـــال والإدراك**

**كُدْرٍ وبِيضِ الريشِ كالأفناكِ**

**ب – طيور أخرى:**

• **النعام:**[٣] اهتمّ الشعراء أكثر ما اهتموا بسرعة النعامة، فقد شبه امرؤ القيس ساقي جواده بساقي النعامة[٤]. وربما بالغوا حين وصفوا سرعة الناقة والبعير بسرعة ذكر النعام المروع ذي الولدين[٥]. وقد استخلصوا من فزع هذا الحيوان وخفته وشدة نفوره عظيمَ جبنه فضربوا به المثل، فقالوا: "أجبن من نعامة[٦]".

ولعل هذه السرعة وهذا النفور كانا من الأسباب التي جعلت الشاعر القديم في العصرين الجاهلي والأموي لا يستطيع أن يصف صيد النعام، فما لديه من الوسائل لا يمكّنه من ذلك، فاستعاضوا عنه بالتقاط البيض من مواضعه في الصحراء، وقد خبروا طريقة النعام في وضعه، وعرفوا قلة حرصها على إخفائه،

---

[1] - ديوان السري الرفاء- ٧٦.

[2] - المصايد والمطارد- ٨١. ولم أعثر عليها في الديوان.

[3] - اسم جنس يذكّر يؤنّث، وتجمع النعامة على نعامات، والذكر ظليم، ومن حمقه أنه إذا أدركه القانص أدخل رأسه في الرمل ويقدر أنه قد استخفى منه.ورأى الجاحظ أنه ليس بطائر ولا بعَيْر.
حياة الحيوان الكبرى- ٣١٠/٢. والمصايد والمطارد- ٢١٧. والحيوان- ٣٠/١.

[4] - يقول امرؤ القيس:
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
ديوان امرئ القيس- ٢١.

[5] - يقول ضابئ بن الحارث: وتنجو إذا زال النهار كما نجا هِجَفٌ أبو الرألين ريعَ فأجفلا
الأصمعيات- ٣٢. الهجف: الضخم الكبير الكثير الريش. الرأل: ولد النعامة.

[6] - مجمع الأمثال- ١٩٥.

لذلك وصفوها بالتشرد والعقوق لأنها "تدع الحضن على بيضها ساعة الحاجة إلى الطعم، فإذا هي في خروجها ذلك رأت بيض أخرى قد خرجت للطعم حضنت بيضها ونسيت بيض نفسها، ولعل تلك أن تصاد، فلا ترجع إلى بيضها بالعراء حتى تهلك[١]". ولذلك ضربوا بها المثل[٢].

وقد أورد صاحب المصايد والمطارد طردية يصف فيها الشاعر طرد النعام بالخيل، فالشاعر يخرج أواخر الليل على جواده الأغرّ كأنه نار تشتعل، وكأنه حجارة المجانق تنصبّ على النعام فلا تستطيع الإفلات منها، ثم يلتفت إلى وصف النعام المطرود فيرى ريشها حين تتلاعب به رياح سرعتها وقت هروبها كأنه نسج العنكبوت، أو كأنه ثياب راهبة رثّت وبليت، أما رؤوسها فكأنها المزاريق التي يقتتل بها الرجال، وأعناقها لطولها فكأنها صواري السفن الطويلة العالية، ولا يزال الشاعر يطردها حتى تغص بريقها من شدة الخوف والحزن لما حل بها:[٣]

| | |
|---|---|
| **قد ألبس الليلَ حين ينثني خَلَقاً** | **وأركب الهول بالغُرِّ الغرانيق[٤]** |
| **وأنتحي لنعام الدَّوِّ مُلْهَبةً** | **كأنها بعضُ أحجار المجانيق** |
| **تُسدي الرياحُ بها ثوباً وتُلحِمُه** | **كما تَلَبَّسُ من نسْجِ الخداريق[٥]** |
| **كأنما ريشُها والريحُ تَفرِقُه** | **أسمالُ راهبة شيبتْ بتشفيق** |
| **كأنها حين هزت روسَها فَرَقاً** | **سودُ الرجال تعادت بالمزاريق** |
| **كأن أعناقها وهناً إذا خفقت** | **بها البلاقعُ أدقالُ الزواريق[٦]** |
| **فما استلذَّ بلحظ العين ناظرُها** | **حتى تَغَصَّصَ أعلاهُنّ بالرّيق** |

- **الحُبارى:**[٧] اصطاد العرب الحبارى من جملة ما اصطادوا من طيور، فالصنوبري يطلق صقره على الحباريات البيضاوات اللواتي يشبهن قساوس النصارى:[٨]

**تلقى الحباريات منه بوسا**

**آنسَ شيئاً لم يكن أنيسا**

**حبارياتٍ تشبه القسوسا**

---

[١] - الحيوان- ١٩٩/١.

[٢] - يقول ابن هرمة: كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا
المصايد والمطارد- ٢٢٢. والحيوان- ١٩٩/١.

[٣] - نهاية الأرب- ٣٤١/٩. وقد نسبها إلى الشاعر الحُماني المتوفى سنة (٢٢٨). أما في المصايد والمطارد- ٢٢٣. فقد نسبها إلى بعض آل أبي طالب وزاد في آخرها أربعة أبيات على رواية النهاية. وقد اعتمدت رواية النهاية.

[٤] - الغر: جمع أغر وهو الجواد.

[٥] - الخداريق: جمع خدريق وهو العنكبوت.

[٦] - الأدقال: جمع دقل وهو خشبة طويلة تشد وسط الفينة ويمد عليها الشراع.

[٧] - الحُبارى: بضم الحاء: اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، وجمعه حبارى بالضم وحباريات. وهو طائر طويل العنق رمادي اللون، في منقاره بعض الطول، من شأنها أنها تصاد ولا تصيد. وهي من أشد الطير طيراناً. حياة الحيوان الكبرى- ٢٨٦/١.

[٨] - ديوان الصنوبري- ١٩٢.

• و**القطا:**[1] فكشاجم يطلق باشقه على القطاة فيصطادها ويهوي بها من السماء:[2]

**وإذا القطاة تحلّقت من فوقه          لم يعدُ أن يهوي بها من حالق**

• وكذلك **الحجل:**[3] فقد ورد للمتنبي في وصف بازيه ومطاردته حجلة قوله:[4]

**وطـــــائرةٍ تَتَبَّعُهـــــا المنايـــــا          علـــى آثارهـــا زَجِـــلُ الجَنـــاح**

**فأقعَـــصَها بحُجْـــن تحـــت صُـــفْرٍ          لهـــا فِعـــلُ الأســـنّة والرمـــاح**[5]

ومن الطيور التي اصطادوها الكروان[6] والمُكّاء[7] والدرّاج[8] والقنبرة[9] وغيرها.

---

[1] - القطا:اسم جنس الواحدة قطاة، والجمع قطوات وقطيات. طائر أغبر اللون أرقش البطن شديد الطيران. حياة الحيوان الكبرى- ١٩١/٢.

[2] - نهاية الأرب- ١٩١/١٠. ولم أعثر عليها في الديوان.

[3] - الحَجَل: بفتحتين الذكر من القَبَّج، الواحد حَجَلة، وهو طائر على قدر الحَمام، أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البرّ، ومن تركيبه أنه شديد الطيران، حتى أن الإنشان إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلاع. حياة الحيوان الكبرى- ٢٨٨/١.

[4] - ديوان المتنبي- ١٦١.

[5] - أقعصها: قتلها في مكانها. الحجن: جمع أحجن وهو المعوجّ والمراد بذلك مخالبه.

[6] - الكروان: طائر بين الدجاجة والحمامة، طويل الساقين والعنق، جاحظ العينين أصفرهما، له في الليل صوت حسن، والأنثى كروانة.
حياة الحيوان الكبرى- ٢٠٩/٢. والمصايد والمطارد- ٢٨٤.

[7] - المكاء: طائر دقيق أبيض طويل الرجلين والعنق، أبيض الساقين، صغير المنقار، قصير الذنب، له صفير حسن وتصعيد في الجو وهبوط، والأنثى مكاة والجمع مكاكي.
حياة الحيوان الكبرى- ٢٨٦/٢. والمصايد والمطارد- ٢٨٤.

[8] - وهو من طير العراق، أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر، وهو على خلقة القطا إلا أنه ألطف، ويصاد بضروب كثيرة حتى بصفير يحكي صفيره فإنه يصغي إليه ويقصد الموضع الذي يسمعه منه.
حياة الحيوان الكبرى- ٣٠٣/١. والمصايد والمطارد- ٢٧٢.

[9] - القنبرة: طائر من العصافير، أغبر اللون، ويقال قبَّرة.
حياة الحيوان الكبرى- ٢٠٩/٢. والمصايد والمطارد- ٢٨٤.

**رابعاً: المعركة ونهاية الطريدة:**

إذا كان أغلب الشعراء الجاهليين قد وقفوا مليّاً عند العراك الناشب بين الصائد والمصيد، وصوروا ذلك العراك تصويراً جلياً مفعماً بالصور والحركة والمشاعر والأحاسيس[1]، فإن الشاعر العباسي عدل عن ذلك الأمر، فالمعركة عنده ما هي إلا لمح بالبصر حتى تنتهي بفوز الصائد وصرع الفريسة الطريدة، فالصقر عند أبي نواس قبل أن يدركه الإعياء، وقبل أن يُقبل الليل بظلامه صاد خمسين أرنباً كالعنزات السِّمان ما بين مذبوح وغير مذبوح:[2]

**فاصطاد قبل التعب المُبَرِّحِ[3]**

**وقبل أوبِ العازب المُرَوِّحِ[4]**

**خمسينَ مثلَ العَنَز المُشَدَّحِ[5]**

**ما بين مذبوحٍ وما لم يُذبحِ**

وتابعه في ذلك الشعراء العباسيون في العصور التالية، فعبد الصمد بن المعذَّل يصف المعركة وانقضاض الفهود على طرائدها، فهل رأيت الرياح الهوج في هبوبها وعصفها، والبروق الساطعة في التماعها، والمطرَ الشديد يقذف الأرض بوابله، والسهامَ المسنونة تنطلق من قسيّها، والدلوَ الممتلئ يهوي ساقطاً إلى البئر من يد متّاحه؟ إنها كذلك في انقضاضها على الطرائد:[6]

**أما رأيتَ الريحَ في اختراقها[7]**

**ولمعةَ البـــارق في ائتلاقـــها**

**وغبيةَ الشؤبوب في انبعـــاقها[8]**

**وطيرةَ الأقـــداح في انمراقها[9]**

**تهوي هَويَّ الدّلو في ارتشاقها[10]**

وماهي إلا لحظات حتى رأينا الظباء شاخصة الأبصار كأنما غُصت بالبكاء، تفحص بقوائمها في دمائها المهراقة، وتُطرَح على الأرض كما يَطرح السكارى المخمورون الذين غلبهم النعاس زقاقَهم:

---

[1] - ينظر الفصل الأول من هذا البحث: مشهد الصيد التقليدي والمترف.
[2] - ديوان أبي نواس- ٦٥٣.
[3] - المبرح: الشديد.
[4] - العازب المروح: الذاهب السائر في العشي إلى مأربه.
[5] - المشدح: السمين.
[6] - المصايد والمطارد- ١٩٠. والبيزرة- ١٢٤.
[7] - اختراق الريح: مرورها.
[8] - الغبية: الدفعة الشديدة من المطر. الشؤبوب: الدفعة من المطر. انبعاقها: سيلانها بشدة، يقال: انبعق المطر إذا سال بكثرة لشدته.
[9] - الأقداح: جمع قِدْح وهو السهم.
[10] - ارتشاقها: رميها.

**شاصيـــةٌ تَنْشُـــجُ في آماقـــها**[1]

**تَفحَصُ في التّامورِ من مُهراقها**[2]

**بَطْـــحَ الغُواةِ الوَقْذَ من زِقاقـــها**[3]

وابن أبي كريمة يصف فهوده وقت الصيد بأنها تخفي شخوصها وتُضائل من أجسادها حتى لا تكاد تستبينها أحدّ العيون بصراً وأصدقها رؤية، وهي إلى ذلك شديدة الحرص، بعيدة الخطو، يسبق أقلُّ عدْوها لمْحَ البرق، مضرّاة على الصيد، غلاّبة للطرائد، قد أحكمها طول التجارب، تُوسِّد فرائسَها أذرعَها المخضّبة بالدماء وتعانقها عناق المحبين:[4]

| | |
|---|---|
| **تَـــضاءَلُ حتـــى مـــا تكـــادُ تُبينُهـــا** | **عيونٌ لـــدى الـــصَّراتِ غيـــرُ كـــواذبِ**[5] |
| **حراصٌ يفـــوتُ البـــرقَ أَمْكَـــثُ جريهـــا** | **ضِـــراءٌ مُـــبِلاّتٌ بطـــولِ التجـــارِبِ**[6] |
| **تُوَسِّـــدُ أجيـــادَ الفـــرائسِ أذرُعـــاً** | **مُرَمَّلَـــةٌ تَحكـــي عنـــاقَ الحبائـــبِ**[7] |

وأبو العباس الناشئ يصف صيد عناق الأرض وسطوَه على فرائسه فيقول: إذا رأى هذا الصائد الطرائد فإنه ينساب نحوها انسياب الأرقم، وينقضّ عليها انقضاض المنون، فتبتغي منه النجاة، ولكن أين المفرّ من الأجل إذا حُمّ؟:[8]

| | |
|---|---|
| **ينـــساب كـــالأيْمِ هبّـــالاً لبُغيتـــه** | **حتـــى إذا أمكنَتْـــه وهـــو مكـــدودُ**[9] |
| **ســـطتْ عليـــه بـــه كـــفُّ المنـــون لـــه** | **تبغـــي نجيّـــاً وورْدُ الحَـــيْنِ مـــورودُ**[10] |

وينعت الصقر وصيده للغزلان فيقول: لقد أخذ هذا الصقر يلطم وجه الغزلان بجناحيه ويلفهما حول رأسها كما تُلَفّ المعاجر على الهامات، وفي مثل ارتداد الطرف صرَعها وأنشب في جسدها مخاليب تحكي الخناجر:[11]

| | |
|---|---|
| **يحـــثُّ جناحيـــه علـــى حُـــرّ وجهـــه** | **كما فُـــصِّلَتْ فـــوق الخـــدود المعـــاجرُ**[1] |
| **فما تـــمّ رجـــعُ الطَّـــرفِ حتـــى رأيتَهـــا** | **مُـــصَرَّعَةً تهـــوي إليهـــا الخنـــاجرُ** |

---

[1] - شاصية: من شصا بصره أي شخص. تنشج: تغص بالبكاء.
[2] - تفحص في التامور: أي تضرب برجليها في دمائها.
[3] - البطح: من بطحه على وجهه أي ألقاه على وجهه. الوقيذ: المغشى عليه، ويقال: وقذه النعاس إذا غلبه.
[4] - الحيوان- ٤٧٥/٦. والمصايد والمطارد- ١٨٨. ونهاية الأرب- ٢٤٩/٩. والبيزرة- ١٢٢. مع اختلاف يسير في الرواية.
[5] - لدى الصَّرات: عند شقّ العيون لتزداد إبصاراً.
[6] - أمكث جريها: أبطأ جريها. ضراء: معتادة على الصيد. مبلات: غالبات.
[7] - المرملة: المخضبة بالدماء.
[8] - المصايد والمطارد- ٢٢٥. وحياة الحيوان الكبرى- ١٦٣/١.
[9] - الأيم: الثعبان. هبالاً: مغتنماً.
[10] - نجيّاً: نجاة. الحين: الأجل.
[11] - البيزرة- ١٧٩. والمصايد والمطارد- ٨٧.

وابن الروميّ يصف مشهد الصيد بحيوية خافقة، فالطير منها ما هبط إلى الأرض جثة هامدة، ومنها ما هو في سبيله إلى الهبوط، وهي مطروحة هنا وهناك أبيضها وأسودها، وكأنما أصبحت الأرض أديماً مخططاً، يقول:[٢]

**طــرائحُ مــن بــيضٍ وســودٍ نواصــعٌ ... تخــالُ أديــمَ الأرض مــنهنّ أبقعــا**

**هنالــك تغــدو الطيــرُ ترتــادُ مَــصرَعاً ... وحــسبانُها المكــذوب يرتــادُ مَرتَعــا**

وعبد الله بن المعتزّ يصوّر أخْذ البازي لطيور الماء، فقد انقضّ عليها انقضاض السهم المَرِيْش، ولم يحِدْ عنها حتى بلغ منها مأربه، فإذا هي بين صريع ومصعوق، وممزّق تطاير ريشه في كل صوب:[٣]

**فطـــار كالقِـــــدح المَـــريش المُحتـــرِقْ**[٤]

**مـــا صـــاف عـــن قرطاســـه حتـــى خَـــرَقْ**[٥]

**مـــات الـــذي أصـــاب منهـــا أو صُـــعِقْ**

**وطيَّـــــر الـــــريشَ علـــــى الأرض مِـــــزَقْ**

ويصور صيد الصقر للإوزّ فيقول: لقد بدت لعينيه من خلال أوراق النبات الطافية على وجه الماء عشر إوزّات، فما إن رآها حتى هبّ إليها هبوب الريح المرسَلة، يعضده عزم صادق، ثم دنا منها وختلها كما يختل السارق غريمه، وانقضّ عليها من علُ بجناحه القويّ انقضاض الصواعق، فإذا هي بين هالك ومُشفٍ على الهلاك:[٦]

**ونجمتْ للحظ عين الرّامق**[٧]

**عشرٌ من الإوزّ في غلافق**[٨]

**فمرّ كالريح بعزمٍ صادق**

**حتى دنا منهنّ مثلَ السارق**

**ثم عــلاها بجناحٍ خــافق**

**كما رأيتَ رَجَّةَ الصواعق**

**فطفقَــتْ من هالكٍ وفائق**[١]

---

[1] - المعاجر: جمع معجر وهو ما تلقه المرأة حول رأسها.
[2] - ديوان ابن الرومي- ج٤- ١٤٧٣.
[3] - ديوان عبد الله بن المعتز- ١٤/٤.
[4] - القدح المريش: الذي ثبت عليه ريشه.
[5] - صاف السهم عن الهدف: عدل عنه. القرطاس: الغرض.
[6] - المصدر السابق- ٢٦/٤. وورد بعضها في نهاية الأرب- ١٩٧/١٠.
[7] - الرامق: الناظر.
[8] - الغلافق: جمع فلفق وهو الطحلب أو نبات ينبت في الماء أوراقه عريضة.

والبحتريّ يحدثنا عن صيده الذئب والمعركة التي نشبت بينهما: فالذئب عوى ثم قعد على أليته استعداداً للوثوب على الشاعر، والشاعر حمّس نفسه بشيء من الرجز، ثم صرخ صرخة عظيمة، وهجم كل منهما على الآخر، فأطلق الشاعر نبلته وكأنها نار في ليل دامس الظلام، ولكن تلك النبلة كانت طائشة، ولما رأى الذئب منه ذلك ازداد إقداماً وتصميماً على النيل منه، فما كان من الشاعر إلا أن أطلق نبلة أخرى أصابته في قلبه فخرّ صريعاً:[٢]

| | |
|---|---|
| **عوى ثـم أقعـى، فـارتجزتُ، فهجتُـه** | **فأقبـلَ مثـلَ البـرقِ يتبعُـه الرعـدُ[٣]** |
| **فأوجَرتُـه خرقـاءَ تحـسبُ ريـشَها** | **على كوكـبٍ يـنقضُّ والليـلُ مـسودُّ[٤]** |
| **فمـا ازداد إلا جُـرأةً وصـرامةً** | **وأيقنـتُ أنّ الأمـرَ منـه هـو الجِـدُّ[٥]** |
| **فأتبعتُهـا أخـرى فأضـللتُ نـصلَها** | **بحيثُ يكـونُ اللـبُّ والرعـبُ والحقـدُ[٦]** |
| **فخـرّ وقـد أوردتُـه مَنهَـلَ الـرّدى** | **علـى ظمـأٍ، لـو أنـه عَـذُبَ الـورِدُ** |

والصنوبريّ يصف صيد الصقر للحبارى، فحين حمي الوطيس وبدأ الصيد، ما كانت منه إلا حومة واحدة، فإذا الحبارى منكسة خاسرة، وإذا به يصطاد منها الكبير الكبير، ثم انتهت الحومة وانكشفت الخسائر، فإذا بعضها قد طُعن، والآخر غارق بدمه:[٧]

**حتى إذا أحمى لها الوطيسا**

**نكّسها في حَـومةٍ تنكيسا**

**يلتهـمُ الـرئيسَ الرئيسا**

**غادر منها بعضَها مندوسا[٨]**

**وبعضَها في دمه مغموسا**

وأبو الطيب المتنبي يصف عراكاً دار بين ظبي وكلب، وتطاير الغبار، وجدّ كل منهما في طلب الآخر والنيل منه، لكن النتيجة مضمونة، فكلب الصيد لديه من الأسلحة ما تكفل له النصر، ولو أني أرى أن مثل هذه المعركة نادرة الوجود إن لم تكن مستحيلة، فما سمعت وما قرأت أن ظبياً طلب كلباً في عراك:[٩]

---

[1] - الفائق: من فاق الرجل فواقاً إذا أوشكت نفسه على الخروج.

[2] - ديوان البحتري- المجلد الأول- ١٩٦. والمصايد والمطارد- ١٠٧.

[3] - أقعى: قعد على أليته استعداداً للوثوب. ارتجزت: أنشدت رجزاً. هجته: أي اهتاج لسماع صوتي فأقبل بسرعة كالبرق مخرجاً صوتاً كالرعد.

[4] - أوجرته: طعنته. خرقاء: نبلة طائشة لم تصبه.

[5] - الجد: ضد الهزل.

[6] - بحيث يكون اللب والرعب والحقد: أي في قلبه.

[7] - ديوان الصنوبري- ١٩٢.

[8] - المندوس: المطعون.

[9] - ديوان المتنبي- ٨٧.

**فانبـــريا فَذَّين تحتَ القَسطَلِ** [١]

**في هَبوةٍ كلاهُما لم يَذهَــلِ** [٢]

**لا يأتلي في تَرْكِ ألاّ يأتلي** [٣]

**مقتحِماً على المكان الأهْوَلِ** [٤]

**حتى إذا قيل لـه: نلتَ، افعلِ**

**إفترّ عن مذروبةٍ كالأنصُلِ** [٥]

**كأنّـــه من علمِه بالمَقتَـــلِ** [٦]

**علّــمَ بُقراطَ فِصادَ الأكحَلِ** [٧]

**فحـــال ما للقفر للتَّجَـدُّلِ** [٨]

أما البازي عند كشاجم فعجيب أمره، فمعركته على جبهتين في آن معاً، يأخذ الطيور في السماء، ويصطاد الوحوش على الأرض، ولا يتوقف عن فتكه بما في السماء وما على الأرض إلا بعد أن تسيل الدماء أنهاراً: [٩]

| | |
|---|---|
| **فلـــم يـــزلْ فـــي عجـــب عاجـــبٍ** | **يأخـــــذُ مـــــا دبَّ ومـــــا طـــــارا** |
| **فيـــا لـــــه يومـــــاً هَرَقنـــا بـــــه** | **مـــــن دم مـــــا صـــــدناه أنهـــــارا** |

وأياً كانت وسيلة الصيد ففوزها متوقع ودون بذل جهد كبير منها، ما دامت الوسيلة هي التي يريد الشاعر إطلاعنا على محاسنها وفضائلها [١٠].

---

[1] - انبريا: اعترضا، أي الكلب والغزال. فذين: فردين. القسطل: الغبار.

[2] - الهبوة: الغبرة. لم يذهل: لم يغفل.

[3] - لا يأتلي: لا يقصّر، أي أن كلاً منهما لا يقصر في عمله.

[4] - الأهول: المخوف كثيراً.

[5] - افترّ: كشّر. مذروبة: محدّدة، يعني أنيابه.

[6] - المقتل: الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه.

[7] - الأكحَل: عِرق في اليد.

[8] - ما للقفر: أي الغزال يعيش في القفر. التجدل: السقوط على الأرض.

[9] - ديوان كشاجم- ١٦٣.

[10] - الصيد والطرد في الشعر العربي- ٢١٢.

**خامساً: نهاية القصيدة الطردية (المقطع):**

"إذا كانت بداية الرحلة الترصّد للتصيُّد فنهايتها الصِّلاء للشواء، ولكن هذه النهاية تختلف باختلاف الصيادين، فإذا كان الصياد من النوع المتكسّب الفقير جرّ فريسته إلى عياله يطبخون ويشتوون، وإن كان من الأشراف والأمراء أمر غلمانه وأخدانه بالنزول عند غدير، فغرسوا الرماح في الأرض وبسطوا عليها الأكسية وشدّوها بالحبال إلى الأوتاد...... فإذا أضرموا النار وأداروا الشواء لم يصبروا، بل لهْوَجوه وأصابوا منه قبل أن يتمّ نضجه، ثم نهضوا ومضَوا لغايتهم وهم يمسحون أكفّهم من أثر الدُّهن[1]".

فالفرحة الكبرى التي ينبغي أن تنتهي إليها عملية الصيد اتفق أغلب الشعراء على تمثيلها بما توافر لديهم من صيد، وبما نعموا به من طعام، فالناشئ يحمل إلى ندمائه الخير العميم والعيش الرافه، فيوسعهم لحماً طُبِخ بعضه في القدور فأُنضِج، وشُوي بعضه الآخر على النار فلُهْوِج:[2]

**فرُحتُ للشَّربِ بعيشٍ رَهوَجِ[3]**

**أوسعتُهم من القديرِ المُنضَجِ[4]**

**ومن حَنيذِ المُعجَل المُلَهوَجِ[5]**

وابن الرومي يقابل بين نعيمه ونعيم أصحابه وفرحتهم بكثرة ما اصطادوا، وبين بؤس الطيور المصيدة وشقائها وحسرتها:[6]

**وظلَّ صحابي ناعمين ببؤسها وظلت على حوض المنية شُرَّعا**

أما البحتري فقد كان وحيداً في مواجهته مع الذئب، واستطاع أن يصرعه، فقام واشتواه على الحصى، وأكل منه حاجته ثم تركه ومضى:[7]

**وقمتُ، فجمَّعتُ الحصى واشتويته عليه، وللرَّمضاء من تحته وَقْدُ**

**ونلتُ خسيساً منه ثم تركته وأقلعتُ عنه، وهو مُنعَفِرٌ فردُ**

والسريّ الرفّاء وأصحابه في خير عميم من عطاء كلابهم، يأكلون لحماً طازجاً أطيب من القديد، ولا ينسون أن هذا نعمة من نِعم الله الكثيرة:[8]

---

[1] - الأدب الجاهليّ: قضاياه وأغراضه- غازي طليمات وعرفان الأشقر- دار الفكر- سورية- دمشق- ط١- ٢٠٠٢- ص ١٢٥.
[2] - المصايد والمطارد- ١٠٢.
[3] - الرَّهوَج: فارسي معرب، معناه: الليّن السهل.
[4] - القدير: ما طُبخ بالقدر.
[5] - الحنيذ: المشوي. الملهوج: الذي لم ينعم شيّه.
[6] - ديوان ابن الرومي- ج٤- ١٤٧٣. والمصايد والمطارد- ٢٥٥.
[7] - ديوان البحتري- ١٩٦. والمصايد والمطارد- ١٠٧.
[8] - ديوان السري الرفاء- ١٨٣.

**فنحن من عطائه في ريفِ**

**ونعمـــةٍ دانيـــةِ الرفيـــفِ**

**بين قديدِ اللّحم والصفيفِ**

**نعمةُ رحمنٍ ربِّنا رؤوفِ**

والصنوبريّ ينظر إلى قدوره التي راحت تَئِزُّ بما فيها من لحوم، بينما كانت اللحوم تُقفز في الماء وتُسلَق بها:[1]

**فـــأزّتِ القِدرُ أشدَّ الأزِّ**

**تقفزُ بالأشلاءِ أوحى قَفْزٍ**[2]

أما كشاجم فإنه يطعم القوم كلهم من صيده (حمار الوحش) ولا يستأثر به وحده، ولا ينسيه فرحه بصيده أن يشكر الله تعالى على ما منّ به عليه من كثير النعمة والعطاء، مستذكراً المثل الذي تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم: "كل الصيد في جوف الفِرا[3]": [4]

**ما خصني بل كـــان للقـــوم قرى**

**وكـــان فيـــه غـــرض أن أشكـــرا**

**للّـــه مـــا أعمـــه فـــأكثـــرا**

**لصـــدق النبي فيـــما أخبـــرا**

**إذ قال: "كل الصيد في جوف الفرا"**

وعبد الله بن المعتز ينهي طرديته بوصف ثمرات صيد الفهدة وما ينعم به أصحابها من لحوم طرائدها، فهي إذا غدت إلى الصيد فازت بما يشبع الجيش العرمرم اللّجِب، وأضرم أصحابها النيران، وظلوا يومهم يُعمِلون سكاكينهم في لحوم طرائدها المُعَصفَرة التي تُطهى فوق النار المتّقدة:[5]

**غـــــدتْ وهـــــي واثقـــــةٌ أنهـــــا تفـــــوزُ بـــــزادِ الخمـــــيسِ اللَّجِـــــبْ**[6]

**فظلـــــتْ لحـــــومُ ظبـــــاءِ الفـــــلاةِ علـــــى الجمـــــرِ مُعْجَلَـــــةً تُنْتَهَـــــبْ**

**كـــــأنّ ســـــكاكينَهم نَـــــشّرَتْ مُعَـــــصْفَرَةً فـــــوقَ جَـــــزْلِ الحطـــــبْ**[7]

---

[1] - ديوان الصنوبري- ١٣٤.
[2] - أوحى: أشدّ.
[3] - مجمع الأمثال- ٨٢/٢.
[4] - المصايد والمطارد- ١٥٨. ولم أعثر عليها في الديوان.
[5] - الديوان- ١٣/٤. والبيزرة- ١٢٥. والمصايد والمطارد- ١٩٢.
[6] - الخميس: الجيش العظيم.
[7] - المعصفرة: أراد بها اللحوم المصبوغة بالعصفر.

وفي أخرى ينعت الخيمة التي نصبها مع صحبه ليفيئوا إليها ويصيبوا في ظلالها ما طاب لهم من لحوم الطرائد، فقال: فجعلت الريح تخفق فيه وترفع أهدابه وتداعبها كما ترفع الأم المفتونة ولدها لترقّصه، وجعلنا نأكل الشواء الطريّ الغضّ، ونشرب ماء الغدران الصافي النمير:[1]

| | |
|---|---|
| **ورفعنـــا خباءَنـــا تـــضرب الريــــ...** | **.ـــحُ حـــشاه كالجـــاذفِ المقـــصوصِ**[2] |
| **أو كمـــا رفعـــتْ وليـــداً بكفيـــ......** | **..ــــــها ولـــوعٌ خَرْقـــاءُ بـــالترقيص**[3] |
| **ونُـــصيبُ الـــشواءَ غـــضّاً ونُـــسقى** | **مـــاءَ غُـــدرانِ روضـــةٍ كالفُـــصوصِ**[4] |

وأبو فراس الحمداني وصحبه يشوون ويقلون صيدهم الكثير الذي أربى على المئة، ويشربون الراح عبثاً كيفما اتفق، دون ترتيب ولا ساقٍ، ويمضون سبع ليالٍ كاملات ينتشون بالظفر، يكرعون من متع الحياة، ويحسبون أنفسهم أسعد الناس وأوفرهم حظاً:[5]

| | |
|---|---|
| **ثـــمّ نزلنـــا وطرحنـــا الـــصّيدا** | **حتـــى عـــددنا مئـــةً وزَيْـــدا** |
| **فلـــم نـــزلْ نقلـــي ونـــشوي ونـــصبّْ** | **حتـــى طلبنـــا صـــاحياً فلـــم نُـــصِبْ** |
| **شـــرباً، كمـــا عـــنّ، مـــن الزّقـــاق** | **بغيـــرِ ترتيـــبٍ وغيـــرِ ســـاقِ** |
| **فلـــم نـــزل ســـبعَ ليـــالٍ عَـــددا** | **أســعدَ مـــن راح وأحظـــى مـــن غـــدا** |

ويكاد المعنيون بوصف الجوارح من الشعراء العباسيين يتفقون على اختتام طردياتهم بالإشارة إلى ثمرات الصيد ونتائجه التي تعدّ الغرض الأول من الصيد، فهم يعتنون بالجوارح ويبذلون الجهد في تربيتها لتسدَّ على الطرائد طرق النجاة، فيعلو صراخها ويحينُ حَيْنها، ثم تتساقط مضرّجة بدمائها، فيأكلونها كما شاؤوا.

وأخيراً: فقد اجتمعت في يد الإنسان قوة عبّأها لخدمة أغراضه، فمن أدوات الصيد المختلفة، إلى تضرية الصوائد باصطناع أبرع السبل حتى صارت أطوع له من بنانه، إلى مهارة اتصف بها الصياد، كل ذلك تطميناً للرغبة الجامحة في السيطرة على الحيوان _ طعامه المفضل _ أو إشباعاً لغرائز الغلبة في التحدي للحيوان المفترس واقتحام مواطنه، وحشد كل الطاقات في إحراز النصر عليه. فدارت معارك غير متكافئة أكثر الأحيان، وسقط فيها الحيوان مضرجاً بدمائه.

---

[1] - الديوان- ٢٨/٤.
[2] - الجاذف المقصوص: الطائر الذي قُصّ جناحه.
[3] - الخرقاء: المرأة غير الصناع والتي لا رفق لها.
[4] - الفصوص: فصوص الخواتم، يشبه بها الماء في الصفاء.
[5] - ديوان أبي فراس- ٣٢٨.

ومع أننا من فئة الصيادين، لكننا نشعر بالرحمة والعطف على الحيوان المكافح من أجل الحياة، فنمتلئ إعجاباً بالثور والبقرة والحمار والأسد والذئب وأصناف كثيرة لا تستسلم للموت بسهولة، وتبقى هذه المخلوقات في صراعها الأبدي مع الإنسان.

**العموم والخصوص في البناء الموضوعي:**

الطردية وحدة تأليفيّة متناسقة، تقتصر أبياتها على وصف الصيد والطرد وما يتعلق بهما، ويتفرغ الشاعر إلى علاج شكل واحد من موضوعات الشعر –هو وصف الصيد والطرد وما يتعلق بهما– وقد اصطُنع لها بحر الرجز[1].

وأركانها الرئيسة:

- وقت الصيد الذي يُهرع فيه إلى الصيد والطرد، وعادة هو الصباح الباكر. وقد صرّح الشعراء بهذا بقولهم: "وقد أغتدي" أو التعبير عن المعنى ذاته بألفاظ أخرى، وغريب هذا الإلحاح كلَّ الغرابة، ولا سيما أن تلك المطالع قد أحالت الطرديات إلى تقليد رتيب، فعساهم يريدون أن يحملونا على تفهُّم هوايتهم في الصيد والطرد وتذوّقها، ويقنعونا بأنها أروع ما تُمارَس في الصباح الباكر، أو أن هذا التعبير بات مألوفاً إلفة تلك الوسائل والطرائد، ولكن الرأي الذي أرجحه وأميل إليه هو أن فن الطرد حافظ على شكل معين من الأساليب وبقي يدور فيها.
- المكان: وقد حرص الشعراء على ذكر أماكن الصيد، فهي مشارع المياه وموارده، أو الجبال، أو الصحراء، أو الخمائل التي تكثر فيها طرائدهم.
- الصائد ووسيلة الصيد: فمن الشعراء من تحدث عن نفسه مفاخراً بالطرد، ومنهم من امتدح أميراً بالطرد وكان امتداحه هذا سبيلاً على مدحه بالكرم والقوة والشجاعة وغيرها. أما وسائل الصيد التي استعان بها الصياد، فكانت الحيوان كالخيل والكلاب والفهود، وكانت الطيور كالعقبان والصقور والبزاة، وكانت الأسلحة كالقوس والنبال والرماح والبنادق.
- الطريدة: وقد تكون حيواناً كالحمار والثور الوحشيين والظباء والوعول والأرانب والثعالب والأسود والذئاب، وقد تكون طيراً كالنعام والحبارى والمكاكي والقبّر والدرّاج.
- الصراع: ينشب عادة بين الطريدة ووسيلة الصيد، وشعراء الطرديات قد دفعهم حبهم للصيد وتقديسهم لوسيلته إلى تناسي دور الطريدة، فأهملوها، وصوروها مسلوبة الإرادة، تستسلم

[1] - الصيد والطرد في الشعر العربي- ٢٥٢.
وينظر: شعر الصيد عند العرب- ٣١٦.

لمصيرها بكل خنوع.

• نهاية الطرد: وضع الشعراء حداً للطرد، ودائماً بموت الطريدة في الطرديات عموماً، ثم ينثنون إلى مجال اللهو والطعام والشراب، وتصوير المتع المرافقة لإتمام عملية الصيد، ويذكرون بسرور تلك الجلسات التي يعقدونها بعد عملية الصيد، فمنهم من يحتطب، ومنهم من يشوي اللحم الطري.

وأغلب شعراء الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين التزموا هذه الخطة ولم يحيدوا عنها في جلّ ما قالوا من طرديات. ولكن بعض تلك الطرديات زاد عليها شعراؤها زيادات أخر، فابن الرومي يفتتح قصيدته في الطرد بالبكاء على شبابه الراحل، والدعاء له بالرحمة والسقيا، أيام كانت مآربه عظيمة، أما اليوم فلم يتبقَّ منها شيء:[1]

**بكيتَ فلم تترك لنفسكَ مَدمعا — زماناً طوى شرْخَ الشباب فودّعا**

**سقى الله أوطاراً لنا ومآرباً — تقطَّع من أقرانها ما تقطّعا**

وكشاجم كان غرضه الأساسي في رائيته الصيد، وقد مدح فيها أبا القاسم القصصي، واستهلها بالتحسّر على أيام الشباب، إذ إن الخروج إلى مجالِي الطبيعة والمساهمة في القنص والطرد يحتاجان إلى حيوية الشباب ونشاطه، قال:[2]

**واهاً لأيامِ صباً فقدُها — أورثني همّاً وأكدارا**

**فإن يكن ذاك الزمانُ انقضى — وبدّلَ الأحلامَ أمرارا**

**فالعيش طعمان لمن ذاقه — والدهر ما ينفكّ أطوارا**

ثم يخلص إلى إطراء يومهم ذاك، وينثني على وصف القوانص من فرس وكلب وباز، ثم يعاود الحسرة على تلك الأيام:

**فيا له يوماً هرقنا به — من دم ما صدناه أنهارا**

**ولّى وأبقى ذكره بعده — لسائر الطُّرّاد أسمارا**

ولكي ينتهي إلى مدح أبي القاسم حمّل الغلمان أدوات الصيد والطراد إلى:

**إلى محلٍّ حلَّ فيه الندى — وصار فيه المجد مذ صارا**

أما أبو فراس فقد استهلّ أرجوزته بالحكمة، فتحدث عن أيام عزّه الماضية، ثم تحدث عن جَوْر الدهر عليه إلى أن أصبح يعدّ أيام السرور لندرتها:[3]

[1] - ديوان ابن الرومي- ج٤- ١٤٧٣.
[2] - ديوان كشاجم- ٨٧.
[3] - ديوان أبو فراس- ٣١٩.

| | |
|---|---|
| **مـا العمـرُ مـا طالـت بـه الـدهورُ** | **العمـرُ مـا تـمَّ بـه السـرورُ** |
| **أيـامَ عـزّي ونفـاذِ أمـري** | **هـي التـي أحسِبُها مـن عمـري** |
| **مـا أَجْـوَرَ الـدهرَ علـى بنيـه** | **وأَغْـدَرَ الـدهرَ بمـن يُـصفيه** |
| **لـو شـئتُ ممّـا قـد قَلَلْـنَ جِـدّا** | **عـددتُ أيـامَ السـرور عَـدّا** |

أما المتنبي فقد اعتذر في نهاية مقطوعته عن المزيد من القول بعد انتهاء عملية الصيد، لأن الكلب اختطف الخشف بسرعة فائقة، فلم يدع له مجالاً للقول في الطرد، فراح يطري الممدوح بما شاء من صفات:[1]

**فلم يَـدَعْ للشاعر المجَـوِّدِ**

**وصفاً له عند الأمير الأمجدِ**

**المـلكِ القَـرمِ أبي محمَّـدِ**

**القـانصِ الأبطـالَ بالمهنّدِ**

**ذي النَّعَم الغُرِّ البَوادي العُوَّدِ**

**إذا أردتُ عـدَّها لم تُعـدَدِ**

**وإن ذكـرتُ فضلَه لم يَنفَدِ**

ولم يكن للكلب ذنْب في هذا، فلم تكن طبيعة الموضوع وعناصره مما يولَع به شاعرنا العظيم، فالمتنبي لم يكثر من شعر الطرد عند الحمدانيين خاصة، ربما لانشغاله بما هو أهم من ذلك، وهو شعر الحرب، ولعله تردد كثيراً في إنشاء الطرديات هيبة من كشاجم أستاذ الطرد شعراً وتأليفاً في ذلك الحين، ولم يكن المتنبي من السذاجة والبساطة ليورّطَ نفسه في ميدان لا يضمن لنفسه فيه السبق والتقدم، شأنه في ذلك شأن عزوفه عن وصف الطبيعة الجميلة التي سعِدت بها حلب خوفاً من تخلّفه عن مرتبة الصنوبري وكشاجم والسري فيما أنشؤوه من عيون الشعر البديع[2]. وهو في كل ما نظم من شعر الصيد – على قلّته– كان ذا علاقة بممدوح من ممدوحيه، وهمّه الأكبر أن يبرز فيه صفتي الشجاعة والكرم، وما عدا ذلك أدوات لخدمة هاتين الصفتين، ولعل النهاية في الملق والنفاق أن يجعل الطير يشتهي أن يصاد بيد الأمير أبي محمد:[3]

| | |
|---|---|
| **كأن السُّمانى إذا ما رأتك** | **تَصَيَّدُها تشتهي أن تصادا** |

وخلاصة القول: إن مما يسترعي النظر في الطرديات أنها اتسمت بوحدة الموضوع، وهي لم تعالج وصف الصيد وحده وكفى، بل تمحّضت إلى لون واحد من ألوانه أو وسائله.

[1] - ديوان المتنبي- ٢٥٣/١.

[2] - فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين- مصطفى الشكعة- عالم الكتب- بيروت- ١٩٨١- ص٤٧٦/٤٧٧.

[3] - ديوان المتنبي- ٢٢٥/٢.

وشعر الصيد خلال رحلته الطويلة منذ فجر العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري اكتسب الكثير من الخصائص حتى غدت طابعاً مميِّزاً له، يعرف به دون سواه، وأكثر تلك الخصائص انحدرت من القديم، ولكنها تبلورت مع الزمن. أضف إلى هذا أن للصيد من عمق الأثر في نفس الشاعر ما يجعلنا نتلمّس تلك الآثار في أغراض الشعر الأخرى، وفي الفصل التالي محاولة لجلاء تلك الخصائص من شعر الطرد.

# الفصل الثالث

## الخصائص العامّة لشعر الطرد

١- الخصائص المعنويّة

٢- الخصائص اللّفظيّة

٣- الخصائص التصويريّة

٤- الخصائص الموسيقيّة

### ١ – الخصائص المعنويّة:

لعلّ أبرز الخصائص المعنوية لشعر الطرد هو ما حفل به من مادّة علمية تتعلق بالجوارح والضواري، وطرائق الصيد وأدواته، فأغلب هذه الطرديات اتّسمت بالموضوعية وحَفِلت بالحقائق العلمية، فنمّت على شخصية عالمة بطبائع الجوارح والضواري، واقفة على الصيد وأساليبه، فالناشئ مثلاً حين وصف البازي والصقر واليؤيؤ – وقد مر بنا ذلك– ميّز هذه الجوارح الثلاثة تمييزاً واضحاً، وحين نعت الصيد بابن عرس وصيد الأسد بالزُّبْيَة واللَّبَّاد صور ذلك للقارئ تصويراً جلياً ووقفه عليه كما لو كان يقرؤه مبسوطاً في كتاب، بل إنه أربى في الإيضاح على ما جاء في كتب البيزرة، فقد قال كشاجم في صيد ابن عرس للثعلب: "وهو يصيد الثعلب صيداً مليحاً، يدخل إليه مشدوداً في عنقه حبل ثم يُجذَب فيُخرجه معه[1]" ولم يزد على ذلك شيئاً، فجاء الناشئ يصف للقارئ احتراس الثعلب واعتصامه في جحره، واعتقاده أن ذلك يقيه من كيد الصائدين وكلاب القانصين إلى أن قال:[2]

**وليس يجري في بَنات صدرهِ**
**أنّ ابنَ عرسٍ قاصمٌ لظهرهِ**
**وهاجمٌ عليه في مقرّهِ**
**أعجِبْ به مقتحماً في وَكرهِ**
**وخيطُه معلَّقٌ بنَحرهِ**
**حتى إذا أمرتُهم بجرِّهِ**
**جَرُّوهُ، فاستخرَجه من قعره**
**لله ما أعظمَه بهَصرهِ**
**وقدِّه أو قطعهِ من خصره**
**وذبحِه بنابه وظفره**
**لكنّه بعصره وقسره**
**أحسنَ في استحيائه وأسره**

فقد نعت الصيد بهذا الجارح نعتاً أربى على ما قاله كشاجم، وكشف عن طريقته في إخراج فريسته، فتارة يقضي عليها، وتارة أخرى يبلغ الغاية حين يُخرجها سليمة صحيحة يُنْتَفَع بفرائها.

[1] - المصايد والمطارد- ٢٢٧.
[2] - المصدر السابق- ٢٢٧.

وما يقال في صيد ابن عرس يقال في صيد الأسد بالزبية واللباد، فقد اكتفى كشاجم عند حديثه عن الأسُود بقوله: "ومنها ما يصاد باللبابيد يستتر فيها الرجال[1]" ثم ترك للناشئ وغيره من الشعراء وصف الصيد باللباد[2].

ونحن إذا أخذنا الطرديات ثم نثرناها وشرحنا معانيها اجتمع لدينا كتاب في البيزرة لا يقلّ عن أيّ كتاب أُلِّف في هذا الباب، بل إن الكتب التي عُنيت بالحيوان أو تخصصت به استقت مادتها الغزيرة الثَّرّة من هذا الشعر، واعتمدت عليه أعظم الاعتماد فيما أوردَته من معلومات، فهذا ابن قتيبة يعقد في كتابه (المعاني الكبير) أبواباً للخيل والقطا والنعام وغيرها فيقول مثلاً: "باب في جرْي الخيل ومَشْيِها" ثم يورد تحت هذا العنوان طائفة من شعر الطرد ويشرحه ثم ينتقل إلى الباب التالي وهكذا[3].

وهذا الجاحظ يسوق الحديث عن الكلاب فلا يجد وسيلة لوصفها خيراً مما قاله أبو نواس فيها، فيورد طائفة كبيرة من طردياته، وذلك بعد أن يقدّم بين يديها كلمة تعرّف القارئ بأهميتها، وتَلفِته إلى ما ذخرت به من مادة علمية فيقول: "وأنا كتبت لك رجَزه في هذا الباب (أي باب الكلاب) لأنه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زماناً، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه[4]".

وهذا كشاجم يفعل قريباً من فعل الجاحظ فيقول عند باب الكلاب: "ومن اختياري من طرد أبي نواس في صفة الكلب وهي جامعة لصفات خَلقه وسرعته[5]".

وكثيراً ما يخصص كشاجم بحثاً للحديث عن جارح من الجوارح فلا يقول فيه شيئاً أبداً، وإنما يورد تحت العنوان ما قاله شعراء الطرد في هذا الجارح، وذلك كما في حديثه عن (اليؤيؤ) حيث أورد اسمه ثمّ عرّفه بإيراد أربع طرديات قيلت فيه، ثلاث منها للناشئ وواحدة لأبي نواس[6].

وهذه الخاصة يكاد ينفرد بها شعر الطرد، فما عهدنا في الشعر العربي الأصيل غرضاً من الأغراض حفل بالحقائق العلمية وعُدَّ مصدراً معتمَداً للحصول على المعارف غير باب الطرد.

ثم إن لهذا الشعر خاصة معنوية أخرى ذات صلة بالخاصة السابقة هي أن الطرد وشعره وولعَ الخلفاء بهما قد تضافرت جميعها على إيجاد حركة علمية نشِطة تتعلق بالبيزرة والحيوان أسفرت عن تأليف طائفة من الكتب الثمينة في هذا الباب، فما كتاب (المصايد والمطارد) لكشاجم و(الجمهرة في علوم البيزرة)

---

1 - المصايد والمطارد- ١٩٧.
2 - المصدر السابق- ١٨٠-١٨١.
3 - المعاني الكبير- ٦-١٠-١٣-٢٠-٣٠ .....
4 - الحيوان- ٢/٢٧.
5 - المصايد والمطارد-١٥٦.
6 - المصدر السابق- ٩٣-٩٤.

للأسدي[1]، وكتاب (البيزرة) المنسوب إلى العزيز بالله الفاطمي إلا ثمرة من ثمرات التفاعل الذي تمّ بين شعر الطرد وهذه الكتب، فهو الذي أعطاها وأخذ منها، واعتمد مؤلفوها على ما جاء في هذا الشعر من حقائق، حتى إن القارئ ليحار في تصنيف هذه الكتب ووضعها في موضعها الصحيح لأنها كتب حيوان ودواوين شعر في وقت واحد.

ثم إن لهذا الشعر خاصة معنوية أخرى، ذلك أنه وقَفَنا على جانب من جوانب التطور الحضاري للأمة العربية منذ أوائل زمن بني أمية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، فالعَيْر والثور والظليم هي الحيوانات المصيدة عند أبي النجم وأبي نخيلة زمن بني أمية، والطرد الصعب هي وسيلة الصيد، والرمح والقوس والسهم هي أدواته، والصحراء اللاهبة هي مكانه.

فلما صرنا إلى العصر العباسي وجدنا أن هذه الصور قد تغيرت تغيراً كلياً، فقد أصبحت المصيدات في الغالب طيوراً:[2]

**تخــال في أحداقــها عقيقا**

**ولابســاتٍ وُشُحاً طَــروقا**

**مدبَّجــاتٍ نُطِّقــتْ تنطيــقا**

**مذَهَّبــةً تــرى لها بريــقا**

**قضى لها الصانع أن تشوقا**

**كأنّــما زوَّقــها تزويــقا**

وأدوات الصيد إما بازٍ:[3]

**ذو منسر أقنى ورُسغٍ كــزّ**

**ومخلبٍ لم يَعْدُ إشفا الخرز**

**مسربَلٌ مثــل حَبيكِ القــزِّ**

**أو مثل جزع اليمن الأرُزّي**

أو صقرٌ:[4]

**مجتمِــعَ الخَلــق شديــداً مكتنِــزْ**

---

[1] - مخطوط في مكتبة أياصوفيا.

[2] - المصايد والمطارد- ٨٦، طردية للناشئ.

[3] - ديوان الصنوبري- ١٣٤.

[4] - المصايد والمطارد- ٨٨، طردية لكشاجم.

**أحمرَ رحْبَ الجَوف مخطوف العجزْ**

**كأنّــما الريشُ عليه حمــلُ خَــزّ**

**كأنّــما حمــلاقُه زنّــار قَــزّ**

أو كلب:[1]

**محتلِــمٌ قد ساد بابن عامه**

**يكتــنُّ بدرَ الأفق في لثامه**

**أهرتُ كالمُغرق في ابتسامه**

أو عَناق أرض:[2]

**حلوُ الشمائل في أجفانه وَطَفٌ صافي الأديم هضيمُ الكشح ممسودُ**

وأما مكان الصيد فهو ثرىً رطيب مزهر:[3]

**سَبْطِ هبوبِ الريح جَعْدِ المَنهَلِ**

**موشَّــحٍ بالنَّــورِ أو مكــلَّلِ**

**مفروجــةٍ حِلَّتُــه عن جدولِ**

أو روضة جميلة الزهر غزيرة الماء:[4]

**خيطت عليها حلل ما خاطها خَيّاطُ**

**فبعضها مطارف وبعضها أنماطُ**

**كأنّــما غدرانُــها من حولها رباطُ**

وشتان ما بين هذه الصور وتلك، فالأولى تمثل أمة متبدّية موغلة في البداوة، والثانية تصوّر أمة متحضّرة غارقة في الترف والزينة والزخرُف إلى الأذقان.

ثم إن هذه الطرديات أبرزت مبلَغ عناية الناس في العصر العباسي بالكتابة، ومدى تذوُّقَهم للخطّ الجميل، فما من شاعر من شعراء الطرد في هذا العصر –تقريباً– من أبي نواس إلى كشاجم إلا شبه وشي ريش جوارحه بنَمْنَمَة خطوط الكاتبين، وقد أكثروا من ذلك وأفرطوا فيه:

فأبو نواس يقول:[5]

**كــأنّ وَشْيَ ريشِه المُــدَرَّجِ**

[1] - ديوان السري الرفاء- ٢٥٨.
[2] - المصايد والمطارد- ٢٥٦.
[3] - ديوان السري الرفاء- ٢١٣.
[4] - ديوان الصنوبري- ٢٨٧.
[5] - ديوان أبي نواس- ٦٦٤. وانظر: ٦٣٦، ٦٥١.

**مِن قائـــمٍ منـه ومِن مُعَـــرَّجِ**

**باقي حروفِ السطرِ المُخَرْفَجِ**

وابن أبي كريمة يقول في فهوده:[1]

**مُوَلَّعةٌ فُطْسُ الأنوفِ عوَابسٌ تخالُ على أشداقِها خَطَّ كاتبِ**

والناشئ يقول في صقره:[2]

**يضاعِفُ الوشيُ به التنميرا**

**مُعَـــرَّجاً فيه ومستـــديرا**

**كما يضمُّ الكاتبُ السطورا**

وابن المعتزّ يقول في زُرَّقه:[3]

**ذي جؤجؤٍ كنَمَشِ الرُّخامِ**

**أو أسطُرٍ دقيقةِ الأقلامِ**

**خفيَّةِ الأحرف والإعجامِ**

وكشاجم يقول في صقره:[4]

**ورُقِّشَ منه جؤجؤٌ فكأنّما أعارته أعجامَ الحروف الدفاترُ**

والصنوبريّ يشبّه منسر صقره بحرف الراء المُقَوَّس:[5]

**أشفى تَرى في رائه تقويسا**

ثم إن هذه الطرديات صوّرت مدى تهالك الناس في العصر العباسي على المتع وابتذال أنفسهم في سبيلها، فهذا واحد من هواة الضواري يقف من كلبه موقف العبد من سيّده، فهو ما زال يرُوض نفسَه حتى جعل هواه موافقاً هوى كلبه، وأخلاقه وِفْقَ أخلاقه:[6]

**يا رُبَّ كلبٍ ربُّه في رزقِـــهِ**

**يرى حقوقَ النفس دونَ حقّهِ**

**مُتَّبِــعاً لخُلْــقِهِ في خُلْــقِهِ**

**كأنّـــما يَملِـــكُ عقْـــدَ رِقِّـــهِ**

---

[1] - الحيوان- ٤٧٥/٦.

[2] - المصايد والمطارد- ٨٥. وانظر: ٨٠.

[3] - ديوان ابن المعتزّ- ٤٩/٤. وانظر: ٢١/٤ و ٣٦/٤.

[4] - المصايد والمطارد- ٨٧.

[5] - ديوان الصنوبريّ- ١٩٢.

[6] - المصايد والمطارد- ١٥٥، طردية للناشئ.

وهذا هاوٍ آخر يتعهّد فرخ الصقر بالتربية كما يتعهّد الأبُ الشفيق وحيدَه، فيرفق به أشدَّ الرفق، ويحنو عليه أعظم الحنوّ، وينذُر لحفظه وبقائه النذور:[1]

**سباه مِـــن شاهِقَـــةٍ صغيرا**

**قد طار أو ناهَزَ أن يطيرا**

**مَن كان بالرفقِ به جديـــرا**

**ينـــذُرُ في بقائِهِ النُّـــذُورا**

وهذا هاوٍ ثالثٌ يرى أن باشقه أحنى عليه من الوالد المفارق:[2]

**وأحنى عليك إلى أن يعود إليك من الوالد المشفق**

وهذا هاوٍ رابعٌ يرى أن طموحه موافق لطموح كلبه، وكلبه يحقق هذا الطموح، فما رُزِقَ به فمن أفضال كلبه، وما حُرِمَه فهو في ذمّته إلى الممات:[3]

**أحرَزَ ما رُمْـــناه من آرامهِ**

**فما رُزِقْـــنا فمن أنعـــامهِ**

**وما حُرِمْـــنا ففي ذِمـــامهِ**

**حتى يذوقَ المُرَّ من حِمامهِ**

ثم إن هذه الطرديات وصفت الجوارح والضواري وصفاً جمالياً يلائم ذوق القارئ ويتّسق مع روح العصر، فلم تبقَ هذه الحيوانات الكاسرة رمزاً للقوة فحسب، وإنما غدت مظهراً من مظاهر الجمال، فعَناق الأرض الذي ضرب العرب المثل ببطشه فقالوا: "لقي فلان عناق الأرض[4]" أي داهية، جاء الناشئ فقال فيه:[5]

**لكنّـــــه كفتـــــاةِ الحـــــيِّ بـــــارزةً فـــي خِـــدرها، مـــالئٌ للعـــين مَـــودودُ**

**حُلـــوُ الـــشمائلِ فـــي أجفانـــه وَطَـــفٌ صافي الأديمِ، هـــضيمُ الكَـــشحِ، مَمـــسودُ**

**فيـــه مـــن البـــدر أشـــباهٌ موافقـــةٌ منهـــا لـــه سُـــفَعٌ فـــي وجهـــه ســـودُ**

**كوجـــهِ ذا وجـــهُ هـــذا فـــي تَـــدَوُّرِهِ كأنّـــه منـــه فـــي الأشـــكالِ مَقـــدودُ**

ثم قال في نعت أذنيه:

**كآســـتين علـــى غـــصنين تعطفهـــا مـــن جانبيـــه وفـــي الرأســـين تحديـــدُ**

---

[1] - المصايد والمطارد- ٨٦، طردية للناشئ.
[2] - المصايد والمطارد- ٧٦. ونهاية الأرب- ١٩٢/١٠. والبيزرة- ١٧٤، طردية لكشاجم.
[3] - ديوان السريّ الرفاء- ٢٥٨.
[4] - الصيد والطرد عند العرب- ٨٣.
[5] - المصايد والمطارد- ٢٢٦.

كعنبـــــرٍ عرَّجَتْــــه فـــــي ســــــوالفها                    مـــن بعــدما قوَّمَتْـــه الغــادةُ الــرُّودُ

ولنأخذ صورة الجواد الذي غدا به الشاعر إلى صيد الوحش ولنتأمّلها نجدْ أنفسنا أمام قَيْنة من قيان العصر العباسي تميس ببردها الملوّن المضرّج، وتزهو بمعصمها العَبْل المزدان بروائع الحليّ لا أمام جواد مطهم يروع العين ويملأ القلب:[1]

**أشقر ملزوز القُرى والمَنْسَجِ**

**قد خاض تحجيلاً ولم يُلَجَّجِ**

**كالخودِ في جلبابها المُضرَّجِ**

**رمتْ إلى معصمها بالدُّمْلَجِ**[2]

**ذي غرّةٍ مثلِ الصباح الأبلجِ**

أما السريّ الرفّاء فكلابه كالبدر ليلة التمام، مشرّبة بماء الذهب، لامعة السروج كالشهب والبروق، جميلة جذابة كالزهور، قرّط آذانها حبات الطَّلّ:[3]

**مثلِ البُدورِ الزُّهرِ طالعاتِ**

**تخالُــها بالتِّبرِ مُشرَّبــاتِ**

**وسُرُجٍ كالشُّهبِ ذاكــياتِ**

**بمُرعِــداتٍ وبمُبرِقــاتِ**

**زاهــرةٍ كزاهــرِ النَّباتِ**

**بلؤلؤِ الطَّــلِّ مُقــرَّطاتِ**

والصنوبريّ يرى صقره يلبس بُرداً فريداً لم يلبسه أحد قبله، كاملَ الحسن تامَّ الصفات، كأنه العروس في جَلْوَتِها وتمام إشراقها:[4]

**أُلْبِسَ بُرداً لم يكن مَلبوسا**

**تحسبُه من حُسنهِ عَروسا**

ثم إن هذه الطرديات ألمعت إلى أثر العنصر الفارسي في المجتمع العباسي، فأكثَرَ شعراءُ الطرد من استعمال الألفاظ الفارسية في طرديّاتهم، وتأنّقوا في استخدام الصور الكِسْرَوِيّة عند وصف جوارحهم، فمما استُعملت فيه الألفاظ الفارسية قول الناشئ في وصف طير الماء:[5]

---

[1] - ديوان ابن المعتزّ- ١٥/٤.
[2] - الدُّملج: المعضَد، من الحليّ.
[3] - ديوان السريّ الرفاء- ٦٨.
[4] - ديوان الصنوبريّ- ١٩٢.
[5] - المصايد والمطارد- ٢٥٢.

**تختـــال في أجنحـــةٍ خَوافقِ**

**كأنّـــما تختـــال في قَراطقِ**[1]

**يَرْفُلنَ في قُمْصٍ وفي يَلامقِ**[2]

**كأنّهـــنّ زَهَـــرُ الحـــدائقِ**

ويقول في الشاهين:[3]

**هل لكَ يا قَنّاصُ في شاهينِ**

**سَوْذَيْنَـــقٍ مـــؤَدّبٍ أميـــنِ**[4]

وكشاجم يُعلي شأن باشقه، ويمتدحه، فهو طير قانص، تحمله خير يدٍ، على خير "دستبان":[5]

**فأكرِمْ به وبكفِّ الأميـــ..........ـــيرِ وبالدَّسْتَبانِ إذا تلتقي**

أضف إلى ذلك هذه الصور الفارسية التي وردت مثلاً في نعت الناشئ للشاهين حين شبه وشيَ شاهينه ببُرد "أنو شروان" ومَحْظِيَّته "شيرين" وشبه سلاحه بسلاح ملوك الفرس: "يزدجرد" و"سروين"، فقال:[6]

**في قُرطُـــقٍ من خَـــزِّه الثمينِ**

**مُفَـــوَّفٍ في نعمـــةٍ وليـــنِ**

**يشبـــه في طـــرازه المَصونِ**

**بُـــردَ أنـــوشروانَ أو شيرينِ**

**وشِكَّـــةٍ كـــزَرَدٍ مَـــوْضونِ**

**مُضاعَفٍ بالنَّسج ذي غُضُونِ**

**كـــدِرعِ يَزْدَجَـــرْدَ أو سِرْوينِ**

والصنوبريّ يرى الوحش في الروضة مصفوفة على السماطين كما يقف الفرس أمام كسرى أبرويز:[7]

**والوحشُ في أرجائها قبائـــلٌ أخلاطُ**

**وافت كما وافت غدا.....ة عيدها الأنباطُ**

**أو كرجـــال فارسٍ ضمَّـــهم ساباطُ**[8]

---

[1] - القراطق: جمع قرطَق وهو الثوب، فارسي معرب.
[2] - اليلامق: جمع يَلمَق وهو الثوب، فارسي معرب.
[3] - المصايد والمطارد- ٨٠.
[4] - السوذينق: الشاهين، فارسي.
[5] - المصايد والمطارد- ٧٦. والبيزرة- ١٧٤. ونهاية الأرب- ١٩٢/١٠.
[6] - المصايد والمطارد- ٨٠.
[7] - ديوان الصنوبري- ٢٨٧.
[8] - ساباط: قصر بالمدائن لكسرى أبرويز.

ثم إن هذه الطرديات أعطت صورة دقيقة ملوّنة لملابس الناس وأزيائهم التي كانوا يؤثرونها في العصر العباسي، من ذلك وصف الناشئ لأجنحة جوارحه وريشها وتمثيلها بما كان يلبسه المترفون من بُرود يُظاهِر بعضُها بعضاً فتكتمل باجتماعها لِبْسَة الرجل الأنيق، من ذلك قوله في الصقر:[1]

**يجتابُ بُرداً فاخراً مطرورا**

**مُسَيَّــراً بكتفــه تسييــرا**

**وقد تَقَبَّى تحتَـــه حريــرا**

**مُشَمِّــراً عن ساقه تشميرا**

**يُضاعِف الوَشيُ به التنميرا**

**مُعــرَّجاً فيه ومستديــرا**

ثم إن هذه الطرديات اشتملت على طائفة من المعاني الجزئية الطريفة، التي تتسم بالجدة والطرافة والعمق، من ذلك قول الناشئ في اتّقاد عينَي البازي:[2]

**لو استضاء المرء في إدلاجه    بعينيه، كَفَتْهُ عن سراجه**

ومن ذلك قوله في تصوير جمال الصقر:[3]

**كأنه قد ملك التصويرا**

**لنفسه فأحسن التقديرا**

ومن ذلك قوله في بأس اليؤيؤ وتسلُّطه على الطير مهما احترزت منه:[4]

**مُمَلَّـــكٌ لنفـــوس الطيـــر ينـــسِفُها    نـــسفاً فيقـــبِض أجـــساماً وأرواحـــا**

**كأنّمـــا أقفلَـــتْ بالأُهْـــب أنفُـــسَها    فكـــان بـــالقهر للأقفـــال مفتاحـــا**

ومنه قول ابن المعتزّ في تشبُّث الفهدة بطريدتها ومحاولة الطريدة الإفلات منها:[5]

**تضمُّ الطريدَ إلى نحرها    كضَمِّ المحبَّةِ مَنْ لا يحِبّ**

فهل رأيت صورة أكثر دلالة على هذا المعنى من هذه الصورة، ذلك لأن ضم المحب لمن يعلم أنه لا يبادله المحبة يكون أقوى، وتشبُّثَه به يكون أشدّ، فالفهدة مجتهدة في التشبث بالظبي، والظبي مجتهد في مغالبتها، وكذلك ضمُّ المحب لمن لا يحبه. ومن هذا القبيل قوله في الكلب وطريدته:[6]

---

1 - المصايد والمطارد- ٨٥.
2 - المصايد والمطارد- ٦٨.
3 - المصايد والمطارد- ٨٥.
4 - المصدر السابق- ٩٣.
5 - ديوان ابن المعتز- ١٣٤.
6 - المصدر السابق- ٣٢/٤.

**خِلٌّ رفيقٌ واعتناقٌ جافِ**

**ليس له غير دمٍ من شافِ**

فهذا محبّ مولّه، لكن عناقه قاسٍ جافٍ، وإذا كان المحبون يشفيهم من المحبوب ضمُّه ولثمُ ريقه، فهذا المحب لا يشفيه إلا شرب دماء محبيه.

ومن ذلك وصف كشاجم لبازيه وقت إرساله على طرائده:[1]

| | |
|---|---|
| **كأنـــــه شعلـــــــةُ نــــارٍ إذا** | **عايَــــنَ فتخــــاءَ وخـــشنارا** |
| **أو عربـــــيٌّ فاتــــكٌ ثــــائرٌ** | **يخـــاف فـــي تقـــصيره العــارا** |

إنه شعلة نار على طرائده، ينقضّ عليها انقضاض العربي على غريمه، فالويل كل الويل، والعار كل العار إن هو لم ينل ثأره ويبلغ مأربه. وطريفة هذه المقارنة بين الصائد والعربي الطالب ثأرَه، فكلاهما يلحقه العار إن لم ينل بغيته.

ومن ذلك تشبيه ابن الرومي الفهدة والخطوط السود على خديها بالنساء التركيات اللواتي سال كحلهن على خدودهن:[2]

**كأنّها والخُــزَرُ من حِداقها**

**والخُطَطُ السودُ على أشداقها**

**تُرْكٌ جرى الإثمدُ من آماقها**

ونحن لو رحنا نستقصي ما في الطرديات من اللفتات الطريفة والمعاني الجميلة لطال بنا القول وعزّ علينا المطلب.

وأخيراً هناك أمر آخر يميز الطرديات من الناحية المعنوية وهو ما اتسمت به من وحدة الموضوع، فقد كان للطرد وشعرائه فضلٌ كبير في استخلاص فقرة من فقرات القصيدة الجاهلية وتمحيضها لغرض واحد والتعبير بها عن تجربة محددة المعالم متكاملة الأجزاء، لا يشوبها الاضطراب ولا ينال التشتت من متعة قارئها ووحدة تفكيره.

غير أن المعاني في هذه الطرديات ينقصها صدق التجربة، فالصيد مطلب من مطالب الحياة، يعروه الإخفاق والنُّجْحُ، ويعرِض له الفَوْت والدَّرَك، غير أن شعراء الطرد أغمضوا أعينهم عن حالات الإخفاق والفوت، ولم ينظروا إلا إلى حالات النجح والدرك، فجاءت طردياتهم مَشوبة بشائبة نقص التجربة إن لم نقل كذبها، والطردية الوحيدة –فيما اطّلعت عليه من طرديات– التي شذّت عن ذلك هي تلك التي قالها أبو نواس

---

[1] - ديوان كشاجم- ١٦٤.

[2] - ديوان ابن الرومي- المجلد الرابع- ١٧١١.

في الفخّ، فكم كان رائعاً حين جعل العصفور يُحَوِّم فوق الفخ وهو يشتهي أن يلتقط الحَبّ الذي انتثر عليه، ويخشى مغبّة ذلك، فتحترب في نفسه (لا) و(نعم)، ثم ينجلي الموقف عن انتصار جند (لا) واندحار جند (نعم) وينجو الطائر الصغير بروحه ويبوء القانص بالحسرة.

إنها تجربة مؤثّرة، ينفعل بها القارئ ويحياها مع الشاعر، وحبذا لو كانت رائدة فحذا شعراء الطرد حذوها:[1]

| | |
|---|---|
| **حتـــى إذا أشـــرفَها مُوفِيـــاً** | **وعـــايَنَ الحَـــبَّ لـــه مُظهَـــرا** |
| **خاطبَـــه مـــن نفـــسه زاجـــرٌ** | **قـــد كنـــتُ لا أرهـــبُ أن يَزجُـــرا** |
| **فاحتربـــتْ (لا) و(نعـــم) ســـاعةً** | **ثـــم انجلـــى جنـــدُ (نعـــم) مُـــدبِرا** |
| **فـــضمَّ كَـــشحَيْه إلـــى جُؤجُـــؤٍ** | **كـــان إذا اســـتنجَدَه شَـــمَّرا** |
| **فلـــم يَرُعْنـــي غيـــرُ تدويمِـــه** | **آمِـــنَ مـــا كنـــتُ لـــه مُـــضمِرا** |

ويغلب على الظن أن السبب في نقص هذه التجارب أو كذبها يعود إلى أن الطرديات كانت تقال أكثر ما تقال في وصف جوارح الأمراء وذوي السلطان، وليس من المنطق في شيء أن يصوِّر الشاعر جوارح هؤلاء الرجال في حال إخفاقها ما دام يسعى إلى مَرضاتهم ويرجو نوالَهم، والعمل الفني متى شابَتْه شائبة خارجة عن طبيعته آلَ إلى النقص وأفضى إلى الفساد.

وقد يكون هناك سبب آخر لنقص التجربة عند شعراء الطرد هو أنهم قالوا بعض طردياتهم في معرض الفخر بجوارحهم والزَّهْوِ بضواريهم، وهو مقام يُحتِّم عليهم أن يصفوها في حالات النُّجح دون الإخفاق[2].

ومما نلحظ على معاني الطرديات كثرة أخذ اللاحقين عن السابقين، وأخذ الخلف عن السلف أمر لا بد منه ولا ضير فيه ما دام اللاحق يكسو معنى السابق بألفاظه ويبرزه بأسلوبه، لكن الضير في أن يسرق اللاحق معنى السابق بألفاظه كلِّها أو جلِّها. والجاحظ يقول في ذلك: "ولا يُعلَم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مُصيب تامّ أو في معنىً غريب عجيب.....أو في بديع مخترَع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يعدُ على لفظه فيسرق بعضه أو يدَّعيه بأسره فإنه لا يدَعُ أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى الذي تتنازع فيه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحدهم أحقَّ بهذا المعنى من صاحبه[3]".

وقد وُجدَ في الطرديات كثير من الحـــالات التي تقع في إطار الســـرقة أو تقترب منه، من

[1] - ديوان أبي نواس- ٦٦١.
[2] - شعر الطرد- ٤١٥.
[3] - الحيوان- ٣/٣١١.

ذلك قول عبد الصمد بن المعذَّل في انقضاض الفهد على طرائده:[1]

**أما رأيتَ الريحَ في انخراقــها**

**ولَمعةَ البــارق في ائتلاقــها**

**تهوي هويَّ الدلوِ في ارتشاقها**

أخذه من قول أبي نواس:[2]

**ما البرقُ في ذي عارضٍ لَمَّاحِ**

**ولا انقضاضُ الكوكبِ المُنْصاحِ**

**ولا انبتاتُ الجَــوْأبِ المُنْــداحِ[3]**

**حين دنــا من راحــة المَتَّــاحِ**

**أجَــدُّ في السرعة من "سِرْياحِ"[4]**

ومن ذلك قول ابن المعتز في الفهدة:[5]

**لها مجلسٌ فــي مكــان الرَّديــفِ     كتُركيَّةٍ قــد سَــبَتْها العــربْ**

**ومقلتُـــــها سائـــــلٌ كحلُـــــها     وقد حُلِّيَتْ سُــبَحاً مــن ذهــبْ**

أخذه من قول عبد الصمد بن المعذل:[6]

**كأنّها والخُزْرُ من حِداقها     تُرْكٌ جرى الإثمِدُ من مآقها**

ومن ذلك قول الناشئ في عيني اليؤيؤ:[7]

**ويؤيــؤٍ مُهَــذَّبٍ رشيــقِ**

**كــأنَّ عينيه لدى التحقيــقِ**

**فصّانِ مخروطان من عقيقِ**

أخذه من قول أبي نواس:[8]

**كــأنَّ عينيــه إذا ما أثــأرا**

---

1 - المصايد والمطارد- ١٩٢.
2 - ديوان أبي نواس- ٦٣٧.
3 - الجوأب: الدلو.
4 - سرياح: اسم كلب.
5 - المصايد والمطارد- ١٩٢.
6 - المصايد والمطارد- ١٩٠. والبيزرة- ١٢٤.
7 - المصايد والمطارد- ٩٢.
8 - ديوان أبي نواس- ٦٥١.

**فصّان قُضّا من عقيقٍ أحمرا**

ونحن لو رحنا نتتبع أخذ اللاحقين عن السابقين في الطرديات لطال بنا المقال وضاق المقام.

وثمة أمر آخر نلحظه على الطرديات وهو مجانبة الحقيقة والمبالغات التي لا يرتاح إليها الذوق أحياناً، فمن العدوان على الحقيقة زعْمُ الناشئ أن لبعض الجوارح أصواتاً شجية عذبة كما في قوله في اليؤيؤ:[1]

**يَصْفُرُ كالمُلَحِّنِ المُرَجِّعِ**

**بمُونِقِ المَبدأ حُلْوِ المَقْطَعِ**

ومن المبالغات التي يأباها الذوق ولا يستسيغها الطبع قولُ ابن المعتز في قوة صيد الفهدة:[2]

**غدَتْ وهي واثقةٌ أنّها تقومُ بزادِ الخَميسِ اللَّجِبْ**

ومنها قول السري الرفاء في صيد البازي:[3]

**فصاد قبل الشدّ في احتيازه**

**خمسين حُزناهُنَّ باجتيازه**

ومن ذلك قول كشاجم واصفاً صيد العقاب:[4]

**لم تألُ أن صادت بلا زمان**

**ما عجزتْ عن عدِّه بَناني**

ومن ذلك أيضاً قول ابن المعتز في الزُّرَّق:[5]

**وزُرَّقٍ مُجَرَّبٍ مِقدامِ**

**يضمنُ زادَ الجَحفَلِ اللُّهامِ**

ومن تلك المبالغات التي لا يرتاح لها الذوق قول الناشئ في صلابة رأس الفهد وحِدَّة نابَيه:[6]

| | |
|---|---|
| **لـــه هامـــةٌ لـــو أنّ كفّـــاً رَهيـــشَةً** | **دَحَتْهـــا علـــى صُـــمِّ الـــصَّفا لتَهـــدَّما** |
| **ونابانِ لو يسطو الزمـــانُ علـــى الـــورى** | **بحَـــدَّيهما كـــان الحِمـــامُ مُقَـــدَّما** |

وأخيراً فإن المعاني في هذه الطرديات قد شيبت بالتكرار الذي يدعو إلى الملالة أحياناً، فالمرء لا يكاد يقرأ طائفة منها حتى يجد نفسه قد عزفت عن قراءة باقيها لما فيها من تكرار يبعث عليه ضيق الموضوع

1 - المصايد والمطارد- ٥٢.
2 - ديوان ابن المعتز- ١٣/٤.
3 - ديوان السري الرفاء- ١٥١.
4 - المصايد والمطارد- ١٠١. والبيزرة- ١١٧. ولم أعثر عليها في الديوان.
5 - ديوان ابن المعتز- ٣٩/٤.
6 - المصايد والمطارد- ١٩٨.

وكثرة ما قيل فيه، مما يورث الملالة ويبعث على السآمة، وقد رأينا ذلك واضحاً جليّاً عند عرضنا لشعر الطرد.

**٢ – الخصائص اللفظية:**

تعد الألفاظ الوحدةَ الأساسية في بناء اللغة، وييسِّر تآلفُها واتصالها تشكيلَ التراكيب التي تعبّر عن المعاني المرادة. واللغة الثرية هي التي يكشف معجمها اللفظي عن معالم البيئة التي صدرت عنها، وعن نفسية المتحدثين بها، وعن مستوى المعارف والعلوم التي أحرزتها، كما تنبئ بمقومات شخصيتها وقدرتها على التكيف والاستجابة للتطورات الاجتماعية والثقافية والحضارية.

وعلى الرغم من اشتراك الشعر والنثر في مادة الألفاظ، تتميز لغة الشعر من لغة النثر، ذلك أن اللفظة في ميدان الشعر تكتسب بعداً زمانياً وآخر مكانياً مكوِّنة دلالات بسيطة ومركَّبة خاضعة للنطق والرسم، "فالشعر يقوم على أربعة أشياء وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية[١]"، وتشكل عناصر الوزن والقافية والإيقاع مزايا إضافيةً تؤدي تآلفاً مفترَضاً بينها وبين الصورة، وهذا الأمر يعطي اللغة الشعرية بهاء خاصاً، ويضفي عليها بعداً جمالياً يرتقي معه النص الشعري ليكوِّن إبداعاً حقيقياً.

وتعتمد اللغة الشعرية الصورةَ، فتطلق العنان للألفاظ، وتنقل المجرد إلى المحسوس والمحسوس إلى المجرد، إذ "لا يتمّ الشعر بالأوزان والتفعيلة وحسب، وإنما يتطلب صوراً، لأنه بالصورة وحدها يستطيع الشاعر أن يخلع على الأفكار لباساً محسوساً[٢]".

وقد أولت الحركة النقدية القديمة اهتماماً كبيراً لقيمة الألفاظ في الشعر، وأجمعت على أن الشعر فنٌّ موادُّه الأولية الألفاظ[٣]، إلا أن الألفاظ تكتسب دلالاتها وجماليتها في الشعر من خلال الوظيفة الشعرية أو الأدبية، أو من خلال الانزياح أو الانحراف كما يقال أحياناً، وهذا ما يجعل الشاعر يمتلك قدراً كبيراً من حرية التعبير، فيستخدم اللغة استخداماً خاصاً، ويختار من ألفاظها ما يعتقد أنه يحقق الخلق الفني المراد، ويختلف في تناوله عما درج عليه الآخرون، ويسبغ عليها من مخزونه الفكري ورؤاه الفنية ما يرتقي بالنص الشعري، وتنتقل اللغة آنئذٍ "من وسيلة تعبير إلى خَلق فني في ذاته[٤]".

---

[1] - العمدة- ١١٩/١.

[2] - نظرية الشعر: قضايا وحوارات النهضة- القسم الأول- تحرير وتقديم محمد كامل الخطيب- منشورات وزارة الثقافة- سورية- دمشق- ١٩٦٦- شهادة شفيق جبري- ص٨٧٤.

[3] - ينظر: الصناعتين- أبو هلال العسكري- تحقيق محمد أبي الفضل أبراهيم وعلي محمد البجاري- طبع عيسى البابي الحلبي- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م- ص١٣٨.
والعمدة- ١١٩/١.

[4] - في الأدب والنقد- محمد مندور- مصر- القاهرة- ١٩٧٧- ص٢٠.

وليس القصد من هذه الإشارات السريعة وضْعَ تعريف للنص الشعري من الوجهة الفنية، وإنما هي مقاربة للتعريف بالشكل الذي يفتح السبيل أمام تنهيج الدراسة وتيسير السبل نحو استكمالها.

ولعل أول ما يطالعنا في اللغة الشعرية هو ألفاظها، فكيف تبدت ألفاظ اللغة الشعرية في القصائد الطردية؟ وما الخصائص العامة التي ميزتها؟

تميزت لغة الطرد عامة بصعوبة مفرداتها، ويبدو أن الشاعر غير ملوم في ذلك، فهو أمام تجربة لا بد أن يكون صادقاً في تمثيلها تمثيلاً صحيحاً، وإلا فإنه يُعدّ متخلفاً عن ركْب الشعراء أمثاله، وهو حين يصف الصيد لا بد له من الاعتماد على "القاموس الصحراوي الذي يمثل الحياة البدوية[1]".

ولو نظرنا إلى ألفاظ الطرديات من حيث الغرابةُ والإلفُ لوجدناها مرت بمراحل ثلاث، فقد كانت في العصر الأموي مسرحاً لغريب الألفاظ وبدويِّ العبارات، تُؤْثِر ما بَعُدَ، وتَجْنَح إلى ما خَشُنَ، ولا غَرْو في ذلك فشعراء الطرد في عصر بني أمية كانوا من الرُّجّاز، والرجز ارتبط بالغريب وحفل به.

ثم إن موضوعات شعر الطرد في عصر بني أمية ظلت بدوية خالصة، فالحيوان المطرود بقي على ما كان عليه في العصر الجاهلي، فهو لا يعدو العَيْر وأُتُنَه، والثورَ الوحشيّ ومهاتَه، والنعامةَ والظليم، وأداة الصيد ما زالت الجواد والرمح، ومسرح الصيد المفاوزَ والقفار التي تحيا فيها الوحوش، وذلك كله يدعو إلى استعمال الغريب ويقود إليه، ويبدو هذا الإغراب أشدَّ ما يبدو عند أبي النجم العجلي وأبي نُخَيْلة السعدي، فلْنتأمّلْ هذه الطائفة الكبيرة من الألفاظ الغريبة التي حشدها أبو النجم في إحدى طردياته، إذ يقول في وصف عَدْو الظليم:[2]

**يُزَعْزِعُ الجُـؤجُؤَ من أَنْقائِهِ[3]**

**يحفــرُ بالمَنْسَمِ عن فَرْقائِـــهِ[4]**

**عن يابسِ التُّرْبِ وعن ثَرْيائِهِ[5]**

**ومَــرَّةً بالحَــدِّ من مِجْــذائِهِ[6]**

**عن ذُبَـحِ التَّلْعِ وعُنْصُلائِـــهِ[7]**

---

[1] - شعر الطبيعة في الأدب العربي- سيد نوفل- القاهرة- ١٩٤٥- ص٦٥.
وانظر: الوصف في الشعر العراقي- ص٦٥.
وانظر: مقدمة ديوان لبيد- ص٣٥.

[2] - مصادر هذه الطردية: الحيوان- والمعاني الكبير- وهي أكمل صورة في المعاني الكبير.

[3] - الجؤجؤ: الصدر. الأنقاء: جمع نقاً وهو كل عظم ذي مخّ، أراد أنه إذا عدا حرّك صدره من موضع الأنقاء، وموضع الأنقاء كناية عن القوائم.

[4] - المنسم: طرف خف البعير والناقة. الفرقاء: الفرق الذي في المنسم.

[5] - الثرياء: التراب النديّ.

[6] - المجذاء: المنقار.

[7] - الذُّبح والعنصلاء: ضربان من النبات.

أما المرحلة الثانية التي مرت بها ألفاظ الطرديات فقد بدت في القرن الثاني الهجري. فما إن أطلّ العصر العباسي الأول حتى وجدنا ألفاظ الطرديات تخضع لطائفة من المؤثرات:

أولها: ذوق العصر الذي بدأ ينفر من وحشيِّ اللفظ ويرتاح إلى مأنوسه، وأخذ يُؤْثِر حَضَرِيَّ التعبير على بدويِّه.

ثانيها: طبيعة الرجز التي كانت تقوم على الغريب، والطرديات جلُّها أراجيز.

وثالثها: نظرة النقاد المتعصبين للقديم من أمثال ابن الأعرابي إلى الشعراء المولَّدين نظرة تقوم على استلانة شعرهم ووصفِه بالضعف.

وقد تأثرت ألفاظ شعر الطرد في هذا العصر بتلك العوامل كلها واستجابت لنداءاتها المختلفة، وبدا ذلك في طرديات أبي نواس حامل لواء الطرد في هذا العصر.

فالمرء يقرأ طائفة من طردياته فيجد نفسه أمام شعر مألوف اللفظ مأنوس العبارة، ليس فيه من الغريب إلا ما تقتضيه طبيعة الموضوع. ثم يقرأ طائفة أخرى فيكاد ينكر ما يسمع لكثرة ما يعترضه من الغريب الذي يُحْوِجه إلى التنقيب في المعجمات والبحث عن معاني الكلمات، ولا غرو فالضرب الأول قاله الشاعر متأثراً فيه بذوق عصره مراعياً قُرّاء شعره، من ذلك قوله:[1]

**لما تجــلّى الليـــلُ وابيضَّ الأفــقْ**

**وانجابَ سِتْرُ الليلِ عن وجه الطُّرقْ**

**باكــرَني سَهْــلُ المُحيّا والخُلُــقْ**

**نَــدْبٌ، إذا استنــدبْتَهُ، شَهــمٌ لَبِــقْ**

**بأكلُــبٍ غُضْفٍ صحيحاتِ الحَــدَقْ**

**من أصفــرِ اللّــونِ ومُبْيَضٍّ يَقَــقْ**

**كأنــما أذنــاه مــن بعضِ المــزَقْ**

**لو يلصقُ الخــدَّ بــأذنٍ لالتصقْ**

أما الضرب الثاني فقد قاله استجابة لطبيعة الرجز، ودفاعاً عن النفس، وتحدّياً للنقاد الذين ضعّفوه واستلانوا شعره، فكأنه يريد أن يكاثرهم في غريبهم، وأن يتعالم عليهم فيما يظنون أنه يجهله، وأن يقول لهم إنه ليس أقلَّ معرفة بغريب كلام العرب من الشعراء السابقين، ومن ذلك قوله في وصف الصقر:[2]

**أحَصُّ أطرافِ القُــدامى وَحْوَحِ**[3]

---

[1] - ديوان أبي نواس- ٦٣٨.
[2] - ديوان أبي نواس- ٦٤٩.
[3] - الأحصّ: القليل الريش. القدامى: ريش مقدم الجناح. الوحوح: المنكمش.

أبرَشُ ما بين القَــرا والمَــذْبَحِ[1]

يُلوي بخُزّانِ الصحارى الجُمَّحِ[2]

يُنْحي لها بعدَ الطِّماحِ الأَطْمَحِ[3]

يُسلِكُــها بنَيْــزَكٍ مُــذَرَّحِ[4]

ومِنْسرٍ أقنى كأنفِ المِجْــدَحِ[5]

أما المرحلة الثالثة فتتمثل في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث اختفى الغريب أو كاد من الطرديات، وأصبح قارئها لا يقع إلا على اللفظة المأنوسة الحلوة والتعبير الأنيق المشرق. ولعل السبب في ذلك هو أن الناس في هذا العصر قد أوغلوا في الحضارة والترف، وانغمسوا في خفض العيش ولينه، وجعلوا للغناء والقيان في حياتهم الجديدة مكاناً مرموقاً.

وبيئة كهذه لا بد أن تستبعد من حياتها بدويَّ الألفاظ والتعابير، وقد يكون لطبائع الشعراء الذين نهضوا بشعر الطرد في هذه المرحلة أثر في ذلك أيضاً.

فالشعراء الذين أكثروا من القول في الطرد خلال هذه المرحلة هم الناشئ وابن المعتز وكشاجم، وللناشئ رأي في الشعر يقول فيه: "الشعر ما كان سهلَ المطالع فصْلَ المقاطع .....قد هريق منه ماء الفصاحة وأضاء له نورُ الزجاجة فانهلَّ في صادق الفهم، وأضاء في بهيم الرأي، وحكى الوشيَ في اتفاق رقومه واتساق رسومه[6]". وصاحب الأغاني يقول عن ابن المعتز: "إنه ظهرت في شعره رِقَّة الملوكية"، وإن من كان على شاكلته ليس له أن يعدل عن "الكلام الرقيق الذي يفهمه كل من حضر إلى جَعْد الكلام ووحشيِّه وإلى وصف البيد والمهامه والظبي والظليم.....والقفار[7]".

وفي استطاعة المتتبع لشعر الطرد في هذين القرنين أن يجد مصداق ما قلته في كل طردية قيلت فيهما، وقد أوردت الكثير فيما سلف.

غير أن ميل شعر الطرد في هذين القرنين عن الغريب وأخذه بما سهل من الألفاظ لم يؤثِّر في جزالته ولم يُفقده الرصانة ولم يُفضِ به إلى الهلهلة، وفي المقطوعات التالية صورة لهذه الجزالة والرصانة في غير إغراب ولا توحُّش أولاهما للناشئ في وصف ترويض الفهد وصيده:[8]

---

[1] - الأبرش من شعر الرأس: ما خالط لونه لون آخر غيره. القرا: الظهر.
[2] - يلوي: يذهب، يقال: ألوى فلان بفلان: أي ذهب به. الجُمَّح: السريعة.
[3] - الطّماح: من طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع أو هي بمعنى الشَّرَه، وأي المعنيين أخذنا استقام الشطر.
[4] - يسلكها: يطعنها. النيزك: الرمح القصير. المذرَّح: المسموم.
[5] - المجدح: ما يحرّك به كالملعقة.
[6] - زهر الآداب- الحصري- دار إحياء الكتب العربية بمصر- ١٢٧٢هـ- ٦٣٢/٢.
[7] - الأغاني- ٢٧٤/١٠.
[8] - المصايد والمطارد- ١٩٣.

أجـــدْتُ لــــه التقـــويمَ حتــــى كففتُـــهُ عـــن الـــشيم اللائـــي أبـــتْ أن تُقوَّمـــا

فجـــاء علـــــى مـــــا شــــئتُه ووجدتُـــــه مُحِـــلاً لمـــا قـــد كـــان بـــالأمس حرَّمـــا

إذا ما غـــدونا نبتغـــي الـــصيد أســـمَحَتْ لنـــــا نفـــــسُه ألا تريـــــقَ لـــــه دَمـــــا

والثانية في ابن المعتز في كلبة:[1]

لما بدا الصبحُ من الحجابِ

كما بدا المُنْصَل من قِرابِ

غدوتُ للصيد مع الأترابِ

بكلبةٍ تاهت على الكــلابِ

تفوتُ سَبْقاً لَحظَةَ المُرتابِ

تنسابُ مثلَ الأرقَمِ المُنسابِ

والثالثة لكشاجم في الصقر:[2]

غـــدونا وطـــرفُ الليـــل وَسْـــنانُ غـــائرُ وقـــد نـــزَلَ الإصـــباح والليـــلُ ســـائرُ

بأجـــدلَ مـــن حُـــرِّ الـــصقور مـــؤدَّبٍ وأكـــرمُ مـــا جربـــتُ منهـــا الأحـــامرُ

قـــصيرِ الـــذُّنابى والقُـــدامى كأنهـــا قـــوادمُ نـــسرٍ أو ســـيوفٌ بَـــواترُ

ورُقِّـــشَ منـــــه جؤجـــؤٌ فكأنّمـــــا أعارتـــه أعجـــامَ الحـــروف الـــدفاترُ

ومـــا زلـــتُ بالإضـــمارِ حتـــى صـــنعتُه ولـــيس يحـــوزُ الـــسبقَ إلا الـــضوامرُ

وتحملـــــه منّـــــا أكُـــفٌّ كريمـــــةٌ كمـــا زَهِيَـــتْ بالخـــاطبين المنـــابرُ

فالقارئ لا يجد في المقطوعات السابقة على جزالتها لفظة تدعوه إلى الاستنجاد بالمعجمات للتنقيب عن معاني الكلمات.

ثم إن المتأمل لألفاظ شعر الطرد في العصر العباسي يلاحظ أمراً أشرنا إليه في غير هذا المقام، ألا وهو كثرة استعماله للألفاظ الفارسية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى المكانة المرموقة التي بلغها العنصر الفارسي في هذا العصر، وإلى أن الفرس كانوا ذوي أقدام راسخة في الصيد وطرقه، وسَبْقٍ في سياسة جوارحه وضواريه، وأوَّليةٍ في ابتكار الكثير من أساليبه وأدواته.

[1] - ديوان ابن المعتز- ١٠/٤.

[2] - المصايد والمطارد- ٨٧. ونهاية الأرب- ١٩٥/١٠.

ثم إن رغبة الشعراء في التأنق باستعمال هذه الألفاظ وتَحْلية شعرهم بها جعلها كثيرة في شعر الطرد، فقد كثر استعمال كلمات: السَّهْرَداز، والإسْبَهْرَج، والفَيْرُوزَج، والدَّيْزَج، والقراطق، واليلامق، والدُّسْتُبان، لدى شعراء الطرد في هذا العصر وخاصة عند أبي نواس والناشئ وكشاجم كما رأينا من قبل.

ثم إن الناظر في ألفاظ شعر الطرد في العصر العباسي يلمَح وفرة ما ورد فيها من الألفاظ الحضارية التي تمثّل ترف العصر ولينَه وما حفل به من زخرف وذلك من أمثال: الوَشْي، والخَزّ، والديباج، والحرير، والوشاح، والطَّيْلَسان، والطِّراز، والعنبر، والعقيق وما إلى ذلك.

وأخيراً فإن شعر الطرد يُعَدُّ معجماً غنياً بالألفاظ العلمية التي تتعلق بالحيوان وصفاته وأعضائه وشِياته وألوانه وكل ما يتصل به، وهي ثروة ثمينة يعرف قيمتها الأطباء البيطريون والبشريون الذين يؤلفون في الطب أو يترجمون كتبه إلى العربية.

**٣- الخصائص التصويرية:**

الطرديات فن من القول يقوم على الوصف، فهو في جملته وتفصيله نعتٌ للحيوان الصائد والمصيد، وما يدور بينهما من مطاردة، وما يتصل بذلك.

والشاعر الذي لا يملك القدرة البارعة على التصوير لا ينحو نحو هذا الفن، ولا يستكثر منه لأنه فن النعت والصورة.

ومن هنا حَفَلَت الطرديات بقَدْر من الصور لا يجده القارئ في أي غرض من أغراض الشعر الأخرى، ومن هنا أيضاً كان التصوير هو الميدان الذي تبارى فيه شعراء الطرد، والمجال الذي كشف عن تفوق بعضهم على بعض.

وموضوعات الوصف في الطرديات هي أدوات الصيد الحيّة من جوارحَ وضوارٍ، وغير الحيّة من قسيّ وسهام ورماح وشِباك وأفخاخ، والمصيدات من وحش وطير، والطراد الذي يدور بين الصائد والمصيد، والإنسان الذي يشرف على عملية الصيد ويقوده، وثمرات الصيد وجَناه، ثم بعض المشاهد المكمِّلة التي هي بمثابة الإطار للصورة من نحو وصفِ الغُدُوّ إلى الصيد حين يتنفس الصبح وينسلخ النهار من الليل، ووصفِ بعض مَجالِي الطبيعة وما إلى ذلك.

لكن شعراء الصيد والطرد لم يُولُوا هذه الموضوعات قدراً متساوياً من عنايتهم بالتصوير والنعت، وإنما اختلف اهتمامهم بها باختلاف الغرض من جهة، وباختلاف شخصياتهم وميولهم الذاتية من جهة أخرى، ففقرة الصيد في أغلب القصائد الجاهلية كانت تُوْلي جلَّ اهتمامها لتصوير الحيوان المصيد من عَيْر أو ثور أو ظليم، ولا تلتفت إلى الحيوان الصائد إلا التفاتة سريعة، وذلك لأن الغرض من إيراد مشهد الصيد هو الإشادة

بالراحلة، أو التأسّي عند النازلة، ولا يتحقق هذان الغرضان إلا بوصف الحيوان الذي شبه الشاعر ناقته به أو طرَده بجواده أو أتى به ليتعزّى بمصرعه[١].

أما الطردية فقد أولت جل اهتمامها لنعت الحيوان الصائد من جارح أو ضارٍ، ولم تلتفت إلى المصيدات من وحش أو طير إلا التفاتاً خفيفاً، وذلك لأن الباعث على قول الطرديات في الغالب هو نعت جوارح الخلفاء والأمراء وذوي الثراء، وذلك يوجب على الشاعر أن يستفرغ جهده كله في تصويرها وعدم التعرض إلى ما عداها إلا بالمقدار الذي يحقق غرضه.

ثم إن العناية بتصوير المشاهد المكملة أو ما دعوناه بإطار الصورة اختلف من شاعر إلى آخر، ومن عصر إلى عصر، فأبو النجم عُني بالمشاهد المكمّلة عناية بالغة، حتى كاد الإطار يطغى على الصورة عنده، لكنها كانت مشاهد صحراوية بدوية خشِنة، فيها رهبة وقسوة، وذلك كما في تصويره للجو القاسي الذي مارس فيه الصائد صيده:[٢]

**حتى إذا طـــار من خبيــرها[٣]**

**عن جُدَدٍ صُفرٍ وعن غُرُورها[٤]**

**وأتـــتِ النّملُ القُرى بِعِيــرها[٥]**

**من حَسَكِ التَّلْعِ ومن خافورها[٦]**

**إذ رازتِ الكُنْسُ إلى قُعورها[٧]**

**واتَّقتِ اللافحَ من هَجيــرها[٨]**

إلى أن يقول:

**والأُسْدُ قد تسمـــعُ من زئيــرها**

**وباتـــتِ الأفعى على مَحْفُــورها[٩]**

**تأسيــرُها يحتَـــكُّ في تأسيرِها[١]**

---

[1] - انظر الفصل الأول من هذا البحث. أو انظر: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري- عباس مصطفى صالحي.

[2] - مصادر هذه الطردية: الحيوان- والمعاني الكبير- ولسان العرب.

[3] - الخبير: الوبَر.

[4] - الجُدَد: بالضم الطريقة والعلامة والخطّة في ظهر البعير تُخالِفُ لونه. الغرور: جمع واحده غرّ وهو كل كسرٍ أو تثنٍّ في ثوب أو جلد.

[5] - قرى النمل: بيوتها. العِير: بكسر العين القافلة أو الإبل تحمل الميرة أو كل ما امتير عليه إبلاً كانت أم حميراً أم بغالاً.

[6] - الحسك: نبات ذو شوك. الخافور: نبات تجمعه النمل في بيوتها. التَّلْع: جمع تلْعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي.

[7] - راز: طلب. الكُنس: بيوت الظباء.

[8] - اللافح: يقال نار لافح ولفوح أي محرقة.

[9] - المحفور: الحفرة.

مَرَّ الرّحى تجــري على شعيرها

تَضَرُّمَ القَصْبــاء في تَنُّــورها[2]

كَرَعْـدَةِ الجِراء أو هَريــرِها[3]

وأبو نواس لم يلتفت إلى الطبيعة التي كان يمارس فيها الصيد، حتى لكأن الجوارح والضواري قد ملكت عليه قلبه ولُبّه وصرفته عما عداها، والناشئ لا يهتمّ بوصف أوقات الغَلَس التي أولاها شعراء الطرد من عنايتهم الشيء الكثير، وابن المعتز مغرم بوصف لحظات البكور مفتون بوصف الطبيعة، لكنها طبيعة تختلف اختلافاً كبيراً عما رأيناه عند أبي النجم، إنها روض أُنُف جادته السماء بغيثها فاهتز وربا وأنبت من كل زوج بهيج:[4]

والــروضُ مغسولٌ بليلٍ مُمطِــرِ

جَلا لنا وجــهَ الثَّرى عن مَنظَــرِ

كالعَصْب أو كالوَشي أو كالجوهرِ

من أبيــضٍ وأحمــرٍ وأصفــرِ

وطــارفٍ أجفانَــهُ لــم يَنظُــرِ

تخــالُه العيــنُ فمــاً لم يَفْغَــرِ

وفاتــقٍ كــادَ ولــم يُنَــوِّرِ

والسريّ الرفاء يأوي إلى روضة ضاحكة النَّور، مفوَّفة الغصون، تختلف جداولها فتروي الظمأ وتطفئ الصدأ:[5]

وضاحكِ الرَّوضِ محلّى المنزلِ

سَبْطِ هُبوب الريح جَعْدِ المَنهلِ

مُــوَشّحاً بالنَّــورِ أو مُكلَّــلِ

مفروجــةٍ حلَّتُــه عن جــدولِ

بين الخزامى الغضِّ والقرنفلِ

وبين أكوابِ الرّحيــقِ السَّلسَلِ

---

[1] - تأسير الأفعى هنا: جلدها والأصل معناه: السير يُؤسَر به السَّرج.

[2] - القصباء: جماعة القصب، وبه يصرب المثل في شدة الصوت عند التضرُّم.

[3] - الجراء: جمع جرو وهو ولد الكلب. ورعدة الجراء وهريرها: صوتها.

[4] - أشعار أولاد الخلفاء- ٢١٢.

[5] - ديوان السري الرفاء- ٢١٣.

وهي كذلك روضة ممطَرَة، فيها الخُزامى والقَرَنْفُل عند المتنبي[1]، والصنوبري[2]، وكشاجم[3]، وغيرهم كثير من الشعراء العباسيين.

وقد استعان شعراء الطرد على إبداع صورهم بأدوات البيان الثلاث: التشبيه، والاستعارة، والكناية، يظاهرها جميعاً خيال خصب قادر على جمع الأشتات واستكمال الواقع بالمتخَيَّلات، غير أن اعتمادهم على الأداة الأولى (التشبيه) كان أكبر وأعظم، فهم قد استخرجوا جميع ما في التشبيه من طاقات وأفادوا منها فائدة جُلّى في إيضاح صورهم تارة، ونقلها من المعقول إلى المحسوس تارة أخرى، وتزيينها وتجميلها تارة ثالثة.

ومن يقرأ كتاب (التشبيهات) لابن أبي عون، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري، والمعاني الكبير لابن قتيبة يقفْ على قيمة التشبيه وأثره في إبداع الصور التي حَفَلت بها الطرديات، من ذلك قول الشمردل اليربوعي في عيني الصقر:[4]

**كأنّ عينيه إذا جلاّهما ياقوتتان رابحٌ شَراهُما**

فتشبيه عيني الصقر الحمراوين بياقوتتين ثمينتين قُصِد منه إيضاح المشبَّه وتزيينه.

وقول عبد الصمد بن المعذَّل في الفهدة:[5]

**كأنّـــها والخُزْر من حِداقـــها**

**والخُطَطُ السودُ على أشداقها**

**تُرْكٌ جرى الإثمِدُ من آماقها**

وهو تشبيه جلا المشبه عن طريق قرن الصورة البعيدة بالصورة القريبة فاتضحت الأولى بالثانية.

وقول ابن أبي كريمة في سرعة الكلاب وطول أعناقها:[6]

**تخـــالُ سِـــياطاً فــــي صَـــلاها مَنوطـــةً طـــوال الهـــوادي كالقِـــداح الـــشَّواذبِ**

**يفـــوتُ خطاهـــا الطـــرفَ سَـــبقاً كأنّهـــا ســـــهامُ مَغـــالٍ أو رُجُـــوم الكواكـــب**

وهو تشبيه جميل ظاهَرَه خيال بديع جعل الشاعر يتصور أن سياطاً نيطت في أعجاز هذه الكلاب، فإذا هي عدَت لسعَتها، وإذا لسعتها لجَّت في العدْو، وهكذا دواليك.

وقول ابن المعتز في صفة عين الكلب الذهبية الصفراء:[7]

---

1 - ديوان المتنبي- ٨٧.
2 - ديوان الصنوبري- ٢٨٧.
3 - ديوان كشاجم- ٢٢٢. والمصايد والمطارد- ٢٦٣.
4 - التشبيهات- ابن أبي عون- مطبعة كمبريدج- إنكلترة- ١٣٦٩هـ- ص٤٨.
5 - المصدر السابق- ٥٠.
6 - الحيوان- ٣٦٩/٢.
7 - التشبيهات- ٤٦.

**غدوتُ في ثوبٍ من الليلِ خَلَقْ**

**بطامحِ النظــرةِ في كلّ أُفُــقْ**

**ومقلـــةٍ تصدُقُـــه إذا رَمَــقْ**

**كأنّـــها نَرْجسةٌ بـــلا وَرَقْ**

وهو تشبيه طريف استمدّ جماله من حسن تخيُّل النرجسة وقد عُرّيت من أوراقها.

وقول كشاجم في صفة سرعة البازي وانقضاضه على طرائده:[1]

| | |
|---|---|
| **كأنّـــــه شعلـــــــةُ نـــــارٍ إذا** | **عايَـــــنَ فتخــــاءَ وخـــشنارا** |
| **أو عربـــــــيٌّ فاتـــــكٌ ثــــائرٌ** | **يخـــافُ فـــي تقـــصيره العـــارا** |

وهو تشبيه جميل استمدّ جماله من تلك المقاربة بين افتخار العربي بصيده وافتخار العربي بأخذه بثأره، والعار الذي يلحق البازي إذا أخفق والعار الذي يلحق العربي إن قعد عن الأخذ بالثأر.

أما أثر الاستعارة في إبداع الصور عند شعراء الطرد فهو لا يقلّ كثيراً عن أثر التشبيه، ولا غرو فما الاستعارة إلا تشبيه حذف أحد طرفيه للمبالغة في تأكيد العلاقة بين المشبه والمشبه به ولخلابة القارئ والسامع.

ومن بديع الصور التي رسمت بريشة الاستعارة قول عبد الصمد بن المعذّل في إشراق الشمس، حيث شخَّص السَّدْفة وجعل لها الوصاية على الشمس، فهي تأذن لها بالشروق متى شاءت، وتحجبها متى أرادت:[2]

**قد أغتدي والشمسُ في أَرْواقها**

**لم تأذَنِ السَّدْفَةُ في إشراقــها**

وقول ابن أبي كريمة وقد شخّص كلاًّ من الصباح والليل فجعل الأول ناعياً والثاني منعيّاً:[3]

| | |
|---|---|
| **وقد لاح نـــاعي الليـــل حتـــى كأنـــه** | **لساري الدجى في الفجر قنـــديل راهـــب** |

وقول الناشئ في صفة أثواب القانص البالية:[4]

| | |
|---|---|
| **ذا عليــــــه طِمْـــــرُ ذي شَــــعَثٍ** | **ملَّـــــتِ الأيّـــــامُ مـــــن قِدَمِـــــهْ** |

فهل هناك تصوير للبِلى والقِدم أروع من هذا التصوير الذي يشخِّص الأيام ويجعلها على طولها تَمَلُّ من قِدَم هذا الثوب؟

---

[1] - ديوان كشاجم- ١٦٤.

[2] - المصايد والمطارد- ١٩٠.

[3] - الحيوان- ٢/٣٦٨.

[4] - البيزرة- ١٧١.

وقول ابن المعتزّ في غرة الكلب:[1]

**وضحكَتْ غُرَّتُه في موضعِ التّقطيبِ**

حيث استعار الضحك والتقطيب للبياض والسواد.

وقول السري الرفاء في حلول الليل:[2]

**لما مضى اليومُ حميداً فانجرَدْ**

**ونشَرَ الليلُ جناحاً فركَدْ**

وقول الصنوبري في الطرائد التي سقطت على الأرض وقد مزقَت الكلاب جلودها:[3]

**فطفقتْ والوحشُ في مَجالها بِساطُ**

**صرعى، تُشَقُّ قُمصُها عنها ولا تُخاطُ**

أما أثر الكناية في جلاء الصور فهو لا يقلّ كثيراً عن أثر الاستعارة، وفي الكناية ضرب من التصوير البارع، ولون من الرمز الذكيّ يتطلب من القارئ أن يتجاوز معنى اللفظ إلى لازم معناه، وفي هذه النقلة من الملزوم إلى اللازم عمل عقليّ لطيف يشارك فيه الخيال مشاركة تُمتِع الفكر وتُشْبِع ملَكَة التخيُّل عند السامع، ومن الكنايات الطريفة التي حفلت بها الطرديات قول أبي النجم الراجز في تصوير مبلغ ثقة زوجة الصائد بقدرة زوجها على الظفر بالطرائد:[4]

*** تَعُدُّ عاناتِ اللوى من مالها ***

ثم أخذها منه عبد الصمد بن المعذّل فقال عن فهوده:[5]

*** ونُمْرُ بَناتِ القَفْر من أرزاقها ***

ومن الكنايات اللطيفة التي استُعين بها على التصوير قول الناشئ مكنياً عن صلابة رأس الفهد وتوقُّد عينيه:[6]

**لــه هامــةٌ لــو أنّ كفــاً رَهِيْــشَةً ... دَحَتْهــا علــى صُــمِّ الــصَّفا لَتَهَــدَّما**

**وعينــانِ لــو تُــدني إلــى قَبَــسَيْهما ... ذُبــالاً تَــذَكّى منهمــا وتَــضَرَّما**

وقول ابن المعتز في ظفَر الكلب الدائم بطرائده:[7]

---

[1] - التشبيهات- ٣٦٨.
[2] - ديوان السريّ الرفاء- الموسوعة الشعرية.
[3] - ديوان الصنوبري- ٢٨٨.
[4] - مصادر هذه الطردية: الحيوان- والمعاني الكبير- ولسان العرب- ومعجم البلدان- وأساس البلاغة.
[5] - المصايد والمطارد- ١٩٠.
[6] - المصدر السابق- ١٩٧.
[7] - التشبيهات- ٤٦٠.

* مباركٌ إذا رأى فقد رُزِقْ *

وقول المتنبي في وصف الأسد وتملُّك الخوف منه قلوب الأبطال وخيولهم، حتى إن الخيل صارت تمشي وكأنها مقيدة به:[1]

قَصَرَتْ مخافتُه الخطى فكأنّما ... ركبَ الكَمِيُّ جوادَه مشكولا

والصور في الطرديات عامة تمتاز بالاستيفاء، والتلوين، والحركة، وهي ميزات تُبرز المنعوت بوضوح وتبُثُّ فيه الحياة، وتجعل القارئ كأنه يراه بعينيه ويَمَسُّه بيديه ويتتبّع حركاته بخياله، فانظر إلى هذه الصورة المستوفاة الملوَّنة التي رسمها الناشئ لعيني بازيه وجناحيه وريش جسده:[2]

مكانُ سَواد العين منه عقيقةٌ ... وتِبْرٌ على خطِّ السوادِ يدورُ

تَمُورُ إذا ما رَنَّقَتْ في مآقِها ... كما مار من ماء الزجاجة نورُ[3]

له قُرطُقٌ ضافي البنائق أنْمَرٌ ... مُفَوَّفٌ، ضاحي الشَّقَّتين، طَريرُ[4]

ومن تحته درعٌ كأنّ رُقومَه ... تَعاريجُ وَشْيٍ أرضُهُنَّ حريرُ[5]

وقول كشاجم في وصف باشقه:[6]

له هامةٌ جُلِّلَتْ باللُّجَيْن ... فسالَ اللُّجَيْنُ على المَفْرَقِ

يُقلِّبُ عينين في رأسه ... كأنّهما نُقطتا زِئْبَقِ

وأُشْرِبَ لوناً له مُذهباً ... كَلَون الغزَالة في المَشرقِ

حِمامُ الحَمامِ وحَتْفُ القَطا ... وصاعقةُ القُبَّج والعَقْعَقِ

وأخيراً فإن الطرديات أغنت باب الوصف في الشعر العربي ورحَّبَتْه، وخلعت عليه بَهِيَّ الصور، واستخرجت من فنون البيان الثلاثة –وخاصة التشبيه– أعظم ما فيها من طاقات، وأفادت منها في نعت الحيوان، وأتحفت القارئ العربي بالكثير من الصور البديعية الرائعة لِتَنَفُّس الصبح وانسلاخ النهار من الليل، لكنها شيبت بالتكرار والإعادة اللذين يبعثان على الملل، وأهملت –أو كادت– وصف الحالات النفسية للصائدين، والمشاعر الداخلية للحيوانات المصيدة والصائدة عند الطراد، ولو أنها فعلت لبلغت الكمال.

[1] - ديوان المتنبي- ٩٨.
[2] - المصايد والمطارد- ٦٨.
[3] - رنقت: من الترنيق بمعنى إدامة النظر.
[4] - القرطق: الثوب، فارسي معرب. البنائق: جمع بنيقة وهي لبنة القميص. الضاحي: العالي.
[5] - الرقوم: جمع رقم: ورقم الثوب كتابته.
[6] - المصايد والمطارد- ٧٦. والبيزرة- ١٧٤. ونهاية الأرب- ١٩٢/١٠.

٤- **الخصائص الموسيقية:**

من أبرز الخصائص التي امتاز بها شعر الطرد عن أغراض الشعر العربي الأخرى عذوبة جَرْسه وحلاوة نغمته، فمنشد هذا الشعر لا يزال يُتْحِف أذنيه بتلك الموسيقى التي تهزج من خلال سطوره هزَجاً يُمتِع النفس ويريح الحِس ويستحثّ القارئ على إطلاق صوته بالإنشاد والاستزادة منه.

وتنبعث هذه الموسيقى عن طائفة من المصادر:

أولها: بحر الرجز الذي اتخذه شعراء الطرد وزناً لطردياتهم، ولم يعدلوا عنه إلا نادراً، وكانوا إذا تركوه استبدلوا به في الكثير الغالب البحر السريع الذي يقاربه في نبراته ويشاكله في نغمه.

والرجز أخفّ بحور الشعر حركة وأكثرها توثُّباً وأحفلُها بالحيوية. والخليل لم يدعُه باسم الرجز إلا لما وجد من الشبه بين اضطرابه واضطراب قوائم الناقة عند القيام[1]، فهو ذو تفعيلات ثلاث متماثلات متتابعات تحمل إلى أذن القارئ نغماً موسيقياً متناسقاً يهزّ النفس هزّاً مثيراً، ويحرّكها حركة نشطة، ويوحي بالطراد إيحاء صادقاً. يقول السري الرفاء في الكلب:[2] (من الرجز)

**يكشّر عن مِثلِ الحِرابِ أو أَحَدّ**

**يُقْصَـدُ في آثاره حيثُ قَصَـدْ**

**يَقــرَعُ الصيدَ بمَلمُــومِ الجَسدْ**

**كأنّــه لولا استوا الرأسِ وَتَدْ**

ويقول الصنوبري في الصقر والطرد به:[3] (من الرجز)

**فعاث فيــها يطمسُ الــرؤوسا**

**فلو تــراها أَجْفَلَتْ كــردوسا[4]**

**قلــتَ: رعاءٌ آنسَتْ هَمــوسا[5]**

**حتى إذا أحمى لها الــوطيسا**

**نكّســها في حَــوْمَةٍ تنكيــسا**

**فِعْلَ الخميسِ فَضْفَضَ الخميسا**

**رأى سعــوداً ورأت نُحــوسا**

**يلتهــمُ الــرّئيس والــرئيسا**

---

[1] - العمدة- ٨٩/١.

[2] - ديوان السري الرفاء- ٨١.

[3] - ديوان الصنوبري- ١٩٢.

[4] - الكردوس: الجماعة.

[5] - الهَموس: الأسد.

**غادرَ منـــها بعضَها مَنْــدوسا**[1]

**وبعضَها في دمـــه مغمـــوسا**

وثانيها: ذلك الروي المزدوج الذي لم يعدِل عنه شعراء الطرد في كل ما نظموه على الرجز والسريع.

وازدواج الروي أمدّ الطرديات بطاقة صوتية أضيفت إلى طاقة البحر وتآزرت معها في تكوين موسيقى هذا الشعر وجعلِها زاخرة بالحركة والحياة.

فالذي ينشد هذه الأراجيز ذوات الروي المزدوج لا يكاد يقطع صوته عند حرف الروي في آخر الشطر حتى يُفضي في آخر الشطر إلى روي مماثل، مما يتيح له وقفات متقاربة على حروف متشاكلة يقطع عندها الصوت في كل مرة ليستأنفه من جديد، وبين القطع والاستئناف تحدث تلك الاهتزازات الموسيقية المؤثرة المثيرة. فلنقرأْ مثلاً أرجوزة الناشئ الزائية في الصقر، ولنستعدْها أكثر من مرة، ولنمتِّعْ سمعنا بما حفلت به من موسيقى مردّها إلى بحر الرجز المتوثّب وإلى حرف الزاي الذي اتخذه الشاعر روياً لأرجوزته، فطفِقَ يَئِزّ في الأذن كأزيز القِدر التي تغلي:[2]

**أنعـــتُ صقـــراً جـــلَّ باريــــه وعَـــزْ**

**نَـــدْبـــاً، إذا قـــــدّم ميعـــاداً نجـــزْ**

**مجتمِـــعَ الخَلْـــق، شديـــداً، مكتنِـــزْ**

**أحمـــرَ، رحبَ الجوف ريانَ العَجُـــزْ**

**كأنّـــما الـــريشُ عليــــه حمـــلُ خَـــزْ**

**كأنّـــــما حِملاقُـــه زنّـــارُ قَـــزْ**

**كأنّـــما ينظـــر مـــن بعض الخَـــرَزْ**

**أنمـــرُ، مَنْ عَـــزَّ به في الصيد بَـــزْ**

**أمضى من العَضْب إذا ما العَضبُ هُزْ**

وقول الصنوبري يصف بازاً:[3]

**بازيكَ هذا من رفيعِ البَـــزِّ**

**طرازُه شاهدُه في الطُّـــرْزِ**

**ذو منسرٍ أقنى ورُسْغٍ كَـــزِّ**

**ومخلبٍ لم يعدُ إشفا الخَرْزِ**

---

[1] - المندوس: المطعون.

[2] - البيزرة- ١٨٠.

[3] - ديوان الصنوبري- ١٣٤.

مسربَــلٌ مثل حَبيك القَــزِّ

أو مثلَ جَزْع اليَمَنِ الأرْزّي

جَمُّ المهاميزِ شديدُ الهَمْــزِ

ولكن بعض شعراء الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين أخذوا يضيقون ذرعاَ بالرجز ورويّه المزدوِج، وشرعوا ينحون بالطردية نحو القصيد، فابن أبي كريمة عدَل في بناء طرديته عن الرجز المتوثب الخفيف إلى القصيد الرصين، واتخذ لوزنها البحر الطويل الهادئ ذا الروي الواحد بدلاً من الرويين المتزاوجين المتناغمين:[١]

وغِبَّ غَمامٍ مزَّقَتْ عن سمائه　　　شآميةٌ حَصّاءُ جُونَ السحائب

والناشئ الذي نظم نصف طردياته على الطويل والبسيط والمتقارب والرمل، فمن الطويل قوله في الفهد:[٢]

وأنمرَ مَوْشِيِّ القميصِ مُلَمَّعٍ　　　كأنّ عليه منه رقماً مُوَشَّحا

ومن البسيط قوله في عَناق الأرض:[٣]

مَنْ كان للصيدِ كَسّاباً فقانصُه　　　ذو مِرّةٍ في سباعِ البيد معدودُ

ومن الرمل قوله في صيد الأسد:[٤]

رُبَّ ذي شبلين قَسْوَرَةٍ　　　قد أحَمَّ الحَيْنُ في أَجَمِهْ

ومن المتقارب قوله في وصف البازي:[٥]

أيا صاحِ بازيَّ بازيَّ إنّهْ　　　من البؤس والفَقر جُنّهْ

ولعل السبب في ذلك هو أنهما اتجها إلى قَصر الطردية على نعت الجوارح والضواري وتجريدها من الطرد والصيد، والنعت الهادئ القائم على التأمل لا يتلاءم مع الرجز ولا يحتاج إلى الرويّ المزدوج.

على أن الموسيقى في شعر الطرد لا تأتي من البحر والروي فحسب، وإنما لها مصادر أخرى منها تواؤم الألفاظ وإقامة لون من التوازن فيما بينها ينبعث عنه جَرْس موسيقي لا يقلّ عن نغمة البحر جمالاً وتأثيراً في النفس، من ذلك قول الناشئ:[٦]

ومَوْردٍ يُجذِلُ قلبَ الرامقِ

---

1 - المصايد والمطارد- ١٤٤. ونهاية الأرب- ١٦٦/٩. والحيوان- ٣٦٨/٢.
2 - المصايد والمطارد- ١٩٧.
3 - المصدر السابق- ٢٢٥. وحياة الحيوان الكبرى- ١٦٣/١.
4 - المصايد والمطارد- ١٨١.
5 - المصايد والمطارد- ٦٨. والبيزرة- ١٧٢.
6 - المصايد والمطارد-٢٥٢.

مُنظَّمٍ بالغُــرَّد الغــرانقِ

وكلِّ طيرٍ صافرٍ وناعقِ

مُكتهلٍ أو بالغٍ أو لاحقِ

مَوْشيَّةِ الصدورِ والعواتقِ

بكلِّ وَشْيٍ فاخــرٍ وفائقِ

وقول كشاجم في الطرد بالبندق:[1]

وفلقــةٍ من أعجَــبِ الفلائــقِ

مُصفَــرّة تشبــهُ لــونَ العاشقِ

أنفَــعُ إن صيْدَ بـــها من باشقِ

أنبَضُ من قلب المُحبِّ الخافقِ

ما الرميُ رمياً بسوى الجَلاهقِ

ففي الأبيات السابقة طائفة من الألفاظ جاءت كلها على وزن (فاعل) من أمثال "صافر، وناعق، ولاحق، وفاخر، وفائق. وعاشق، وباشق، وخافق". فكان لهذا التوازن بينها نغمة لا تقلّ عن نغمة البحر والروي عذوبة وتأثيراً.

ومن مصادر الموسيقى أيضاً الإكثار من جناس الاشتقاق، وهو ضرب من الصنعة يضفي على الشعر نغمة عذبة تنبعث من تكرار الحروف الأصلية في المشتقات التي تنتمي إلى أصل واحد، من ذلك قول الناشئ في الكلب وفراهته على الصيد:[2]

يُراحُ أن يدعى ليُغتَدى بـــهِ

رَوْحَةَ ذي النشوةِ من شرابهِ

يخـــطُّ بالبُرْثُـــن في ترابـــهِ

خَطــَّ يد الكاتب في كتابـــهِ

ملتقِطاً للخَطوِ في انتدابـــهِ

لَقْطَ يدِ الماهرِ في حسابـــهِ

---

[1] - المصدر السابق- ٢٦١.

[2] - المصايد والمطارد- ١٥٢.

وقول ابن المعتزّ في الفهود:[1]

**أنعـــتُ أمثـــالاً قُــذِذْنَ قَــذّا**

**يشحَذُها الشَّوطُ البطيءُ شَحذا**

**تَجُـــذُّ غيطانَ الفـــلاةِ جَـــذّا**

**كالنَّبلِ هـــذّتْها القِسِيُّ هَـــذّا**

[1] - المصايد والمطارد- ١٩٩.

# الخاتمة:

بعد هذه الجولة الواسعة في نصوص الشعر العربي، وتحليلي إياها، وعرضي للأفكار التي حملتها، أشعر بأنني قد توصلت إلى مجموعة من الحقائق الأدبية القيّمة، وعساني وفِّقت في تحديد معالمها وإثباتها، وأبرزها:

- توصلت الشعر إلى أن الإنسان قد مارس الصيد تحصيلاً للقوت، أو دفاعاً عن النفس، أو رياضة ومتعة.
- دللت على أن الصيد والطرد كانا مما مارسه العرب باستمرار وكلما سنحت لهم فرصة، مارسه أشرافهم وصعاليكهم، أغنياؤهم وفقراؤهم، كلٌّ يجذبه إليه هدف، قد يكون اللذة أو القوت، وبيَّنتُ أن ممارسة الصيد تقوّي القدرة على القتال كما تقوم به الجيوش المعاصرة من حروب وهمية في أوقات السلم لتحتفظ بقدراتها الحربية بصفة دائمة، ولتكون تلك الجيوش مستعدة لمجابهة العدوّ في الحرب الحقيقية.
- بيّنتُ من خلال تتبُّعي لشعر الصيد والطرد أن أبا النجم العجلي هو أول من خطا بالطردية خطوة واسعة في طريق استقلالها، وهو الذي وضع اللبنة الأولى في صرح بنائها.
- من خلال دراستي لشعر الشمردل تبين لي أنه أتمّ بناء الطردية وأكمله وأحكم صنعه، فكان برأيي أبا هذا الفن من القول في الشعر العربي غير منازَع.
- من خلال تتبُّعي لشعر الطرد وصلت إلى أن شعر الطرد غدا مستقلاً مكوناً لوناً من ألوان الشعر العربي في زمن بني أمية، ولم يتأخر ظهوره إلى عصر بني العباس.
- وجدت أن بناء الطردية عند أبي نواس في أحسن أحواله لم يبلغ مرتبة الكمال التي كان يرجى له أن يبلغها، بسبب ما ساد في عصره من ثقافة ومنطق وموضوعية، ورأيت أن تجديد أبي نواس كان من ناحية استقصائه وصف الحيوان الصائد، بينما كان الأقدمون يلمون به إلماماً، وهذا التجديد في إطار التقليد الموروث في هذا الفن.
- وجدت أن الصيد في عصر بني العباس أصبح غاية تُقصَد لذاتها بعد أن كان وسيلة للرزق.
- وقفتُ على مدى تهالك الخلفاء والأمراء والأشراف وذوي اليسار على الصيد، ومبلغ استهتارهم به، وعلى المكانة التي كان يتمتع بها سُوّاس الجوارح والضواري.

- وجدت أن الوقت الذي اختير للخروج إلى الصيد وقت الغدوة والطيور لما تزل في وكناتها، لأن الطرائد تكون في ذلك الوقت قد ربضت للنوم، فتستثار وفيها أثر النوم، أما أماكن الصيد فهي غالباً غدران الماء وبركه، والرياض الخضراء النديّة، فهي مَظَنَّة الصيد لاجتماع الحيوانات والطيور فيها.
- أبدع الشعراء في نعت جوارح الصيد وضواريه، فنعتوا حُسنَ أشكالها، وكمال شياتها واتساقها، وحسن تأديبها، واستجابتها لسُوّاسها وبيازرتها.
- وتناول الشعراء أدوات الصيد وطرقه بالوصف، فوصفوا القوس والرمح وقصب الدبق، والصيد بالزبية واللباد والحيلة والنار والبندق.
- كما تناولوا الطرائد بالوصف، فوصفوا الوعول والظباء والأسود، والحمر والثيران الوحشية، والذئاب والثعالب والأرانب، وطير الماء والنعام والحبارى والقطى والحجل والكروان والمكّاء والدرّاج والقنبرة وغيرها.
- رأيت أن أغلب الشعراء الجاهليين وقفوا ملياً عند العراك الناشب بين الصائد والمصيد، وصوروا ذلك العراك تصويراً جلياً مفعماً بالصور والحركة والمشاعر والأحاسيس، أما العباسيون فقد عدلوا عن ذلك الأمر، فالمعركة ما هي إلا لمحٌ بالبصر حتى تنتهي بفوز الصائد وصرع الفريسة الطريدة.
- ورأيت أن الفرحة الكبرى التي ينبغي أن تنتهي إليها عملية الصيد قد اتفق أغلب الشعراء على تمثيلها بما توافر لديهم من صيد، وبما نعموا به من طعام.
- ألفيت أن الطردية قد امتازت بالخصائص التالية:

أ – الوحدة الموضوعية: إذ تفرغت أبيات الطردية لوصف الطرد، وهي لم تعالج الصيد فحسب، وإنما تمحضت إلى لون من ألوانه أو وسائله، فالشاعر مثلاً كان يصف صيد الثعلب، أو الطرد بالكلاب فقط، ويوقف اهتمامه على ذلك.

ب – وجه الشعراء عنايتهم الزائدة إلى وسيلة الصيد حيث شغل وصفها معظم الأبيات.

حـ – كانت نهاية الطريدة شيئاً مقرراً وقدراً محتوماً، فالوسيلة منتصرةٌ والطريدة مقتولة لا محالةٌ.

د – استنفد الشعراء معظم وجوه لذة الصيد من احتطاب واجتماع وطبخ لحوم الصيد وشيّها، مما يكوّن جواً نفسياً يربط أجزاء الطردية كلها، ويشغل وحدةً فنيةً تضفي الوضوح على بناء الطردية.

هـ – تنصّل بعض الشعراء من الالتزام بالوحدة الموضوعية للبيت، وبات المعنى يستغرق أكثر من بيت واحد.

و – تميزت الطردية بسمات محدودة، فكانت أغلب الطرديات يتوافر فيها تحديد الوقت الذي يُخرجُ فيه للصيد، والمكان الذي يُذهبُ إليه، ولابد من الكلام على الصائد أو وسيلة الصيد ثم الصراع وأخيراً نهاية الطرد.

وقد تجتمع هذه العناصر في طردية فتكون تامة، وربما يغفل الشاعر عنصراً أو أكثر فتكون غير تامة.

- ألمعت الطرديات إلى أثر العنصر الفارسي في المجتمع العباسي، فأكثرَ شعراء الطرد من استعمال الألفاظ الفارسية في طردياتهم.
- تميزت لغة الطرد عامةً بصعوبة مفرداتها، فالشاعر حين يصف الصيد لابد له من الاعتماد على القاموس الصحراوي الذي يمثل الحياة البدوية.
- **المقترحات:**

وأخيراً فلي بعض المقترحات التي أرى أن الأخذ بها قد يكون مفيداً للأدب العربي، وهي تتناول قضيتين:

**الأولى: الشعر:**

أ- سجلت المصادر شعراً طردياً لشعراء غير مشهورين ونص على أن بعضهم مارس القنص ونظم فيه الأراجيز، ومع ذلك لم أقف إلا على نماذج محدودة، ومن أولئك أبو النجم الراجز، وأبو نخيلة الحُماني، والشمردل بن شُرَيك اليربوعي، وأحمد بن زياد بن أبي كريمة، والفضل الرقاشي، وأعتقد أن هؤلاء يمثلون مرحلةً مهمة من مراحل الشعر العربي بوجه عام، وفن الطرد بوجهٍ خاص، ويستطيع الباحث أن يتقصى أخبارهم أو أخبار بعضهم، فيقدم دراسةً قيمة لا تخلو من فائدة كبيرة.

ب-قيل إن لأبي نواس بضعاً وثلاثين طرديةً موثوقاً بصحة نسبتها إليه، ولكني وجدت في ديوانه طردياتٍ زادت على هذا العدد، في وقتٍ روى الجاحظُ طرديةً في الكلاب ( الحيوان ٢ / ٦٠ و ٦٥ ) تتكون من واحد وعشرين بيتاً وشطرٍ واحد، كما روى كشاجم طرديتين في صيد البندق ( المصايد والمطارد ٢٤٩ – ٢٥٢ ) ونسبت كلها لأبي نواس، ولم أجدها في ديوانه.

أفلا يستحق هذا الارتباك والخلط بحثاً علمياً وتحقيقاً دقيقاً يثبت لأبي نواس ما له من طرديات، ويحدد نسبة الباقي إلى قائلها؟

حـــ – وجدت في الفترة التي تلت القرن الرابع الهجري شعراء قدموا شعراً في وصف الطرد منهم صفي الدين الحلي، كما أن هناك شعراء آخرين في الشام ومصر والأندلس نظموا في هذا

الفن، ودراسة تلك الفترة تكشف وجود التقليد أو التجديد، وتبرز نقاط الاستجابة للبيئات المختلفة، ومهما كانت الحال فإن تلك الدراسة ستكون مكملةً لدراستي المتواضعة هذه.

**الثانية: دور النثر في ميدان الطرد:**

أ- لقد اطلعت على رسالةٍ للكاتب عبد الحميد في وصف الصيد ( جمهرة رسائل العرب ٢ / ٥٤٤ و ٥٤٥ ، جمع أحمد زكي صفوت، القاهرة ١٩٣٧م )، وربما نجد غيرها، وهذا من شأنه أن يقودنا إلى الصلات بين موضوعات الشعر والنثر، ويوقفنا على جوانب الاتفاق والاختلاف، ويتيح لنا مجال المقارنة بين صنوي الأدب في تناول موضوعات واحدة، وهو في حد ذاته مرحلةٌ أخرى تالية.

**ب**-بين أيدينا سفرٌ عظيم قدمه الجاحظ، وكان زاخراً بموضوعات الصيد والطرد، وهو كتاب الحيوان، ويستطيع الباحث أن يجعله محور دراسةٍ واسعةٍ تتناول ( أدب الحيوان ) يتتبّعُ جذور كتاب الحيوان في المؤلفات اللغوية التي صنفها علماء سبقوا الجاحظ أو عاصروه، ثم مناقشةُ تأثيرات كتاب الحيوان في المؤلفات اللاحقة أمثال: المصايد والمطارد لكشاجم، والبيزرة للحسن بن الحسين ظناً، والاعتبار لأسامة بن منقذ، ومخطوطات أخرى ما زالت محتجبة في خزائنها تذكرنا بها الفهارس.

وختاماً يهمني جداً أن يكون بحثي هذا قد جاء بشيءٍ جديد، واستطاع أن يحدد بنية قصيدة الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأرجو أن أكون قد قدمتُ مساهمةً مقبولةً في خدمةِ أدبنا العربي الذي هو رصيدنا وأملنا في لمّ شمل شعوب الأمة العربية الطامحة إلى المجد المتطلعة إلى إعادة إحياء تراثها.

**والله الموفق**

# الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٢- فهرس الأحاديث الشريفة

٣- فهرس أعلام الشعراء

٤- ثبت المصادر والمراجع

٥- فهرس الموضوعات

# ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة:

## ٥- المائدة:

١- "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلّي الصيد وأنتم حرم" ص ٩.

٢- "وإذا حللتم فاصطادوا" ص ٩، ١٠.

٣- "إلا ما ذكّيتم" ص ١٣.

٣ - "وما أُهلّ لغير الله به" ص ١٤.

٤ "قل أُحلّ لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلموهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم" ص ١٢.

٤٥ - "وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم" ص ١٣.

٩٥- "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" ص ٩، ١٠.

٩٦ - "أُحِلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحُرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون" ص ١٠.

## ٦ - الأنعام:

١١٨ - "فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه" ص ١٥.

## ٢-فهرس الأحاديث الشريفة:

١- "وأن تعلو التحوتَ الوعولُ، فقيل: ما التحوت؟ فقال: بيوت القانصة" ص ٨.

٢- "إن هذا البلد حرّمه الله، لا يُعضد شوكه، ولا ينفّر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها" ص ١١.

٣- "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر" ص ١١، ١٤، ١٥.

٤- "إذا أرسلت كلبك المعلَّم، وسمّيت، فأمسك وقتل فَكُلْ، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه" ص١٣.

٥- "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدَّ أحدكم شفرته وليُرِحْ ذبيحته" ص١٥.

٦- "كلّ الصيد في جوف الفرا" ص١٦٣.

## ٣-فهرس أعلام الشعراء:


- ابن أبي كريمة: ٨١، ٨٢، ١١١، ١٤٨، ١٥٧، ١٧٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤.
- ابن الرومي: ٨٣، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٧، ١٨٢.
- ابن المعتزّ "عبد الله": ٤٧، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٠٥، ١١٢، ١١٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٩١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦.
- أبو ذؤيب الهذلي: ٣٨، ٤٧.
- أبو فراس الحمداني: ٨٤، ١٦٤، ١٦٨.
- أبو النجم العجلي: ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٥٢، ١٠٩، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٠.
- أبو نواس: ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٠٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٦.
- امرؤ القيس: ١٩، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٨٢، ١١٨، ١٥٣.
- الببغاء "أبو الفرج": ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٤.
- البحتري: ١٢٣، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٢.
- جرير: ٤٧.
- الحسين بن الضحّاك: ٥٤.
- رؤبة: ١٨، ٤٣، ١٠٩.
- الرقاشي: ٥٤.
- زهير بن أبي سلمى: ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٣٩، ٤٧.
- السرّ الرفّاء: ٩٧، ١٠٦، ١٣٩، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٢.
- الشمردل بن شريك: ٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٦، ١٩٧.
- الصنوبري: ٨٥، ٨٨، ٩٦، ١٠٦، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤.
- العباس بن الأحنف: ٥٤.
- عبد الصمد بن المعذّل: ٨٢، ١٠٩، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٦، ١٨٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠.
- عبد الله بن هشام السلولي: ٤١.
- العجّاج: ٤٣.
- علي بن الجهم: ٩٤، ١٠٤، ١٢١.
- الفرزدق: ٤٣، ٤٧.
- كشاجم: ٢٥، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٥.

- لبيد بن ربيعة العامري: ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٤٧.
- المتنبي: ١٠٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠٠.
- محمد بن الوزير الحافظ: ١٢٦.
- النابغة الذبياني: ٣٧.
- الناشئ: ٤٧، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٢، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.
- والبة بن الحباب: ٥٤.

## ٤- ثبت المصادر والمراجع:


- القرآن الكريم.
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري- محمد مصطفى هدّارة- دار المعارف- مصر- ١٩٦٩م.
- إجماع الخاصة على شاعرية الحسن بن هانئ الحكمي- الدكتور حسين بيوض- مجلة بحوث جامعة حلب- العدد ٦٠- عام ٢٠٠٧م.
- الأدب الجاهلي: قضاياه وأغراضه- غازي طليمات وعرفان الأشقر- دار الفكر- سورية- دمشق- الطبعة الأولى- ٢٠٠٢م.
- أراجيز العرب- السيد محمد توفيق البكري- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٣٤٦هـ.
- أساس البلاغة- الزمخشري- دار الكتب- ١٩٧٢م.
- أشعار أولاد الخلفاء- الصولي- مطبعة الصاوي- مصر- ١٣٥٥هـ.
- الأصمعيات- الأصمعي- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف- مصر.
- أعجب العجب في شرح لاميّة العرب- الزمخشري- مطبعة الجوانب، القسطنطينية- الطبعة الأولى- ١٣٠٠هـ.
- الأغاني- الأصفهاني- دار الكتب- مصر.
- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي- أحمد الحوفي- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٩٥٨م.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع- محمد الشربيني الخطيب- دار الخير- بيروت ودمشق.
- أمالي المرتضى- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر- القاهرة- ١٩٥٨م.
- أنس الملا بوحش الفلا- محمد المنكلي- باريس- ١٨٨٠م.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب- محمود شكري الألوسي- تحقيق محمد بهجة الأثري- مطابع دار الكتاب العربي- دمشق- الطبعة الثالثة- ١٣٤٢هـ.
- البيان والتبيين- الجاحظ- تحقيق حسن السندوبي- مطبعة الاستقامة- القاهرة- ١٩٤٧م.
- البيزرة- الحسن بن الحسين ظناً- تحقيق محمد كرد علي- مجمع اللغة العربية- دمشق- ١٩٥٢م.
- تاج العروس- مرتضى الزبيدي- تحقيق عبد الستار فراج وآخرين- الكويت- ١٩٦٥م.
- تاريخ الأدب العربي- بروكلمان- دار المعارف- مصر- ١٩٥٩م.

- تاريخ الأمم والملوك- الطبري- المكتبة التجارية- مصر- ١٩٣٩م.
- تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي- مكتبة الخانجي- مصر- ١٣٤٩م.
- التشبيهات- ابن أبي عون- مطبعة كمبريدج- إنكلترة- ١٣٦٩هـ.
- تطور مشهد الصيد من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي- عبد الرحمن عبد الرحيم- رسالة دكتوراه بجامعة البعث- ٢٠٠٣م.
- تفسير الطبري- الطبري- تحقيق محمود أحمد شاكر ــ دار المعارف ــ مصرــ القاهرة.
- تهذيب اللغة- الأزهري ــ تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ــ ١٣٨٤هـ.
- الجامع لأحكام القرآن _ عبد الله القرطبي- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت- الطبعة الأولى- ٢٠٠٠م.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري- آدم متز- ترجمة محمد أبي ريدة- طبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة.
- الحيوان- الجاحظ- تحقيق عبد السلام هارون- دار الجيل- بيروت- ١٩٩٦م.
- حياة الحيوان الكبرى- الدميري- مطبعة الاستقامة- مصر- ١٣٧٢هـ.
- خزانة الأدب- البغدادي- دار الكتاب العربي- مصر- ١٣٨٧هـ.
- ديوان ابن الرومي ــ تحقيق حسين نصّار ــ دون تاريخ.
- ديوان ابن الرومي ــ شرح مجيد طراد ــ دار الجيل ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩٨م.
- ديوان أبي فراس ــ رواية أبي الحسن بن خالويه ــ دار صادر ــ بيروت ــ ١٩٩٦م.
- ديوان أبي نواس ــ تحقيق الغزالي ــ مطبعة مصر ــ القاهرة ــ ١٩٣٢م.
- ديوان الأعشى ــ شرحه وقدم له محمد ناصر الدين ــ دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٧م.
- ديوان امرئ القيس ــ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ــ دار المعارف ــ مصر ــ الطبعة العاشرة ــ ١٩٧٦م.
- ديوان البحتري ــ دار صادر ــ بيروت.
- ديوان زهيــر بن أبي سلمى ــ برواية ثعلب ــ تحقيق القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ــ الهيئة العامة للكتاب ــ مصر ــ القاهرة ــ ١٩٦٤م.
- ديوان السريّ الرفّاء ــ دار الجيل ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩١م.
- ديوان الصنوبريّ ــ تحقيق إحسان عباس ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ ١٩٧٠م.

- ديوان طرفة بن العبد ـــ دار صادر ـــ بيروت.
- ديوان عبد الله بن المعتزّ ـــ أخرجه محيي الدين الخياط ـــ مطبعة الإقبال ـــ بيروت ـــ ١٣٣٢هـــ .
- ديوان عليّ بن الجهم ـــ تحقيق خليل مردم ـــ المجمع العلمي العربي ـــ دمشق.
- ديوان عنترة (ضمن مجموعة فيها ديوان طرفة وعنترة وعلقمة) ـــ دار الفكر للجميع ـــ بيروت ـــ ١٩٦٨م.
- ديوان كشاجم ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٩٧م.
- ديوان لبيد ـــ تحقيق إحسان عباس ـــ مطبعة الكويت الحكومية ـــ الكويت ـــ الطبعة الثانية ـــ ١٩٨٤م.
- ديوان المتنبي ـــ تحقيق وشرح كرم البستاني ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٥٨م.
- ديوان المزرِّد بن ضرار الغطفاني ـــ تحقيق خليل إبراهيم العطية ـــ بغداد ـــ ١٩٦٢م.
- ديوان المعاني ـــ أبو هلال العسكري ـــ مكتبة القدس ـــ مصر ـــ ١٣٥٤هـــ .
- الرياضة البدنية عند العرب ـــ محمد كامل علوي ـــ القاهرة ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٤٧م.
- زهر الآداب ـــ الحصري ـــ دار إحياء الكتب العربية ـــ مصر ـــ ١٢٧٢هـــ.
- السيرة النبوية ـــ ابن هشام ـــ المكتبة التجارية ـــ مصر ـــ ١٣٥٦هـــ.
- شذرات الذهب ـــ العماد الأصفهاني ـــ مكتبة القدسي ـــ مصر ـــ ١٣٥٠هـــ.
- شرح أشعار الهذليين ـــ السكري ـــ مكتبة دار العروبة ـــ مصر.
- شرح ديوان كعب ـــ السكري ـــ دار الكتب ـــ مصر ـــ ١٣٦٩هـــ.
- شرح المعلقات السبع ـــ الزوزني ـــ مطبعة حجازي ـــ القاهرة ـــ ١٩٢٢م.
- شعر الببغاء ـــ تحقيق سعود محمود عبد الجبار ـــ مؤسسة الشرق ـــ العلاقات العامة ـــ الدوحة ـــ قطر ـــ ١٩٨٣ م.
- شعر الطبيعة في الأدب العربي ـــ سيد نوفل ـــ القاهرة ـــ ١٩٤٥م.
- شعر الطرد ـــ عبد الرحمن رأفت الباشا ـــ دار النفائس ومؤسسة الرسالة.
- شعر الطرد عند العرب ـــ عبد القادر أمين ـــ العراق ـــ النجف ـــ ١٩٧٢م.
- صبح الأعشى ـــ القلقشندي ـــ دار الكتب ـــ مصر ـــ ١٩٢٢م.
- صحيح البخاري ـــ دار الشعب ـــ مصر ـــ ١٣٧٨هـــ ـــ مصورة عن طبعة بولاق.
- صحيح مسلم ـــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـــ القاهرة ـــ ١٣٧٤هـــ/١٩٥٤م.

- الصناعتين ــ أبو هلال العسكري ــ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاري ــ طبع عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٢م.
- الصيد والطرد عند العرب ــ مؤلف مجهول ــ تحقيق ممدوح حقي ــ دار اليقظة ــ دمشق.
- الصيد والطرد في الشعر العربي ــ عباس مصطفى صالحي ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ــ بغداد ــ ١٩٧٤م.
- طبقات فحول الشعراء ــ ابن سلاّم ــ دار المعارف ــ مصر.
- الطبيعة في الشعر الجاهلي ــ نوري القيسي ــ دار الإرشاد ــ بيروت ــ ١٩٦٦م.
- العراق في عهد المغول الإيلخانيين ــ جعفر حسين حصباك ــ مطبعة العاني ــ ١٩٦٨م.
- العصر الأموي ــ شوقي ضيف ــ دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٦٣م.
- العصر العباسي الثاني ــ شوقي ضيف ــ دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٧٣م.
- العمدة ــ ابن رشيق ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل ــ لبنان ــ بيروت ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٧٢م.
- الفرج بعد الشدة ــ القاضي أبو علي الحسن بن أبي القاسم التنوخي ــ دار الطباعة المحمدية ــ القاهرة ــ ١٩٥٥م.
- فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ــ المرزبان ــ تحقيق عبد الرحمن ويسي ــ دار اليمامة ــ دمشق وبيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩٥م.
- فقه اللغة ــ الثعالبي ــ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة.
- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي ــ مصطفى الخنّ ومصطفى البغا وعلي الشربجي ــ دار القلم ــ دمشق ــ الطبعة التاسعة ــ ٢٠٠٨م.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ــ مصطفى الشكعة ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ١٩٨١م.
- في الأدب والنقد ــ محمد مندور ــ مصر ــ القاهرة ــ ١٩٧٧م.
- قصة الحضارة ــ وول ديورانت ــ ترجمة زكي نجيب محمود ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٦م.
- كفاية الأخيار في حلّ غاية الاختصار ــ تقيّ الدين الدمشقي ــ دار كرم ــ دمشق ــ الطبعة الثانية.
- المؤتلف والمختلف ــ الآمدي ــ دار إحياء الكتب العربية ــ مصر ــ ١٣٨١هـ.
- مجمع الأمثال ــ الميداني ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ القاهرة ــ ١٩٦٥م.
- مختارات البارودي ــ محمود سامي البارودي ــ مطبعة الجريدة ــ مصر ــ ١٣٢٩هـ.

- المخصص ـــ ابن سيده ـــ لجنة إحياء التراث العربي ـــ دار الآفاق الجديدة ـــ بيروت.
- مروج الذهب ـــ المسعودي ـــ دار الرجاء ـــ بغداد ـــ ١٩٣٨م.
- المصايد والمطارد ـــ كشاجم ـــ تحقيق محمد أسعد طلس ـــ مطبعة دار المعرفة ـــ بغداد ـــ ١٩٥٤م.
- المعاني الكبير ـــ ابن قتيبة ـــ حيدر آباد ـــ الدكن ـــ الهند ـــ ١٣٦٨هـــ.
- المفضَّليّات ـــ المفضَّل الضبّي ـــ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـــ دار المعارف ـــ مصر ـــ ١٩٦٢م.
- نظرية الشعر، قضايا وحوارات النهضة ـــ القسم الأول ـــ تحرير وتقديم محمد كامل الخطيب ـــ منشورات وزارة الثقافة ـــ سورية ـــ دمشق ـــ شهادة شفيق جبري.
- النفحات المسكية في صناعة الفروسية ـــ الشريف الحموي ـــ تحقيق عبد الستار القرغولي ـــ بغداد ـــ ١٩٥٠م.
- نهاية الأرب ـــ النويري ـــ دار الكتب ـــ مصر ـــ ١٣٥١هـــ.
- الوصف في شعر العراق ـــ جميل سعيد ـــ بغداد ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٤٨م.
- وفيات الأعيان ـــ ابن خلكان ـــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـــ مكتبة النهضة العصرية ـــ القاهرة.
- يتيمة الدهر ـــ الثعالبي ـــ مطبعة الصاوي ـــ مصر ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٣٤م.

**الدوريات والمجلات العربية :**

- مجلة بحوث جامعة حلب ـــ حلب ـــ العدد ٦٠ ـــ ٢٠٠٧م.
- مجلة المجمع العلمي العربي ـــ دمشق ـــ المجلد ٢٨ ـــ ١٩٥٣م.

## ٥- فهرس الموضوعات:

**المقدمة** ..............................................................ص١

**المدخل:**

أولاً: تمهيد لغوي ..................................................ص٤

ثانياً: الصيد في الإسلام..............................................ص٧

ثالثاً: فوائد الصيد ولذّاته..............................................ص١٣

رابعاً: حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان................................ص١٦

**الفصل الأول: نشأة شعر الطرد وبدايات القصيدة الطردية:**

أ- الصيد عند العرب في الجاهلية........................................ص٢٠

ب – الصيد في القصيدة العربية الجاهلية..................................ص٢٢

ج- خصائص شعر الطرد قبل ظهور الطرديات.............................ص٢٥

د- نشأة شعر الطرد في زمن بني أمية.....................................ص٢٧

هـ- بدايات القصيدة الطردية:

١- أبو النجم العجلي..............................................ص٣٠

٢- الشمردل بن شريك اليربوعي...................................ص٣٣

٣- أبو نواس.......................................................ص٤٠

**الفصل الثاني: البناء الموضوعي للقصيدة الطردية:**

١ – اتساع شعر الطرد في القرنين الثالث والرابع الهجريين.....................ص٦١

٢ – البناء الموضوعي للقصيدة الطردية:

أ – الزمان والمكان..................................................ص٦٢

ب – الصائد ووسائل الصيد.........................................ص٦٧

ج – الطرائد........................................................ص١٠٩

د – المعركة ونهاية الطريدة..........................................ص١٢٥

هـ – نهاية القصيدة الطردية (المقطع)..................................ص١٣٠

٣ – العموم والخصوص في البناء الموضوعي.................................ص١٣٣

**الفصل الثالث: الخصائص العامة لشعر الطرد:**


١- الخصائص المعنوية.......................................ص١٣٨

٢- الخصائص اللفظية.........................................ص١٥١

٣- الخصائص التصويرية.....................................ص١٥٦

٤- الخصائص الموسيقية......................................ص١٦١

**الخاتمة**..........................................................ص١٦٨


**الفهارس:**


فهرس الآيات القرآنية الكريمة..................................ص١٧٣

فهرس الأحاديث الشريفة........................................ص١٧٤

فهرس أعلام الشعراء............................................ص١٧٥

ثبت المصادر والمراجع..........................................ص١٧٧

فهرس الموضوعات...............................................ص١٨٢

# The structure of hunting poetry
# (3rd and 4th century hijri)

## Summary

This treaties studies poems describing hunting in Abbasi Arabic poetry , (3rd and 4th century hijri) .

It gives full examples about poets covering both centuries as it contained analytical criticism concluding the general aspects of poems discussed throughout the research .

This study underlined the importance of the hunting scene in the process of structuring the poems .

It expresses clearly the reflection of incidents on the imaginations and emotions of the poet .

It pointed out to the relationship between the method and event narrating .

It gives examples from the poems and focus on the use of words within the context . It mentions a lot of hunting poems , and it depicts the different movements as seen by the poet in addition to the settings related to changeable and unchangeable .

The treatise is concluded by general points .

**University of Aleppo**
**Faculty of arts and humanities**
**Arabic language department**




# The structure of hunting poetry (3rd and 4th century hijri)

**A research made for an Ma. Degree of literary languages**

**Prepared by**
**Abdulrahman abdulrazak**

**2010 - 1431**

**University of Aleppo**
**Faculty of arts and humanities**
**Arabic language department**




# The structure of hunting poetry (3rd and 4th century hijri)

**A research made for an Ma. Degree of literary languages**

**Prepared by**
**Abdulrahman abdulrazak**

**Supervised by**
**Dr. Husain Bayoudh**

**2010 - 1431**